

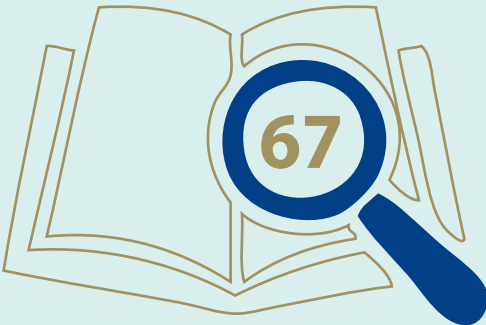
مجلة جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية

(صدر العدد الأول في 1410 هـ - 1990 م)

العدد السابع والستون



www.alwasl.ac.ae



research@alwasl.ac.ae



جمادى الأولى / ديسمبر
1445 هـ / 2023 م





مَجَلَّةُ جَامِعَةِ الْوَصْلِ

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية

تأسست سنة ١٩٩٠ م

العدد السابع والستون

جمادى الأولى ١٤٤٥ هـ - ديسمبر ٢٠٢٣ م

المشرف العام

أ. د. محمد أحمد عبدالرحمن

مدير الجامعة

رئيس التحرير

أ. د. أحمد رحمانى

نائب رئيس التحرير

أ. د. الطيب الوزانى

أمين التحرير

د. المزمّل الشريف حامد

ردمّد: ٢٧٩١-٢٩٣٠

المجلة مفهرسة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

البريد الإلكتروني: awuj@alwasl.ac.ae, research@alwasl.ac.ae

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. أحمد المنصوري - الإمارات

أ. د. جودة مبروك - مصر

أ. د. حسن عواد السريحي - السعودية

أ. د. سعيد يقطين - المغرب

أ. د. عماد حمدي - الإمارات

أ. د. فائزة القاسم - فرنسا

أ. د. مصطفى لهلال - بريطانيا

د. شريف عبد العليم - الإمارات

د. لطيفة الحمادي - الإمارات

لجنة الترجمة: د. محمد جمال حسين عبد اللطيف،

أ. صالح العزام، د. داليا شنواني، أ. مجدولين الحمد

الهيئة العلمية الاستشارية للمجلة

أ. د. صالح بلعيد

رئيس المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر

أ. د. قطب الريسوني

جامعة الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. بن عيسى بظاهر

جامعة الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. صالح بن محمد صالح الفوزان

جامعة الملك سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية

أ. د. جميلة حيدة

جامعة وجدة - المملكة المغربية

جامعة الوصل في سطور

«جامعة الوصل» مؤسسة جامعية من مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي في الدولة، وقد تحوّلت بموجب قرار وزاري رقم (١٠٧) لعام ٢٠١٩، من «كلية الدراسات الإسلامية والعربية» - الاسم السابق - إلى: جامعة الوصل.

وقد مرت الجامعة بمرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى:

نشأت النواة الأساسية للجامعة سنة ١٩٨٦-١٩٨٧ م بمسمى «كلية الدراسات الإسلامية والعربية»، عند تأسيسها من السيد جمعة الماجد وتعهدها بالإشراف والرعاية مع فئة مخلصة من أبناء هذا البلد آمنت بفضل العلم وشرف التعليم.

♦ رعت حكومة دبي هذه الخطوة المباركة وجسّدها قرار مجلس الأمناء الصادر في عام ١٤٠٧ هـ الموافق العام الجامعي ١٩٨٦ / ١٩٨٧ م.

♦ وبتاريخ ٢ / ٤ / ١٤١٤ هـ الموافق ١٨ / ٩ / ١٩٩٣ م أصدر معالي سموّ الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي في دولة الإمارات القرار رقم (٥٣) لسنة ١٩٩٣ م بالترخيص لها بالعمل في مجال التعليم العالي.

١- برامج البكالوريوس:

♦ صدر القرار رقم (٧٧) لسنة ١٩٩٤ م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية والعربية بالدرجة الجامعية الأولى في الدراسات الإسلامية.

♦ ثم صدر القرار رقم (٥٥) لسنة ١٩٩٧ م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في اللغة العربية الممنوحة بالدرجة الجامعية الأولى في هذا التخصص.

♦ أعتد برنامج بكالوريوس علوم المكتبات والمعلومات عام ٢٠٢٠.

♦ احتفلت بتخريج الرعيّل الأول من طلابها في ٢٣ شعبان ١٤١٢ هـ الموافق ٢٦ / ١٢ / ١٩٩٢ م تحت رعاية صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رحمه الله.

♦ واحتفلت بتخريج الدفعة الثانية من طلابها والأولى من طالباتها في ٢٩ / ١٠ / ١٤١٣ هـ الموافق ٢١ / ٤ / ١٩٩٣ م.

♦ تخرج منذ تأسيسها في العام الجامعي الأول في ١٤٠٦ / ١٤٠٧ هـ الموافق - ١٩٨٦ / ١٩٨٧ م إلى نهاية عام ٢٠٢٢-٢٠٢٣ (١٣٤٢١)؛ منهم (١٠٧١٨) طالبة و (٢٧٠٣) طالباً.

برامج الدراسات العليا:

♦ أنشئ برنامج الدراسات العليا بها في العام الجامعي ١٩٩٥ / ١٩٩٦ م يخوّل للملتحقين به الحصول على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية واللغة العربية وآدابها، وشرع في برنامج الدكتوراه بدءاً من العام ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ م.

♦ اعتمدت بدءاً من العام ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ برنامج الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها في شعبي الأدب والنقد واللغة والنحو.

♦ وفي ٢٤ / ٢ / ٢٠١٧، يعلن مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة، عن منحها علامة دبي للوقف.

أعيد اعتماد برامج الماجستير والدكتوراه؛ فصارت الجامعة تمنح:

♦ درجة الماجستير في الدراسات الأدبية والنقدية.

♦ درجة الماجستير في الدراسات اللغوية.

♦ درجة الماجستير في الفقه وأصوله.

♦ درجة الدكتوراه في الفلسفة في الفقه وأصوله.

♦ درجة الدكتوراه في الفلسفة في الدراسات الأدبية والنقدية.

♦ درجة الدكتوراه في الفلسفة في الدراسات اللسانية.

♦ بلغ المجموع الكلي للخريجين والخريجات في الدراسات العليا إلي تاريخ صدور العدد، (٣٥٣) طالباً؛ منهم (٢٤٠) خريجاً بشهادة الماجستير و (١١٣) خريجاً بشهادة الدكتوراه.

المرحلة الثانية: تطورت من (كلية الدراسات الإسلامية والعربية) بقرار وزاري رقم ١٠٧ لعام ٢٠١٩، إلى (جامعة الوصل)، لتحمل عدة مُستجدات في:

الرؤية:

تطمح جامعة الوصل إلى أن تكون لبرامجها وقدراتها البحثية الصدارة إقليمياً ودولياً.

الرسالة:

تقديم برامج غير ربحية ذات جودة عالية في البكالوريوس والدراسات العليا؛ لتأهيل كوادر متخصصة لسوق العمل المحلي والإقليمي، وتعزيز القدرات البحثية وتطوير التفكير الإبداعي، وتنمية الشراكة المجتمعية في بيئة جامعية تتسم بالأصالة والحدثة والابتكار.

مجلس الأمناء:

يقوم مجلس الأمناء بالإشراف على الشؤون العامة للجامعة وتوجيهها لتحقيق أهدافها، ويضم المجلس إضافة إلى رئيسه (مؤسس الجامعة) عدداً من الشخصيات المتميزة التي تجمع بين العلم والمعرفة والرأي والخبرة، ممن يمثلون الفعاليات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

كليات الجامعة: تشمل الجامعة الآتية:

- ◆ كلية الدراسات الإسلامية.
- ◆ كلية الآداب.
- ◆ كلية الإدارة.

نظام الدراسة:

- ◆ مدة الدراسة للحصول على درجة الإجازة (البكالوريوس) أربع سنوات لحاملي الشهادة الثانوية الشرعية أو الثانوية العامة بفرعها: العلمي والأدبي أو ما يعادلها.
- ◆ تقوم الدراسة في الجامعة على أساس النظام الفصلي الساعات المعتمدة.
- ◆ يلتزم الطالب بالحضور ومتابعة الدروس والبحوث المقررة.
- ◆ نظام الدراسة في الدراسات العليا: مدة برنامج الماجستير سنتان والدكتوراه ثلاث سنوات، مع سنة تمهيدية متضمنة في كليهما.

البحث العلمي والخدمة المجتمعية: يهتم البحث العلمي بعدد من المحاور منها:

- ١- المؤتمرات: تقيم الجامعة عددًا من المؤتمرات العلمية المحكمة سنويًا منها:
 - ◆ ندوة علمية دولية في الحديث الشريف كل سنتين، وقد كانت ندوتها الحادية عشرة في ٢٠٢٣.
 - ◆ مؤتمر اللغة العربية الدولي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الثاني في ٢٠٢٢.
 - ◆ مؤتمر الدراسات الإسلامية الدولي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الأول في ٢٠٢٢.
 - ◆ المؤتمر الدولي للدراسات العليا والبحث العلمي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الثالث في ٢٠٢٣ م.
 - ◆ المؤتمر الدولي للسانيات، يعقد كل عامين، ويعقد المؤتمر الثاني في يونيو ٢٠٢٣.
 - ◆ المؤتمر الدولي للسرديات، يعقد كل عامين، عقد المؤتمر الأول في ٢٠٢٢.
- ٢- المجالات المحكمة: تصدر جامعة الوصل ثلاث مجلات علمية محكمة، وهي:
 - ◆ مجلة جامعة الوصل، تصدر مرتين كل عام.
 - ◆ مجلة فكر ومعرفة، تصدر عن كلية الآداب مرة في العام.
 - ◆ مجلة الموثل، تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية، مرة في العام.
- ٣- الكتاب العلمي: تصدر الجامعة الكتاب العلمي، وله فرعان:
 - ◆ الأول: الكتاب العلمي (مراجع دراسي)، وصدر منه ٣٣ كتاباً.
 - ◆ الثاني: الكتاب العلمي (غير المخصص لأغراض دراسية).
- ٤- مشروع طباعة الرسائل الجامعية، تسهر الجامعة على طباعة الرسائل العلمية الجامعية المتميزة وتوزيعها مجاناً.
- ٥- المكتبة الإلكترونية، مفتوحة الوصول (open access) على موقع الجامعة.

قسيمة اشتراك

أرجو قبول اشتراكي / اشتراكنا في مجلة جامعة الوصل لمدة (.....).

سنة، ابتداء من:.....

– الاسم الكامل:.....

– العنوان:.....

– الهاتف:.....

– البريد الإلكتروني:.....

– قيمة الاشتراك:.....

رسوم الاشتراك

قيمة الاشتراك		نوع الاشتراك		مصدر الاشتراك	
الطلبة	الأفراد	المؤسسات	الكمية		الفترة
٥٠ درهم إماراتي	٨٠ درهم إماراتي	١٠٠ درهم إماراتي	٢	سنة واحدة	داخل دولة الإمارات العربية المتحدة
١٠٠ درهم إماراتي	١٥٠ درهم إماراتي	٢٠٠ درهم إماراتي	٤	سنتان	
٣٠ دولار أمريكي	٤٠ دولار أمريكي	٥٠ دولار أمريكي	٢	سنة واحدة	خارج دولة الإمارات العربية المتحدة
٦٠ دولار أمريكي	٨٠ دولار أمريكي	١٠٠ دولار أمريكي	٤	سنتان	

طريقة الدفع:

– داخل دولة الإمارات العربية المتحدة: نقدًا (مكتب المجلة بالحرم الجامعي)، أو حوالة مصرفية.

– خارج دولة الإمارات العربية المتحدة: تحويل مصرفي.

– البيانات: جامعة الوصل.

بنك دبي الإسلامي – دبي

رقم الآيبان: AE030240001520816487801

يُرسَل وصل الإيداع على العنوان العادي: (رئيس تحرير مجلة جامعة الوصل
ص.ب. ٣٤٤١٤ دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة. هاتف: ٠٠٩٧١٤٤١٢٨٧١٧)

أو العنوان الإلكتروني: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae

قواعد النشر

أولاً:

تنشر المجلة البحوث العلمية باللغات العربية، والإنجليزية والفرنسية؛ تحريراً أو ترجمةً، على أن تكون بحوثاً أصيلة مبتكرة تتصف بالموضوعية والشمول والعمق، ولا تتعارض مع القيم الإسلامية، وذلك بعد عرضها على محكمين من خارج هيئة التحرير بحسب الأصول العلمية المتبعة.

ثانياً:

١. يراعى في البحث أن يتميز بالأصالة وأن يضيف إضافة جديدة للعلم والمعرفة، وأن يكون مستوفياً للجوانب العلمية بما في ذلك عرض الأسس النظرية والأهداف الخاصة من إجراء البحث والإجراءات المستخدمة في استخلاص النتائج وعرض النتائج والمناقشة.
٢. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للشروط الآتية:
٣. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلاً من بحث أو من رسالة أكاديمية نال بها الباحث درجة علمية، وعلى الباحث أن يقدم تعهداً خطياً بذلك عند إرساله إلى المجلة.
٤. تقبل البحوث التي تكون جزءاً من رسالة جامعية لم تناقش بعد.
٥. لا يجوز للباحث أن ينشر بحثه بعد قبوله في المجلة في مكان آخر إلا بإذن خطي من رئيس التحرير، وإلا تكفل الباحث بسداد التكلفة المالية لتحكيم بحثه خلال الدورة التحكيمية.
٦. يراعى ضبط الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، إن استشهد بها في البحوث.
٧. يُكتب البحث بمسافات (مفردة)، على ألا يقل عدد صفحاتها عن (٢٠) صفحة بواقع (٥٠٠٠) خمسة آلاف كلمة، ولا يزيد عن (٣٠) صفحة في (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة، وحجم الخط (١٦) نوع (Simplified Arabic)، وإذا زاد البحث عن (٣٠) صفحة، فعلى الباحث دفع تكاليف الطباعة للصفحات الزائدة؛ وهي (٥) دولارات عن كل صفحة.
٨. ترسل من البحث نسخة إلكترونية، وفق برنامج "Word ٢٠١٠" وتكتب أسماء الباحثين

باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوينهم ووظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، بحسب كشف البيانات المرفق؛ وذلك (بغرض التوثيق الدولي).

٩. يُرفق مع البحث ملخص باللغة العربية (في حدود ١٢٠ كلمة) وآخر باللغة الإنجليزية (في حدود ١٥٠ كلمة)، ويتضمن على الأقل أهداف البحث وإشكاليته، ومنهجه وأهم نتائجه، وإسهامات البحث، وخمسة كلمات مفتاحية.

١٠. يُرفق بالبحث الترجمة الكاملة لقائمة المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية؛ وذلك بغرض التوثيق الدولي.

١١. ترقم الجداول والأشكال والصور التوضيحية وغيرها على التوالي بحسب ورودها في متن البحث، وتزود بعنوانات يشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه، وتقدم بأوراق منفصلة.

١٢. يتبع المنهجية العلمية في توثيق البحوث على النحو الآتي:

◆ يشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة آلياً توضع بين قوسين إلى الأعلى (هكذا: (١) (٢)) وتبين بالتفصيل في أسفل الصفحة وفق تسلسلها في المتن.

◆ تذكر بيوغرافيا (معلومات الكتاب) في أول ورد لها في البحث على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المحقق (إن وجد) أو المترجم، دار النشر، بلد دار النشر، رقم الطبعة يشار إليها بـ (ط) إن وجدت، التاريخ إن وجد وإلا يشار إليه بـ (د.ت). أما بحوث الدوريات فتكون المعلومات على النحو الآتي: (اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، جهة الإصدار، بلد الإصدار، رقم العدد، التاريخ، مكان البحث في المجلة ممثلاً بالصفحات (من... إلى...)).

◆ إذا تكررت بعد أول إيراد له يُكتفى باسم المؤلف وعنوان المصدر، فإن تكرر مباشرة في الصفحة نفسها يكتب: (المرجع نفسه)، فإن تكرر مباشرة في الصفحة اللاحقة يكتب: (المرجع السابق).

◆ يشار إلى الشروح والملحوظات في متن البحث بنجمة (هكذا: ×) أو أكثر.

◆ تثبت المصادر والمراجع في قائمة آخر البحث مرتبة ترتيباً هجائياً بحسب اسم المؤلف يليه الكتاب والمعلومات الأخرى.

١٣. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة من البحث، وتقرير عن التعديلات التي قام بها.

١٤. يحرص الباحث على تدقيق بحثه لغوياً، ولا تقبل المجلة بحوثاً غير مدققة لغوياً.

ثالثاً: الشروط الإضافية على البحوث المترجمة:

١. أن ترفق مع الترجمة المادة المترجمة بلغتها الاصلية.
٢. يرفق مع الترجمة ملخصان أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية أو الفرنسية، على ألا يتجاوز كل ملخص (١٢٠) كلمة، مع الكلمات المفتاحية.
٣. تكون المادة المترجمة محكمة، أو منشورة في إحدى المجالات المحكمة، أو قد تكون جزءاً من كتاب محكم.
٤. لا يتجاوز عدد صفحاتها / ٢٠ صفحة / من الحجم العادي (A٤) (٦٠٠٠ كلمة) ولا يقل عن / ٧ صفحات / .
٥. المحافظة على النص الأصيل وتفاذي الاختزال ما لم يُشر إلى ذلك وبهدف تحسين الترجمة.
٦. أن تكون الجمل مترابطة ومتناسكة وتخدم المعنى المقصود في المادة الاصلية.
٧. يذكر في أول إحالة في الترجمة اسم المؤلف الأصلي مع نبذة عن إسهاماته.
٨. تشتمل الترجمة على مقدمة في سطور تبين الأهمية العلمية للمادة المترجمة، وأهم النتائج المتوقعة

رابعاً:

١. ما ينشر في المجلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.
٢. البحوث المرسلّة إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
٣. يخضع نشر البحوث وترتيبها لاعتبارات فنية، بحسب خطة النشر.
٤. يحق للمجلة - عند الضرورة - إجراء بعض التعديلات الشكلية على البحوث المقبولة للنشر دون المساس بمضمونها.
٥. يحق للمجلة نشر البحوث المقبولة إلكترونياً، والمشاركة بها في قواعد البيانات والمواقع الإلكترونية.
٦. يزود الباحث بعد نشر بحثه بنسخة إلكترونية (PDF) من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومستلة (PDF) لبحثه.

خامساً: رسوم النشر:

◆ إسهاماً من مجلة جامعة الوصل في إثراء الحركة البحثية في دولة الإمارات العربية المتحدة بشكل خاص، وكل الأقطار العربية والإسلامية بشكل عام، فإن المجلة لا تحمل الباحثين أية رسوم، إلا ما سبق الإشارة إليه في بند (٧) ثانياً.

◆ ترسل البحوث وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى:

رئيس تحرير مجلة جامعة الوصل

ص.ب. ٣٤٤١٤ دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٠٠٩٧١٤٤١٢٨٧١٧ - فاكس ٠٠٩٧١٤٣٩٦٤٣٨٨

أو البريد الإلكتروني: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae

- الافتتاحية
 - رئيس التحرير..... ٢٠-١٩
- قواعد البيانات العالمية ومعايير تقييم الدوريات العلمية (٢)
 - المشرف العام..... ٢٢-٢١
- البحوث..... ٢٣
- الاعتكاف في البيوت عند إغلاق المساجد أو عدم وجودها - دراسة فقهية مقارنة
 - د. عبد الحميد بن عبد السلام بنعلي ٧٠-٢٥
- اكتساب الناطقين بغير اللغة العربية الأصوات اللغوية وظيفياً (دراسة ميدانية)
 - أ. د. عبد القادر عبد الرحمن أسعد السعدي
 - أ. محمد رمضان ١٠٠-٧١
- الإمام أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيثي (ت ٤٧٦هـ) وأثره في إثراء الدرس الإقرائي بالغرب الإسلامي
 - د. مراد زهوي ١٤٤-١٠١
- تجليات تذوق الشعر عند عبد الملك بن مروان
 - د. فتح الرحمن محمد أحمد الجعلي ١٨٨-١٤٥
- التكتيف الشعري في قصيدة (العراق)، لعدنان الصائغ - دراسة أسلوبية
 - د. دوش بنت فلاح الدوسري ٢٣٠-١٨٩

● التّمنيةُ المُستدامةُ في السنةِ النبويّةِ الشريفةِ غزوةِ حُنَيْنٍ نموذجًا

د. هناء أبوبكر محمد بابطين ٢٦٨-٢٢١

● حكم إقراض الأجنبي من مال الشركة والاقتراض لها منه

أ. د. عبد المجيد محمود سلام الصلاحين ٣٠٤-٢٦٩

● خصائص بعض الأصوات العربيّة لعينة من الإندونيسيين المقيمين
بالمناطق الشماليّة والشرقيّة بالسعوديّة

د. منى محمد علي بشر ٣٤٠-٣٠٥

● دعوات تجديد في البلاغة العربيّة

د. هناء عمر خليل

د. رلى يوسف عصفور ٢٨٢-٢٤١

● الذات المتكلمة في شعر العباس بن الأحنف

د. لبنى علي المفتاحي ٤٠٤-٣٨٣

الإفتاحية

أ. د. أحمد رحمانى

رئيس التحرير



الحمد لله الذي بحمده تتم الأعمال الصالحة، والصلاة والسلام على معلم البشرية، وبعد:

إن هذا العدد السابع والستين من مجلة جامعة الوصل يطلّ علينا بموضوعات وبحوثٍ علميةٍ أكاديميةٍ متنوّعةٍ محكمةٍ تحكيماً علمياً مبنياً على أسسٍ عالميّة، صادرة من باحثين متخصصين، في مجال طبيعة كل بحث؛ والهدف من ذلك هو تحقيق المعايير العالمية في الجودة؛ من أجل ترقية البحث العلمي ليحقق أهدافه المعرفية والتربوية والإبداعية، وقد عملت المجلة على أن تتوّع في المجالات المعرفية وموضوعاتها؛ لذلك جعلت من معاييرها التنوع في الاختصاصات الأقرب إلى الروح العلمية، والموضوعات الأكثر جدة وحيوية وجدارة في الجدة، ولعل ذلك كان يقتضي مراعاة التوزيع الإقليمي حتى لا تكون القدرات الأكاديمية ذات طابع واحد؛ إيماناً منا بقيمة التنوع الإقليمي في التجديد والتنوع المعرفي والمنهجي، كما يبدو واضحاً في أسس البحث العلمي بكل الأقطار التي تسهم في البحث عالمياً، بغض النظر عن الحدود الثقافية واللغوية.

وقد تضمن هذا العدد، بناءً على ذلك، الموضوعات الآتية:

١. (الاعتكاف في البيوت عند إغلاق المساجد أو عدم وجودها - دراسة فقهية مقارنة)، وهو موضوع يرمي من الناحية المعرفية إلى تعميق الوعي بالمجالات الفقهية ذات الطبيعة الخاصة، التي يقصدها في الغالب الخواص من حيث الهدف من تربية المشاعر الدينية، ولذلك كانت طبيعة الدراسة فقهية مقارنة.
٢. أما موضوع (اكتساب الناطقين بغير اللغة العربية الأصوات اللغوية وظيفياً - دراسة ميدانية)، فقد كان يهدف إلى تجاوز الحدود القومية ليبدلي بدلوه في التشابك اللغوي بين اللغات، ويكشف مدى أثر بعضها في بعض، وهي ظاهرة غالباً ما تنتج عن الاحتكاك الحضاري بين الشعوب.
٣. ولاشك أن موضوع (الإمام أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني (ت ٤٧٦هـ) وأثره في إثراء الدرس القرآني، بالغرب الإسلامي)، فيحكم العلاقة العلمية التاريخية بين الشرق والغرب في العصور العلمية الزاهية من عمر الحضارة العربية الإسلامية، حيث يتم التفاعل العلمي بصورة قوية أسهمت في نشر الثقافة.

٤. وقد كان موضوع (تجليات تذوق الشعر عند عبد الملك بن مروان) مجالاً لإثارة ظاهرة نقدية تميز وجهاً تاريخياً يتمثل في الانفتاح الثقافي بين المبدعين والقيادات في العصور الذهبية من الحضارة العربية الإسلامية.

٥. ثم إن (التكثيف الشعري في قصيدة (العراق) لعدنان الصائغ - دراسة أسلوبية) كان صورة مقابلة للصورة التاريخية السابقة؛ إذ يبرز ظاهرة بحثية تميز العصر الحديث من الناحية النقدية، حيث يركز النقد على الشعرية من حيث هي أسلوب.

٦. ويهدف موضوع (التمتية المستدامة في السنة النبوية الشريفة، غزوة حنين نموذجاً) إلى استغلال مفهوم (الاستدامة) ودوره الفعال في التنمية، اعتماداً على النموذج التاريخي في السنة النبوية.

٧. أما موضوع (حكم إقراض الأجنبي في مال الشركة والاقتراض لها منه) فيعالج المتعلقة المالية في ضوء المتغيرات العصرية، وما طرأ على الحياة من آثار جديدة تتطلب أحكاماً فقهية، تضيء طريق التعامل المالي في حالتها الأخذ والعطاء، بوصف ذلك صورة من صور الاقتراض بين الشركات.

٨. وقد كان موضوع (خصائص بعض الأصوات العربية لعينة من الأندونيسيين المقيمين بالمنطقتين الشمالية والشرقية بالسعودية) متكاملًا مع الموضوع الثاني السابق؛ إذ يطرح مشكلاً لغوياً صوتياً مثله، لكنه يخصص هنا لساناً معيناً في تفاعله لغوياً مع منطقتين للسان العربي في المجتمع السعودي.

٩. وتعدّ محاور (دعوات التجديد في البلاغة العربية) من الموضوعات المعاصرة التي تلتبس بطريقة لكشف الجهود البحثية في أعماق البلاغة العربية، التي تعدّ المرتكز الأساس في التعبير والتوصيل المعرفي القديم والحديث.

١٠. ولعل آخر موضوع من موضوعات هذا العدد يقف عند (الذات المتكلمة في شعر العباس بن الأحنف) ليوظف إحدى المرتكزات البحثية النقدية المعاصرة التي تبحث العلاقة بين الشعر والشاعر، بوصفه متكلماً معبراً عن الذات الشاعرة.

ومن ذلك التنوع في الموضوعات، ومناهج المقاربات المنهجية والنقدية، تأمل المجلة أن تكون قد قدمت في هذا العدد للقارئ الكريم ما يليبي حاجة الباحثين في العلوم الإنسانية واللغوية والأدبية والنقدية، والله نسأل التوفيق والسداد.

كلمة المشرف: قواعد البيانات العالمية ومعايير تقييم الدوريات العلمية (٢)

بقلم: الأستاذ الدكتور محمد أحمد عبد الرحمن

تحدثنا في العدد السادس والستين - وهو متاح للتحميل من موقع الجامعة - عن قواعد البيانات العالمية، فوضحنا أنواعها، ثم إننا تكلمنا عن قاعدة بيانات Scopus، فذكرنا معاييرها، ودراسنا مواقف الباحثين منها. أما في هذا العدد فإننا سنتحدث عن ثاني أشهر قواعد البيانات وأكبرها، وهي قاعدة Web Of Science أو شبكة العلوم.

أطلقت مؤسسة معهد المعلومات العلمية Institute for scientific information أو اختصاراً ISI قواعد البيانات المفهرسة أو محرك البحث Web of Knowledge (شبكة المعرفة) عام ٢٠٠٥، وقامت بإدارته شركة تومسون رويترز، ثم انتقلت إدارته إلى شركة Clarivate Analytics ليتغير اسمه إلى Web of Science أو شبكة العلوم؛ ليصبح خلال هذه السنوات من أكبر محركات البحث العلمية على مستوى العالم، إذ يضم أكثر من ١٦١ مليون تسجيل علمي و ٢٤ ألف مجلة علمية محكمة مفهرسة، بالإضافة إلى أكثر من ١,٧ مليار مرجع مقتبس، وقد حرصت المؤسسة على جمع البيانات القديمة؛ إذ تعود إلى حوالي ١٢٠ سنة من التوثيق العلمي والمصادر العلمية؛ مما يجعلها بنكاً ضخماً، يلجأ إليه الباحثون عند تأليف كتبهم وكتابة بحوثهم.

وعن طريق محرك البحث هذا يستطيع الباحثون الوصول إلى الأدبيات العلمية بأكثر الطرق يسراً وسهولة، كما يستطيعون التعمق في مجالات البحث، والإحاطة به من جميع جوانبه؛ بسبب سرعة أرشفة البحوث في محرك البحث؛ مما أدى إلى أن تحتل شبكة العلوم مرتبة متقدمة بين أكبر قواعد البيانات وأشهرها من أمثال Scopus.

يحتوي محرك شبكة العلوم على عشرة فهارس جمعت من آلاف المجلات العلمية والكتب والمؤتمرات وسلاسل الكتب، وغير ذلك، وهذه الفهارس هي: فهرس الاقتباس العلمي الموسع، الذي يحتوي على جميع المجلات المفهرسة المحكمة ذات معامل التأثير في مجالات العلوم التطبيقية المختلفة، وفهرس الاقتباس للعلوم الاجتماعية الذي يحتوي على المجلات المفهرسة المحكمة ذات معامل التأثير في مجالات العلوم الاجتماعية، وفهرس اقتباس العلوم الإنسانية والفرن الذي يحتوي على مجلات علمية في مجال الأدب الرصين، وفهرس اقتباس المراجع الناشئة، وهو فهرس لا ينحصر في مجال معين، بل يشمل المجالات الثلاثة السابقة، وقد أسس هذا الفهرس عام ٢٠١٥، ويختص بالمجلات التي تُقيم تقييمًا أوليًا، أثناء رحلة تسجيلها، فإذا ما تجاوزت مراحل التسجيل فإنها تنتقل تلقائيًا إلى أحد التصنيفات الثلاثة الأولى، ثم يأتي فهرس اقتباسات الكتب الذي تُضاف إليه سنويًا آلاف الكتب، وخاصة تلك الصادرة منذ عام

الفين، ثم يأتي فهرس اقتباس المؤتمرات الذي يحتوي على خمسة آلاف ومئتي مؤتمر، منها ما هو مغطى بشكل جزئي، ومنها ما هو مغطى بشكل كامل.

ولعل أهم ما يميّز به محرك البحث (شبكة العلوم) أنه سعى إلى إضافة بعض الفهارس للناطقين بغير الإنجليزية، ولعل من أهم هذه الإضافات: فهرس اقتباسات العلوم الصينية، وفهرس المكتبة العلمية الإلكترونية، وفهرس الاقتباس الكوري، وفهرس اقتباس العلم الروسي، والكشاف العربي للاستشهادات المرجعية (Arabic Citation Index)؛ إذ أصدرت نسخة عربية من هذه الفهارس بالتعاون مع بنك المعرفة المصري.

أما شروط التصنيف - كما دوّنت في موقع البحث - فتتم على مراحل: الأولى مرحلة الفحص الأولي، ويشترط فيها الحصول على رقم دولي موحد للدوريات (ISSN)، وأن يكون عنوان المجلة مميّزاً ومتناسباً مع محتواها، وأن يكون للناشر عنوان جغرافي، وأن يكون للمجلة موقع إلكتروني، مع وجود آلية تحكيم واضحة، وأن يتم التواصل عن طريق بيانات التواصل المدرجة في أعداد المجلة. أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الفحص التحريري، وفيها يشترط أن يكون محتوى المجلة علمياً، وأن تكون العناوين والملاحظات باللغة الإنجليزية، مع وضوح الترجمة إذا كانت المجلة بلغة أخرى، وأن تكون المصادر مكتوبة بالحروف الرومانية، مع الالتزام بجدول النشر المذكور على موقع المجلة، بالإضافة إلى أن تكون المعلومات على موقع المجلة واضحة، ويسهل الوصول إليها، مع وجود نسخة إنجليزية لموقع المجلة، ووجود قواعد لأخلاقيات البحث العلمي على الموقع، وقائمة بأسماء هيئة التحرير، وانتمائهم المؤسسي. ثم تأتي المرحلة الثالثة وهي التقييم التحريري للجودة، وتضم توافق المؤلفين في مجال المجلة، والتنوع الجغرافي لهم، كما يجب أن يكونوا معروفين، وأن يعكس المحتوى وجود تحكيم حقيقي، وأن يستشهد المؤلفون بالأدبيات السابقة في البحوث المنشورة، ووجود خزانة شكر للدعم المادي (للتخصصات التي تتطلب دعماً). أما المرحلة الرابعة والأخيرة فتختص بالتقييم التحريري لمعامل التأثير، وفيها يتم تحليل الاستشهادات المقارنة، واستشهادات المؤلفين في شبكة المعلومات، وتحليل استشهادات أعضاء هيئة التحرير في شبكة المعلومات وأهمية المحتوى.

إن مقارنة بسيطة بين هذه المعايير ومعايير قاعدة البيانات Scopus توضح لنا تشابه المعايير بين القاعدتين، وإن كانت شروط إدراج المجلات في Scopus أيسر وأسرع؛ لأنه يتم في مرحلة واحدة فقط، وليس في أربع مراحل كما في شبكة العلوم، وقد أدى هذا التيسر وهذه السرعة إلى تسلل بعض المجلات المفترسة إلى قاعدة بيانات Scopus مما أدى بقاعدة البيانات إلى استحداث معايير لإعادة التقييم سنوياً بطريقة آلية.

البحوث

الاعتكاف في البيوت عند
إغلاق المساجد أو عدم وجودها
دراسة فقهية مقارنة

**Al I'tikaf at Home When Mosques are
Closed or Absent
A Comparative Jurisprudential Study**

د. عبد الحميد بن عبد السلام بنعلي
جامعة الجوف - المملكة العربية السعودية

Dr. Abdelhamid Ben Ali
Al-Jouf University, Kingdom of Saudi Arabia

<https://doi.org/10.47798/awuj.2023.i67.01>

تاريخ تسلم البحث 2022/09/07 - وصدر خطاب القبول 2023/01/04



Abstract

This study aims to explain the ruling of Al l'tikaf at home when epidemics and plagues are common that prevent the opening of mosques, places of worship, and other places of gatherings, as well as in the absence of mosques, or their closure by an official decision. The study aims to discuss this issue in accordance with the principles of Sharia and its rules and to explain what was quoted in that from the scholars in similar cases, and then the weighting of the chosen opinion in this issue according to the rules of weighting followed. Describing the ruling of this issue necessitates listing the purposes of Sharia envisaged from this worship.

In his paper, the researcher adopted the descriptive deductive approach, which is based on extracting legal principles and rulings supported by clear evidence.

At the end of his study, the researcher concluded to be convinced that it is permissible for a Muslim to retreat to the masjid of his home if the case is as described, according to the rule: «What can be done does not stop because of what cannot be done», and «the absence of the condition does not require the absence of the conditional», and so on from the rules that frame the theory of legal alternatives when difficulty is there.

Keywords: Al l'tikaf at home, Al l'tikaf when there are no mosques, Al l'tikaf when mosques are closed, Al l'tikaf in a country where there is no mosque, Al l'tikaf in a non-mosque.

ملخص البحث

تروم هذه الدراسة بيان حكم الاعتكاف في مساجد البيوت عند شيوع الأوبئة والطواعين التي تحول دون فتح المساجد ودور العبادة وسائر أماكن التجمعات، وكذلك في حال عدم وجود المساجد، أو إغلاقها بقرار رسمي. وتهدف الدراسة إلى تخريج هذه المسألة النازلة على أصول الشريعة وقواعدها، وبيان ما نقل في ذلك عن أهل العلم في الحالات المماثلة لها، ثم ترجيح الرأي المختار في هذه النازلة طبقاً لقواعد الترجيح المتبعة، واقتضى بيان الحكم في ذلك التمهيد له بسرد مقاصد الشريعة المتوخاة من هذه العبادة.

اعتمد الباحث في بحثه المنهج الوصفي الاستنباطي الذي يقوم على استخراج مبادئ وأحكام شرعية مدعمة بالأدلة الواضحة.

وقد خلص الباحث في نهاية دراسته إلى الاقتناع بجواز أن يعتكف المسلم في مسجد بيته إذا كان الحال كما وُصف؛ طبقاً لقاعدة: «الميسور لا يسقط بالمعسور»، و«فوات الشرط لا يوجب فوات المشروط»، ونحو ذلك من القواعد المؤطرة لنظرية البدائل الشرعية عند تعذر العزائم.

الكلمات المفتاحية: الاعتكاف في البيوت، الاعتكاف عند عدم المساجد، الاعتكاف عند إغلاق المساجد، الاعتكاف في البلد الذي ليس فيه مسجد، الاعتكاف في غير المسجد.

المقدمة

الحمد لله الذي يقص الحق وهو خير الفاصلين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد أصاب معظم أرجاء العالم هذه الأيام هذا الداء المسمى (كوفيد ١٩) (COVID-١٩) وقد صنفته منظمة الصحة العالمية بأنه وباء عالمي^(١).

وكانت خسائر هذا الوباء تفوق الحصر والتعداد، ويقال إن ضحاياه إلى هذا الوقت (١٠ / ٠١ / ٢٠٢٢ م) يقدر ما بين ١١ إلى ٢٠ مليون وفاة حسبما حققته المجلة البريطانية The Economist في أحدث تقرير لها حسبما أفاده موقع العربية نت^(٢)، أما الخسائر المادية، فشيء يفوق الوصف، وتقدر بنحو اثني عشر تريليون دولار^(٣)، والله المستعان.

وطبقاً لذلك قامت كثير من بلاد الإسلام بفرض حجر عام على الأصحاء إلا في حدود ضيقة، وأغلقت في سياق ذلك أماكن التجمعات كالمساجد ودور العبادة، وشفعت هذه القرارات باستصدار فتاوى تتعلق بإغلاق المساجد ومنع الصلاة فيها بشكل دائم إلى أن تخف آثار الجائحة.

وأمام هذه الإجراءات ثار في نفسي فكرة بحث نازلة من النوازل المتعلقة بهذا الوباء، ووقع الاختيار على مسألة (الاعتكاف في البيوت)، وذلك للأهداف التي يأتي ذكرها قريباً بمشيئة الله.

مشكلة الدراسة:

يروم هذا البحث علاج مشكل قائم يتجلى في الجواب عن سؤال مفترض

1- <https://www.skynewsarabia.com/world/1329937>

2- <https://ara.tv/ybvgh>

٣- ينظر الموقع التالي: <https://cutt.us/e0n7X>

هو: هل يعد الاعتكاف في البيوت في المكان الذي لا يوجد فيه مسجد أو حيث يتم إغلاق المساجد بقرار ملزم بديلا عن المسجد أم أن الاعتكاف يسقط رأسا؟. وهو إشكال ينبثق من الواقع حيث إن كثيرا من الأقطار في العالم لا توجد فيها مساجد، ورأينا كيف تم إغلاق المساجد لمنع انتشار وباء كورونا في كثير من بلاد الإسلام.

تساؤلات الدراسة:

- ١- ما المراد بالاعتكاف، وما مقاصده وأهدافه؟.
- ٢- ما مدى صحة الاعتكاف في البيوت؟.
- ٣- هل يمكن للبيوت أن تحقق مقاصد الاعتكاف أو بعضاً منها؟.
- ٤- ما الآثار المترتبة على الاعتكاف في البيوت؟.

أهمية الدراسة ومبرراتها:

- ١- أن هذه نازلة فقهية، والنوازل لا يخفى ما لها من أهمية؛ لحاجة المسلم إلى معرفة حكم الشرع فيما ينزل بالناس في كل عصر وفي كل مصر.
- ٢- أن البدائل الشرعية لأداء العبادة في المساجد تحقق مقصود الشارع من هذه الشعيرة، وتنسجم مع مرونة الإسلام وتقديره للضرورات بقدرها، ولكن الأمر يستدعي بيان ذلك، وإقامة البرهان عليه، وهو ما تظطلع به هذه الدراسة بحول الله في خصوص نازلة الاعتكاف في البيوت.
- ٣- كما تبرز أهمية هذه الدراسة في محاولتها تخريج هذه النازلة على المسائل المسطورة، والأصول الشرعية المحررة، والتخريج فن قائم بذاته لا يخفى على الفقيه أهميته وثمرته، وأصالته في الاحتجاج وتقرير الأحكام.

أهداف الدراسة:

- ١- بيان مقاصد الشريعة في الاعتكاف، ووجه ارتباطه بالمسجد.
- ٢- تحرير أقوال الفقهاء والمعاصرين في تكييف هذه النازلة، وبيان الرأي الراجح فيها من وجهة نظر الباحث.
- ٣- بيان توسعة الرأي والخلاف فيما هو من مظان الاجتهاد، وهذا هدف تبعي.

الدراسات السابقة:

موضوع هذه الدراسة ينتمي إلى فئة النوازل، فلم يجر فيها للمتقدمين كلام مستقل، ولكن العلماء المعاصرين أصدروا فيها جملة من الفتاوى والآراء، وهي مبثوثة على شبكة الإنترنت، ثم رأيت حين أوشكت على الانتهاء منه دراسة مقارنة لموضوع هذه الدراسة بعنوان (حكم الاعتكاف في مساجد البيوت) للطالب / عبد الرحمن أحمد صابر علي، نشرته مجلة الجمعية الفقهية السعودية في عددها الحادي والخمسين.

وقد رأيت بعد الاطلاع عليه أن هناك جملة مسائل وأمور تباين بها دراستي هذه، تتلخص في:

- ١- أن الباحث نحى فيها منحى المنع من إقامة الاعتكاف في مساجد البيوت، وبالتالي لم يعط للرأي المخالف حقه، ولم يراعه حق رعايته، بخلاف هذه الدراسة فإنها توسعت بين الآراء، ورأت جواز الاعتكاف في مساجد البيوت إذا توفرت جملة شروط، والجواز بطبعه وسط بين الوجوب والتحريم.
- ٢- دراستنا هذه توطأ القول فيها ببيان مقاصد الشارع في الاعتكاف، ودراستها دراسة مسهبة؛ ليكون الحكم بعد ذلك منسجماً مع هذه المقاصد، بخلاف

الدراسة الأخرى، فهي خلو من هذا المبحث المهم.

منهج البحث:

اتبعت في إعداد هذه الدراسة المنهج الوصفي الاستنباطي، مع اعتماد المنهج التحليلي والمقارن، ملتزماً في إخراج البحث بالمتطلبات الإجرائية للبحث العلمي طبقاً للمنهجية المعهودة في كتابة الأبحاث الشرعية، مع مراعاة متطلبات مجلة جامعة الوصل للآداب والعلوم الإنسانية.

خطة الدراسة:

تشتمل هذه الدراسة على مقدمة تمهيدية، وأربعة مباحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وجاءت المباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف الاعتكاف، وبيان حكمه التكليفي.

المبحث الثاني: مقاصد الاعتكاف في الشريعة الإسلامية.

المبحث الثالث: حكم الاعتكاف في البيوت.

المبحث الرابع: آراء المعاصرين في الاعتكاف في البيوت عند شيوع الوباء.

المبحث الأول: تعريف الاعتكاف، وبيان حكمه التكليفي.

١- تعريف الاعتكاف:

الاعتكاف في اللغة: افتعال من العكوف، وهو مطلق المكث واللزوم، ومادة الكلمة تدل على مقابلة وحبس، يقال: عَكَفَ يَعْكُفُ وَيَعْكُفُ عُكُوفًا، والاسم الاعتكاف، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا﴾ [الفتح: ٢٥] أي محبوساً.

يقول ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): «العين والكاف والفاء: أصل صحيح يدل على مقابلة وحبس، يقال: عكف يعكف ويعكف عكوفاً، وذلك إقبالك على الشيء لا تنصرف عنه، قال:

فهن يعكفن به إذا حجا عكف النبيط يلعبون الفنرجا^(١)

«والتاء في الاعتكاف تفيد ضرباً من المعالجة والمزاولة؛ لأن فيه كلفة؛ كما يقال: عمل واعتمل، وقطع واقتطع، وربما حسب بعضهم أنه مطاوع عكفه فاعتكف، كما يقال: انعكف عليه، وهو ضعيف»^(٢).

والاعتكاف في اصطلاح الفقهاء لهم فيه عبارات مختلفة:

١- عرفه الحنفية بأنه: «لبث ذكر في مسجد جماعة، أو امرأة في مسجد بيتها»^(٣).

١- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، (بيروت: ١٩٧٩م) ط١، ج: ٤، ص: ١٠٨، وانظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م) ط٤، ج: ٤، ص: ١٤٠٦، والبيت للعجاج يصف خميراً وفحلاً، والفتنرج: لعبة يقال لها البنجان، فارسي معرب، ينظر: الجوهري، الصحاح، ج: ٤، ص: ١٤٠٦. عبد الملك بن قريش الأصبغي، ديوان العجاج، تحقيق: د. عزة حسن، (بيروت: دار الشرق العربي، ١٩٩٥م) ط١، ص: ٣٢٥.

٢- أحمد بن تيمية، شرح العمدة - كتاب الصيام، تحقيق: زائد النشيري، (دار الأنصاري، ١٩٩٦م) ط١، ج: ٢، ص: ٧٠٧.

٣- محمد أمين بن عابدين، حاشية ابن عابدين (بيروت: ١٤١٢هـ) ط٢، ج: ٢، ص: ٤٤١.

عنى بالذكر ما هو أعم من الرجل، فيصح الاعتكاف من الصبي المميز، ومسجد الجماعة أعم من الجامع الذي تقام فيه الجمعة، فيصح عندهم الاعتكاف في مطلق المساجد ما دام يرفع فيها الأذان، وسواء أديت فيها الصلوات الخمس أم لا، ومن الأحناف من شرط في المسجد أن يكون مما تؤدي فيه الصلوات الخمس، واختاره المتأخرون.

وقولهم: «أو امرأة في مسجد بيتها» مقابلة لاعتكاف الرجل في المسجد، فالمرأة تعتكف في مسجد بيتها، وهو ما تخصصه لصلاتها وخلوتها، ويكره لها أن تعتكف في المسجد وإن جاز، كما لا يصح من الرجل أن يعتكف في مسجد بيته^(١).

٢- وقالت المالكية في تعريفه: «لزوم مسجد مباح لقربة قاصرة بصوم معزوم على دوامه يوماً وليلة سوى وقت خروجه لجمعة أو لمعينه الممنوع فيه»^(٢).

عنى بالمسجد المباح، المسجد المتاح للعموم، وهو قيد أخرج به مساجد البيوت؛ لأنه لا يعتكف فيه، وقوله: «قربة» بيان للباحث على الاعتكاف، وهو ابتغاء وجه الله وحده، واحتراز به عن ملازمة المسجد لغرض دنيوي، فلا يكون اعتكافاً، ووصف هذه القربة بكونها قاصرة أي غير متعدية لغير المعتكف، مثل الذكر والصوم والصلاة.

وقوله «بصوم» هذا على المشهور من المذهب، وأخرج به إذا لازم المسجد بغير صوم، ويخرج به أيضاً: الجوار بمكة؛ فإنه لا يشترط فيه صوم، وقوله «معزوم» صفة للزوم؛ لأن اللزوم بمعنى الإقامة، والإقامة أعم من أن تكون بنية

١- ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ج: ٢، ص: ٤٤٠-٤٤١. وانظر: علاء الدين الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (بيروت: الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ) ط ٢، ج: ٢، ص: ١٠٨، الكمال بن الهمام، فتح القدير (بيروت: د. ت) ج: ٢، ص: ٣٨٩.

٢- محمد بن قاسم الرصاع، شرح حدود ابن عرفة، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٥٠هـ) ص: ٩٠.

العزم على الدوام، فلذا خصص اللزوم وقوله «يوماً وليلة» هو أقل الاعتكاف، وقيل أقله يوم أو ليلة.

وقوله: سوى وقت خروجه لجمعة أو لمعيته الممنوع فيه، بيان لحالات الاستثناء التي يجوز فيها للمعتكف مغادرة المسجد، وهي: شهوده صلاة الجمعة، وهذا على خلاف المشهور من المذهب، فإن الاعتكاف من شرطه أن يكون في مسجد جامع، أو قضاء حاجاته التي لا تقضى في المسجد^(١).

٣- وقال الشافعية: «اللبث في المسجد من شخص مخصوص بنية»^(٢).

٤- وقال الحنابلة: «لزوم المسجد لطاعة الله على صفة مخصوصة»^(٣).

وقال ابن حزم الظاهري (ت: ٤٥٦هـ): «الاعتكاف: هو الإقامة في المسجد بنية التقرب إلى الله عز وجل ساعة فما فوقها، ليلاً أو نهاراً»^(٤).

ويلاحظ على هذه التعريفات اختلافها؛ لاختلاف هذه المذاهب في بعض شروط وصفات الاعتكاف، وكلها تجتمع على ضرورة الإقامة في المسجد، وأن يكون ذلك بغرض القرية والطاعة.

٢- حكم الاعتكاف:

اتفق الفقهاء كافة على مشروعية الاعتكاف، وأنه من القربات والسنن المستحبات، ولا يجب إلا أن يلزم به المرء نفسه، وقد نقل غير واحد إجماع العلماء على ذلك^(٥).

- ١- الرضاع، شرح حدود ابن عرفة ص: ٩٠، وانظر: محمد الخرشني، شرح مختصر خليل، (بيروت، د. ت.) ج: ٢، ص: ٢٦٦، أحمد الدردير، الشرح الكبير، (بيروت: د. ت.) ج: ١، ص: ٥٤١.
- ٢- الخطيب الشربيني، مغني المحتاج (بيروت: الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ط ١، ج: ٢، ص: ١٨٨.
- ٣- منصور بن يونس البهوتي، كشف القناع، (بيروت: الكتب العلمية، د. ت.) ج: ٢، ص: ٣٤٧.
- ٤- علي بن حزم القرطبي، المحلى بالآثار (بيروت: د. ت.) ط ١، ج: ٣، ص: ٤١١.
- ٥- ممن نقل الإجماع: ابن المنذر، وابن حزم، والقرطبي، والنووي، وغيرهم: ينظر: يحيى بن شرف =

ومستند هذا الإجماع: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقوله سبحانه: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتَكَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وعن عائشة رضي الله عنها، «أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده»^(١).

يقول الإمام الزهري (ت: ١٢٣هـ) «عجبا للناس تركوا الاعتكاف، وقد كان رسول الله ﷺ يفعل الشيء ويتركه، ولم يترك الاعتكاف منذ دخل المدينة إلى أن مات»^(٢).

المبحث الثاني: مقاصد الاعتكاف في الشريعة الإسلامية:

الشرائع الإسلامية كلها تتوخى تحقيق أهداف سامية وغايات نبيلة تسمى مقاصد الشريعة، ولهذه المقاصد أهمية بالغة في إدراك الحكم الشرعي، وتمييز العلة المناسبة من غيرها، ومن هنا شرط الأصوليون على المجتهد العلم بمقاصد الشارع^(٣)، يقول الإمام الجويني (ت: ٤٧٨هـ): «ومن لم يتفطن لوقوع المقاصد

= النووي، المجموع شرح المذهب، (بيروت: د. ت)، ط ١، ج: ٦، ص: ٤٧٥. وانظر: علي بن حزم، مراتب الإجماع، (بيروت: الكتب العلمية، د. ت)، ص: ٤١، ابن عبد البر، الاستذكار في مذاهب علماء الأمصار (بيروت: الكتب العلمية، ٢٠٠٠م) ط ١، ج: ٣، ص: ٣٨٤، الكاساني، بدائع الصنائع ج: ٢، ص: ١٠٨، محمد بن رشد، بداية المجتهد (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٤) د. ط، ج: ٢، ص: ٧٦، علي بن حبيب الماوردي، الحاوي الكبير (بيروت: الكتب العلمية ١٤١٩هـ) ط ١، ج: ٣، ص: ٤٨١، ابن قدامة، المغني ج: ٣، ص: ١٨٦، ابن حزم، المحلى ج: ٣، ص: ٤١٢.

١- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح (بيروت: دار طوق النجاة، ٢٠٠٢م) كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد كلها، ج: ٣، ص: ٤٧، ح: ٢٠٢٦، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي د. ت)، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر ج: ٢، ص: ٨٣١، ح: ١١٧٢.

٢- ذكره الكاساني في بدائع الصنائع ج: ٢، ص: ١٠٨.

٣- انظر: إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، تحقيق مشهور حسن، (القاهرة: دار ابن عفان، ١٩٩٧) ج: ٥، ص: ٤١، ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين (بيروت: الكتب العلمية، ١٩٩١) ط ١، ج: ٣، ص: ١١.

في الأوامر والنواهي، فليس على بصيرة في وضع الشريعة»^(١)، وجعل الإمام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) إدراك القياس محجوباً عما لم يترو من مقاصد الشريعة، انظره يقول: «فإن العلم بصحيح القياس وفاسده من أجل العلوم، وإنما يعرف ذلك من كان خبيراً بأسرار الشرع ومقاصده، وما اشتملت عليه شريعة الإسلام من المحاسن التي تفوق التعداد، وما تضمنته من مصالح العباد في المعاش والمعاد، وما فيها من الحكمة البالغة، والرحمة السابغة، والعدل التام»^(٢).

إذا علم هذا فإن شعيرة الاعتكاف وضعت لتحقيق مقاصد سنية تروم في جملتها تزكية نفس المعتكف، وتطهير قلبه، والرقى به في مدارج السالكين حتى يكون بعون الله في مصاف الأبرار المقربين، فالاعتكاف إذن ليس مقصوداً لذاته^(٣)، بل لتلك المقاصد والأهداف، وفيما يلي عرضها مقصداً مقصداً، ومن الله نستمد العون والتوفيق:

المقصد الأول: مخالفة المشركين:

من أهم مقاصد الشريعة وأعلىها طلباً تمييز المسلم عن غيره فيما يطلب فيه التميز، ومباينته للمخالفين للملة، بل جعل بعض أهل العلم مخالفتهم من أجل مقاصد البعثة النبوية^(٤)، وما زال كبار الأئمة والفقهاء يعللون جملة من الأحكام والتكاليف بمخالفة المشركين^(٥).

وقد دل على مقصدية هذا الأمر نصوص كثيرة في القرآن والسنة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

- ١- عبد الملك الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، (بيروت: الكتب العلمية ١٩٩٧) ط١، ج: ١، ص: ١٠١.
- ٢- أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد، ١٩٩٥م) ط١، ج: ٢٠، ص: ٥٨٣.
- ٣- أشار لهذا الإمام ابن تيمية في شرحه للعمدة ج: ٢، ص: ٧٤٦.
- ٤- المصدر السابق ج: ١، ص: ٢٠٩.
- ٥- المصدر نفسه، ١، ص: ١٩٩.

تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴿[آل عمران: ١٠٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَبْرَحْ تَبْرِجَ أَجْهَلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، «فإن في ذلك ذمًا للتبرج وذمًا لحال الجاهلية الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة»^(١).

وكذلك ثبت النهي عن التشبه بالمشركين في اللحي والشوارب^(٢)، وعن التشبه بالمجوس في حلق اللحي^(٣)، وعن التشبه بالفرس والروم في سلامهم على شوسهم^(٤)، وجاء الحث على تغيير الشيب^(٥)، وتعجيل الفطر، وتأخير السحور مخالفة لأهل الكتاب^(٦)، وغير ذلك من الأحكام الكثيرة المعللة بالمخالفة للمخالفين للملة^(٧).

إذا علم هذا: فإن الاعتكاف من مقاصده مخالفة المشركين وعموم أهل الكتاب، ووجه ذلك: أن المشركين من شأنهم العكوف على أصنامهم، وملازمتها رجاء أن يأتيهم منها نفع، أو تصرف عنهم الضر، كما في قول إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]، وقول موسى عليه السلام للسامري: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْتَحَرِّقَهُ، ثُمَّ لَتَنَسِفَنَّ فِي أَيِّمِّ دَسْفًا﴾ [طه: ٩٧]، وقول الله سبحانه: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فشرع الله للمسلمين أن يعكفوا

- ١- نفس المصدر، ج: ١، ص: ٢٣٥.
- ٢- صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ج: ١، ص: ٢٢٢، ح: ٢٥٩.
- ٣- صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ج: ١، ص: ٢٢٢، ح: ٢٦٠.
- ٤- صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام، ج: ١، ص: ٣٠٩، ح: ٤١٣.
- ٥- صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الحضاب، ج: ٧، ص: ١٦١، ح: ٥٨٩٩، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في صبغ الشعر وتغيير الشيب، ج: ٣، ص: ١٦٦٣، ح: ٢١٠٣.
- ٦- انظر: أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩)، ط ١، كتاب الصوم، باب ما يستحب من تعجيل الفطر، ج: ٢، ص: ٧٦٣، ح: ٢٣٥٣، محمد بن ماجه، السنن، تحقيق الأرنؤوط، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ٢٠١٠)، ط ١، كتاب الصوم، باب ما جاء في تأخير السحور، ج: ١، ص: ٥٤١، ح: ١٦٩٨. محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، (بيروت: الكتب العلمية، ١٩٩٠)، ط ١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرک، ج: ١، ص: ٤٣١.
- ٧- صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام، ج: ١، ص: ٣٠٩، ح: ٤١٣.

على ربهم الذي هو المالك بحق للضر والنفع، فهذا عكوف المؤمنين الموحدين، وذاك عكوف المشركين، وشتان بين الاعتكافين، فعكوف المؤمنين في المساجد لعبادة الله وحده لا شريك له، وعكوف المشركين على ما يرجونه، ويخافونه من دون الله، وما يتخذونهم شركاء وشفعاء»^(١).

ولقد كان الاعتكاف شرعة سماوية قديمة كما يدل لذلك قول الحق سبحانه: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]^(٢)، وقوله عن مريم عليها السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧] مع قوله: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [مريم: ١٧]^(٣)، ويظهر أنه لم يكن اعتكافهم أكثر من لزوم المسجد أو الصلاة فيه^(٤)، وهو في الإسلام مغاير لما كان عليه سابقاً، من حيث ماهيته وأحكامه والآثار المترتبة عليه، وهذا وجه آخر من المخالفة تجلي هذا المقصد وتكشفه.

المقصد الثاني: التفرغ لعبادة الله وطاعته:

إن عبادة الحق سبحانه على الوجه المشروع لهي أعظم مقاصد الشرع كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولما كانت العبادة مبنية على مخالفة الأهواء وحفظ النفس البشرية شرع الله جملة من الأعمال التي من شأنها ترويض النفس على مخالفة الهوى وقهر النفس، يقول الحافظ ابن رجب: «فمعنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق للاتصال

١- ينظر: ابن تيمية، شرحه لعمدة الأحكام، كتاب الصيام، ج: ٢، ص: ٧٠٧.

٢- ابن الملقن، الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، ج: ٥، ص: ٤٢٧.

٣- قال الإمام ابن تيمية: «ولأن مريم عليها السلام قد أخبر الله سبحانه أنها جعلت محررة له، وكانت مقيمة في المسجد الأقصى في المحراب، وأنها انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فاتخذت من دونهم حجاباً، وهذا اعتكاف في المسجد واحتجاب فيه، وشرع ما قبلنا شرع لنا، ما لم يرد شرعنا بنسخه». ابن تيمية، شرح العمدة، كتاب الصيام ج: ٢، ص: ٧٤٨.

٤- انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاکر (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠) ط ١، ح: ٣، ص: ٤٢، تفسير القرطبي ج: ٢، ص: ١١٤.

بخدمة الخالق»^(١).

ومن أجل ذلك وفي سبيله مُنِع المعتكف من مزاوله كل عمل ينافي هذا المقصد، وذلك كما تقول عائشة رضي الله عنها: «السنة على المعتكف أن لا يعود مريضاً، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة، ولا يباشرها، ولا يخرج لحاجة إلا لالمال بد منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع»^(٢).

ولكي يتحقق ذلك على أفضل وجه وأتمه روعي في الاعتكاف ثلاثة أمور، وهي: أن يكون في المسجد، وفي عزلة عن الناس، وأن يكون المعتكف صائماً.

فأما المسجد: فلأنه بيت الله الذي هو الملاذ الروحي للمؤمنين، والمثابة لهم عند الضيق، والأنس عند الاستيحاش، والهداية عند الضلال، وهو سوق الآخرة والتجارة الرابحة، ومن هنا ربط الاعتكاف بالمسجد في آي القرآن ونصوص السنة، كقوله تعالى: ﴿وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وكان المسجد هو معتكف النبي ﷺ^(٣)، ونص العز بن عبد السلام على أن من مقاصد بناء المساجد إقامة الاعتكاف فيها^(٤).

وأما العزلة: فإنها تتحقق بنفس المكوث في المسجد حتى قال العلماء: إن الاعتكاف هو الخلوة الشرعية، ولولا وجوب الجمع والجماعات لكانت في البيوت^(٥)، وتزداد تحققاً بوضع حاجز يحجز المعتكف عن الناس في المسجد إذا

- ١- عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، لطائف المعارف، (الرياض: ٢٠٠٤م)، ط ١، ص: ١٦١.
- ٢- أبو داود، السنن ج: ٤، ص: ١٣٠، ح: ٢٤٧٣، قال محققه: «إسناده حسن».
- ٣- انظر: صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، ج: ٣، ص: ٤٦، ح: ٢٠١٨، وما بعدها، ابن حجر، فتح الباري، ج: ٤، ص: ٢٧١.
- ٤- انظر: عز الدين بن عبد السلام، قواعد الأحكام، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٩١م)، ط ١، ج: ١، ص: ٥٠.
- ٥- ابن رجب، لطائف المعارف، ص: ١٩٠.

كان متيسراً لا ضرر فيه، وهي السنة المحفوظة عن النبي ﷺ^(١)، وقال بها جمهور الفقهاء^(٢)، يقول الإمام ابن تيمية: «وينبغي أن يكون استتار المعتكف مستحباً؛ اقتداء بالنبي ﷺ، وليجمع له فضل الصلاة في المسجد، وفضل إخفاء العمل، وليجمع عليه قلبه بذلك، فلا يشتغل برؤية الناس وسماع كلامهم، ولينقطع الناس عنه فلا يجالسونه ويخاطبونه»^(٣).

وأصل هذا ما ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباء، فيصلني الصبح، ثم يدخله»^(٤).

ولقد شدد الإمام أحمد رحمه الله، فذهب إلى أن «المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس ولو لتعلم علم وإقراء قرآن، بل الأفضل له الانفراد بنفسه، والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه»^(٥).

وأما الصيام: فهو شرط في صحته في قول أكثر أهل العلم^(٦)، ولم يختلفوا في كونه مستحباً^(٧)، والأصل فيه: ما جاء أن النبي ﷺ قال: «لا اعتكاف إلا

١- انظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب الأخصية في المسجد، ج: ٣، ص: ٤٩، ابن حجر، فتح الباري ج: ٤، ص: ٢٧٧.

٢- انظر: مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: مصطفى الأعظمي، (الإمارات: مؤسسة زايد بن سلطان، ٢٠٠٤م) ط: ١، ج: ٣، ص: ٤٥٠، سليمان بن خلف الباجي، المنتقى شرح الموطأ، (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ)، ط: ١، ج: ٢، ص: ٧٢، ابن قدامة، المغني ج: ٣، ص: ١٩١، ابن حجر، فتح الباري ج: ٤، ص: ٢٧٧.

٣- ابن تيمية، شرح العمدة، ج: ٢، ص: ٧٤٩، وانظر: ابن حزم، المحلى ج: ٣، ص: ٤٣٧.

٤- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف النساء، ج: ٣، ص: ٤٨، ح: ٢٠٣٣.

٥- ابن رجب، لطائف المعارف ص: ١٩٠.

٦- اشتراط الصوم هو مذهب مالك وأبي حنيفة، وإحدى الروايتين عن أحمد اختارها ابن تيمية، وهو قول قديم للشافعي، وخالف فيه الحنابلة في المشهور، والشافعية. ينظر: ابن قدامة، المغني ج: ٣، ص: ١٨٨، الكاساني، بدائع الصنائع ج: ٢، ص: ١٠٩، الماوردي، الحاوي ج: ٢، ص: ٤٨٦، النووي، المجموع ج: ٦، ص: ٤٨٥، بداية المجتهد ج: ٢، ص: ٧٩.

٧- قال الإمام ابن تيمية: «وقد أجمع الناس على استحباب الصوم للمعتكف». ابن تيمية، شرح العمدة، ج: ٢، ص: ٧٥٢.

بصوم»^(١)، وقد تكلم في صحة الحديث، ولكن له شواهد تقويه، وأقواها فعل النبي ﷺ وعادته في الاعتكاف، فلم يثبت أنه اعتكف بغير صيام^(٢)، وأكثر اعتكافه كان في شهر رمضان^(٣).

وقالت عائشة رضي الله عنها: «السنة فيمن اعتكف أن يصوم»^(٤)، والمعنى يقوي كونه شرطاً؛ وذلك أن مقصود الاعتكاف هو: «الإعراض عن الدنيا، والإقبال على الآخرة بملازمة بيت الله تعالى، وذلك لا يتحقق بدون ترك قضاء الشهوتين إلا بقدر الضرورة، وهي ضرورة القوام، وهي بالأكل والشرب في الليالي، ولا ضرورة في الجماع»^(٥).

المقصد الثالث: تفريغ القلب عما سوى الله تعالى^(٦):

قلب الإنسان هو مقر النية، ومناطق الإخلاص، وهو الفيصل في قبول الأعمال وردّها، «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٧)، ومهما كدت الجوارح في الأعمال، وسخت الأيدي بالأموال، فإنها لا تبلغ شأن القلب في عبادته، ولا تجاريه في أعماله، فهو المخصوص بأعظمها شأنًا وأبعدها شأنًا، فيه يكون التوكل

- ١- سنن أبي داود، كتاب الصوم، باب المعتكف يعود المريض، ج: ٤، ص: ١٣٠، ح: ٢٤٧٣، قال محققه: «إسناده حسن».
- ٢- انظر توجيه الأخبار المتعارضة في ذلك عند محمد بن عبد الهادي الحنبلي، تنقيح التحقيق، تحقيق: سامي جاد الله، وعبد العزيز الحباني، (الرياض: أضواء السلف، ٢٠٠٧) ط ١ ج: ٣، ص: ٣٦٦، أبو بكر الجصاص، أحكام القرآن، (بيروت: الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ط: ١، ج: ١، ص: ٢٩٨، ابن القيم، زاد المعاد ج: ٢، ص: ٨٣.
- ٣- انظر: ابن القيم، زاد المعاد ج: ٢، ص: ٨٣.
- ٤- تقدم تخريجه ص: ١٢.
- ٥- الكاساني، بدائع الصنائع ج: ٢، ص: ١٠٩، وانظر: ابن تيمية، شرح العمدة، ج: ٢، ص: ٧٥٢.
- ٦- نبه على هذا المقصد من الاعتكاف جملة من العلماء انظر: زيد الدين ابن نجيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، (بيروت: الكتاب الإسلامي، د. ت. ط: ٢، ج: ٢، ص: ٣٢٢، ابن تيمية، شرح عمدة الأحكام، ج: ٢، ص: ٧١١.
- ٧- جزء من حديث مرفوع أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، ج: ١، ص: ٢٠، ح: ٥٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنية»، ج: ٣، ص: ١٥١٥، ح: ١٩٠٧.

والإنابة، والصبر والاستعانة، والخوف والرجاء، ولا تقبل أعمال الجوارح إلا إذا زكاهما القلب، ولربما عبد القلب ربه دونما جارحة، وفي الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(١).

ولما كان القلب سريع التقلب، معرضاً لصنوف العوارض التي تقطع عليه سيره إلى ربه، شرع الله للمسلم ما يقوي قلبه، ويشد من عزمه، ويبقيه متصلاً بربه، ومن أجل ذلك الاعتكاف في حال الصوم، «فإن شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى، ولما كان فضول الطعام والشراب، وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام، مما يزيده شعثاً، ويشتته في كل واد، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يضعفه، اقتضت رحمة العزيز الرحيم أن شرع لهم من الصوم ما يقيهم شر هذه العوارض والآفات، وشرع لهم بإزاء ذلك الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم»^(٢).

المقصد الرابع: قهر النفس على مخالفة الهوى:

إن نفوس بني آدم في جملتها مجبولة على الشر والخمول، وهي طائفة منقادة للهوى، ميالة إلى كل رذيلة، مستثقلة لكل فضيلة، ولا يخرجها عن هذا الأصل إلا دين أو سلطان، قال ربنا سبحانه ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾ [المعارج: ١٩-٢٢]، وهذا كقوله: ﴿وَحَمَلَهَا

١- البخاري، صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ج: ١، ص: ٢٠، ح: ٥٢، مسلم، صحيحه، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ج: ٣، ص: ١٢١٩، ح: ١٥٩٩.
٢- ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد ج: ٢، ص: ٨٢.

أَلَا نَسْنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ولما كانت نفس الإنسان بهذه الحال، شرّع الله للمسلم ما يستعين به على قهر نفسه ومخالفة هواه، وذلك شيء جلي في عبادتي الصوم والاعتكاف؛ فالصوم فيه ترويض النفس على الامتناع عن أحب الأشياء إليها، وهي شهوة البطن وشهوة الفرج، وشهوة الكلام، يتعود المسلم على ذلك مدة شهر كامل، فإذا نفسه قد ارتاضت على ترك المحرمات؛ لأنه إذا كان يمتنع عما هو مباح في الأصل، من أجل الصيام، فإنه يكون أبعد عن مقارفة الحرام في أصله.

وأما الاعتكاف: فإنه يعني حبس النفس عن الملاذ بأسرها، فالمعتكف محبوس في مسجده لا يلوي على أحد، فمع كونه صائماً عن الشهوات الثلاثة، فهو أيضاً صائم عن الفضول والترف، شأنه الذكر والدعاء والقيام وقراءة القرآن والتوبة والاستغفار والتفكير، فحين تمضي عليه عشرة أيام وهو بهذه الحال؛ فإنه يكون قد روض نفسه على صنوف الخير، وحفظ الأوقات من الضياع، وعمارتها بما ينفع، وصار مستعداً لاستدامة الطاعة والعبادة في سائر أيامه؛ ولذلك غالباً ما يكون حال المعتكف بعد الاعتكاف أفضل وأكمل من حاله قبله، وما ذلك إلا لقهره لنفسه، وإن الخير كله كامن في ذلك كما في قوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات ٤٠-٤١] (١).

وفي هذا المعنى يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: « فمعنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به أورش صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية على كل حال، كان بعضهم لا يزال منفرداً في بيته خالياً بربه فقيل له: أما تستوحش؟، قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني!.

١- ينظر: شرح العمدة لابن تيمية كتاب الصيام، ج: ٢، ص: ٧١١.

أوحشتني خلواتي بك من كل أنيسي
وتفردت فعاينتك بالغيب جليسي^(١).

المقصد الخامس: اكتساب الأخلاق الحميدة:

من الصفات الحميدة التي يتحلى بها المعتكف صفة الصبر والتواضع، فالصبر يتجلى في مكوثته كل هذه المدة منقطعاً عن أهله وبيته وإخوانه، ومعتزلاً في معتكفه لا يأتي شيئاً مما حرم عليه بالاعتكاف.

والتواضع يتجلى فيما يكون عليه حال المعتكف من التقشف في الملبس والمأكل والمنام، وهو في كل ذلك في غاية الذل لله تعالى، يرجو رحمته وينخسئ عذابه، يتنقل بين ألوان العبادات التي هي في أصلها خضوع لعزة الرب وجلاله، وكل عابد فهو متواضع بالضرورة.

ومعلوم أن العبد السائر إلى الله مضطراً إلى هذين الخلقين كاضطراره للغداء والهواء بل أشد من ذلك، فإنه لا فلاح إلا بالصبر، ولا نجاة إلا بالتواضع، وهما الوصفان اللذان يشترك فيهما أهل الجنة على اختلاف رتبهم ومنازلهم وأحوالهم، فالجنة لها أسباب عديدة، وكلها موصلة إليها بفضل الله ورحمته، وليس من شرط دخولها التحلي بها كلها، بل بعضها كاف في بلوغ المراد، ولكن ليس يخلو أحد من أهلها من الصبر والتواضع، قال ربنا سبحانه: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٣٢) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿ [الرعد: ٢٤-٢٥]، وقوله: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]، وفي الحديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر»^(٢).

١- ابن رجب، لطائف المعارف ص: ١٩١.

٢- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيان، ج: ١، ص: ٩٣، ح: ١٤٧.

وبإزاء الصبر والتواضع: يكتسب المعتكف من اعتكافه الزهد في ملذات الدنيا، والاستنكاف عن منافسة أهلها، وإن الزهد في هذه الدنيا سر فلاح العبد وهنائه وطيب عيشه.

المقصد السادس: رجاء ليلة القدر:

من أجل مقاصد الاعتكاف في شهر رمضان رجاء ليلة القدر، وأن يشهدها العبد المسلم وهو في أحسن حال وأجل عبادة^(١)، ويشهد لذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إني اعتكفت العشر الأول، ألتمس هذه الليلة، ثم اعتكفت العشر الأوسط، ثم أتيت، فقل لي: إنها في العشر الأواخر، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف»^(٢).

فالحديث يفيد بوضوح أن مقصود النبي صلى الله عليه وسلم من الاعتكاف هو شهود ليلة القدر في حال من الاعتكاف؛ وقد يكون السر في ذلك والله أعلم: أن يكون الاعتكاف كالتمهيد بين يدي شهود ليلة القدر؛ فيشدها المسلم وقد تقرب إلى الله بألوان من القربات، وتسبب إلى محو عظيم السيئات، فيكون حاله أجل وأعظم من حال غيره، حتى إذا دعا كان أقرب للإجابة، وإن قامها كان أقرب للقبول، ثم إن المطلوب في ليلة القدر هو إحيائها بالعمل، وهذا شأن المعتكف، فإنه يتنقل بين ألوان العبادات الجليلة.

١- انظر كتاب أبي الطاهر المهدي، التنبيه على مبادئ التوجيه، تحقيق: د. محمد بلحسان، (بيروت: ٢٠٠٧م) ط١، ج: ٢، ص: ٧٧٣.
٢- صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال، ج: ٢، ص: ٨٢٥، ح: ١١٦٧.

المبحث الثالث: حكم الاعتكاف في البيوت:

ذهب جمهور الفقهاء وعامة السلف إلى اشتراط المسجد لصحة الاعتكاف^(١)، وقد حكى الإجماع على اشتراط المسجد لصحة الاعتكاف إذا كان المعتكف رجلاً جملة من العلماء منهم: أبو عمر بن عبد البر، وابن تيمية، وأبو العباس القرطبي، وابن بطلان، وابن قدامة، وغيرهم^(٢).

ومستند هذا الإجماع ظاهر القرآن والسنة، فإن الله تعالى نص على المسجد في موضع الاعتكاف: فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَبْشُرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، «ووجه الدلالة من الآية أنه لو صح في غير المسجد لم يختص تحريم المباشرة به؛ لأن الجماع مناف للاعتكاف بالإجماع، فعلم من ذكر المساجد أن المراد أن الاعتكاف لا يكون الا فيها»^(٣).

وثبت في (الصحيحين) «أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان في المسجد»^(٤).

١- انظر: عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (بيروت: ١٩٨٣) ط ٣، ج ٤، ص: ٣٤٦، شمس الدين السرخسي، المبسوط، (بيروت: دار المعرفة، د. ت) ج ٣، ص: ١١٥، بدائع الصنائع ج ٢، ص: ١١٢، سحنون بن سعيد، المدونة، (بيروت: الكتب العلمية، ١٩٩٥) ط ١، ج ١، ص: ٢٩٥، محمد بن رشد الجد، المقدمات الممهدة (بيروت: دار الغرب، ١٩٨٨) ط ١، ج ١، ص: ٢٥٦، الماوردي، الحاوي ج ٣، ص: ٤٨٥، النووي، المجموع ٦ ص: ٤٨٠، عبد الرحمن بن رجب، فتح الباري لابن رجب (المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٩٩٦) ط ١، ج ٣، ص: ١٧٢، علي بن سليمان المرادوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (بيروت: دار إحياء التراث، د. ت) ط ٢، ج ٣، ص: ٣٦٤، ابن حجر، فتح الباري ج ٤، ص: ٢٧٢، ابن حزم، المحلى ج ٣، ص: ٤٢٨، والمراجع التالية.

٢- انظر: الاستذكار ج ٣، ص: ٣٥٨، شرح صحيح البخاري، (الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٣) ط ٢، ج ٤، ص: ١٦١، القرطبي، التفسير ج ٢، ص: ٣٣٣، ابن قدامة، المغني ج ٣، ص: ١٨٩، ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج ٢٦، ص: ٢٥١.

٣- ابن حجر، فتح الباري ج ٤، ص: ٢٧٢.

٤- هو بهذا السياق عند مسلم في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، ج ٢، ص: ٨٣٠، ح: ١١٧١، وهو عند البخاري بدون قوله «قال نافع الخ» صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر، والاعتكاف في المساجد كلها، ج ٣، ص: ٤٧، ح: ٢٠٢٦.

وفي (صحيح مسلم) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا اعتكف لا يدخل البيت إلا للحاجة للإنسان»^(١).

واختلف الفقهاء في جواز الاعتكاف في مساجد البيوت، وفي ذلك ثلاثة أقوال مشهورة:

القول الأول: عدم صحة الاعتكاف إلا في مساجد الجماعات خاصة سواء كان المعتكف رجلاً أو امرأة، وهو مذهب الجمهور كما سلف آنفاً - على خلاف بينهم في تحديد نوع المسجد هل هو خاص بالمساجد الثلاثة (الحرمين وبيت المقدس) أو بالمساجد التي يجمع فيها، أو يعم سائر المساجد.

واستندوا في ذلك إلى ما تقدم من الأدلة؛ إذ عموماتها تدل على أنه لا فرق في ذلك بين الرجال والنساء.

وايدوا ذلك في حق النساء خاصة بما ثبت في الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها -: أن النبي ﷺ ذكر أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان، ثم إنه رأى أختية حفصة وزينب وعائشة، فقال: «ما هذا؟» قالوا: بناء عائشة وحفصة وزينب، فقال رسول الله ﷺ «ألبر أردن بهذا؟»، فرجع، فلما أفطر اعتكف عشرة من شوال»^(٢).

ووجه الدليل منه بين، وذلك أنه لو جاز للمرأة أن تعتكف في بيتها لأرشدنا إليه لأنه أستر لها، واهناً لأهلها، فلما لم يفعل علم منه أنه لا بد للاعتكاف من مسجد^(٣).

١- صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل الخائف رأس زوجها وترجيله وطهارة سورها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، ج: ١، ص: ٢٤٤، ح: ٢٩٧،

٢- صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب من أراد أن يعتكف ثم بدا له أن يخرج، ج: ٣، ص: ٥١، ح: ٢٠٤٥.

٣- ابن قدامة، المغني ج: ٣، ص: ١٩١.

وثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «اعتكفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من أزواجه مستحاضة، فكانت ترى الحمرة، والصفرة، وربما وضعنا الطست تحتها وهي تصلي»^(١).

وهذا صريح جدا في اعتكاف النساء في المساجد؛ فإن العذر قائم بصرفها للبيت لو كان ذلك مشروعاً، وهو خير من تعريضها لتلويث المسجد^(٢).

ويؤيد هذا المعنى في الحديث ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه: «سئل عن اعتكاف المرأة في مسجد بيتها؟، فقال: بدعة، وأبغض الأعمال إلى الله البدع، لا اعتكاف إلا في مسجد تقام فيه الصلاة»^(٣).

وروي عمرو بن دينار عن جابر: «أنه سئل عن امرأة جعلت عليها أن تعتكف في مسجد بيتها؟، قال: لا يصلح، لتعتكف في مسجد؛ كما قال الله: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَدُوٌّ لِهِنَّ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]»^(٤).

ومن جهة المعنى: أن «الاعتكاف قربة يشترط لها المسجد في حق الرجل، فيشترط في حق المرأة، كالطواف»^(٥).

القول الثاني: جواز الاعتكاف، بل استحبابه في مساجد البيوت للمرأة خاصة، وهذا مذهب الحنفية، وقول قديم للإمام الشافعي، وقال به من أئمة السلف سفيان الثوري وإبراهيم النخعي^(٦).

١- صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب اعتكاف المستحاضة، ج: ٣، ص: ٥٠، ح: ٢٠٣٧.

٢- ابن تيمية، شرح العمدة، كتاب الصيام، ج: ٢، ص: ٧٤٣.

٣- أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، (بيروت: الكتب العلمية، ٢٠٠٤)، ط ١، ج: ٩، ص: ١٧٦.

٤- ذكره ابن رجب، وعزاه للأثر، وقال عقيبه: «وجابر هذا يحتمل أنه جابر بن عبد الله الصحابي، ويحتمل أنه جابر بن زيد أبو الشعثاء التابعي». ابن رجب، فتح الباري ج: ٣، ص: ١٧٠.

٥- ابن قدامة، المغني ج: ٣، ص: ١٩١.

٦- انظر: الجصاص، أحكام القرآن ج: ١، ص: ٢٩٥، الكاساني، بدائع الصنائع ج: ٢، ص: ١١٣، ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ج: ٢، ص: ٤٤١، النووي، المجموع ٦ ص: ٤٨٠، ابن عبد البر، الاستذكار ج: ٣، ص: ٣٩٩، ابن رجب، فتح الباري ج: ٣، ص: ١٧٠، ابن حزم، المحلى ج: ٣، ص: ٤٣٠.

وقد استند هذا القول إلى ما تقدم آنفاً من كراهة النبي ﷺ لاعتكاف نسائه في المسجد.

يقول أبو بكر الجصاص (ت: ٣٧٠هـ) في وجه الاستدلال بالحديث: «ويدل على كراهية ذلك منهن أنه ﷺ لم يعتكف في ذلك الشهر، ونقض بناءه حتى نقض أبنيتهن، ولو ساغ لهن الاعتكاف عنده لما ترك الاعتكاف بعد العزيمة، ولما جوز لهن تركه وهو قرينة إلى الله تعالى، وفي هذا دلالة على أنه قد كره اعتكاف النساء في المساجد»^(١).

قال: «وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وبيوتهن خير لهن»^(٢)، فأخبر أن بيتها خير لها، ولم يفرق بين حالها في الاعتكاف وفي الصلاة، ولما جاز للمرأة الاعتكاف باتفاق الفقهاء وجب أن يكون ذلك في بيتها لقوله عليه السلام: «وبيوتهن خير لهن»^(٣).

كما احتج الحنفية لمذهبهم بما جاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «لو رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء بعده، لمنعهن المساجد، كما منعت نساء بني إسرائيل»^(٤).

قال أبو جعفر الطحاوي (ت: ٣٢١هـ): «فكان قول عائشة في هذا، وهي المأمونة على ما قالت مع علمها وفقهها ويقظتها ما قد دل على النساء إنما كان لهن إتيان المساجد في حياة رسول الله ﷺ، واسعا لحال كن عليها، وقد خرجن عنها بعده إلى ضدها، فانتفى بذلك ما كان واسعا لهن من إتيانهن إياه على ما كن يأتينه في حياة رسول الله ﷺ، وإذا كن كذلك في حياة عائشة كن بعد موتها من ذلك

- ١- أحكام القرآن ج: ١، ص: ٢٩٦.
- ٢- أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب في خروج النساء إلى المسجد، ج: ١، ص: ٤٢٤، ح: ٥٦٧، الحاكم، المستدرک ج: ١، ص: ٣٢٧، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».
- ٣- الجصاص، أحكام القرآن ج: ١، ص: ٢٩٥.
- ٤- مالك بن أنس، الموطأ، ج: ٢، ص: ٢٧٧.

أبعد، فإذا كان ذلك كذلك عقلنا أنه: إن كان لهن أن يعتكفن، فإنما يكون ذلك منهن في خلاف المساجد، لا في المساجد، وبالله التوفيق»^(١).

وأجابوا عن ذكر المساجد في آية الاعتكاف بأن «مصلی المرأة في بيتها له حكم المسجد في حقها في حق الاعتكاف؛ لأن له حكم المسجد في حقها في حق الصلاة؛ لحاجتها إلى إحراز فضيلة الجماعة، فأعطي له حكم مسجد الجماعة في حقها حتى كانت صلاتها في بيتها أفضل على ما جاء في الحديث»^(٢).

والجمهور يردون هذا بقلب الدليل؛ وذلك «أن النبي ﷺ أذن لعائشة وحفصة في ذلك، ولو كان المسجد غير موضع اعتكافهن لما أباح ذلك لهن معه، ولا يجوز أن يظن به عليه السلام أنه نقض اعتكافه، ولكنه أخره تطيباً لقلوبهن؛ لئلا يحصل معتكفا وهن غير معتكفات، وإنما فعل ذلك لأنه كره أن يكن مع الرجال في مسجده عليه السلام»^(٣).

قال الجمهور: وأما الزعم بأن مسجد البيت مسجد في حق المرأة فهو خلاف الواقع؛ لأن مصليات البيوت مباينة للمساجد في جل الأحكام، يقول ابن حزم: «وأما قول إبراهيم وأبي حنيفة فخطأ، لأن مسجد البيت لا يطلق عليه اسم مسجد، ولا خلاف في جواز بيعه، وفي أن يجعل كنيفاً»^(٤).

وأما قياس المسجد على الطواف فممنع منه الحنفية، ورأوا أن القياس يقتضي عكس ما قاله الجمهور؛ من جهة أنه إذا كانت صلاة المرأة في بيتها أولى من صلاتها في المسجد مع أن المساجد إنما بنيت للصلوات، فالاعتكاف أولى بالبيت

١- أحمد بن سلامة الطحاوي، شرح مشكل الآثار، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠)، ط ١، ج ٢، ص: ١٤١.

٢- الكاساني، بدائع الصنائع ج: ٢، ص: ١١٣.

٣- ابن بطال، شرح صحيح البخاري ج: ٤، ص: ١٦٩، وانظر: ابن قدامة، المغني ج: ٣، ص: ١٩٣.

٤- ابن حزم، المحلى بالآثار ج: ٣، ص: ٤٣١، ابن رجب، فتح الباري ج: ٣، ص: ١٧٠. ولا يخفى أن هذا الرد استدلال بموضع النزاع، فإن الحنفية يعطونه سائر ما للمساجد من الأحكام في حق المرأة.

منه بالمسجد، على أن الطواف يخالف الصلاة من جهة أنه مشي من غير اختلاف حال، فهو كالمشي في الطرق، بخلاف الصلاة^(١).

القول الثالث: أن الاعتكاف يصلح في كل مكان إذا اتخذته المعتكف مصلى، وسواء في ذلك الرجال والنساء، وهذا قول روي عن الإمام عمرو بن شراحيل الشعبي (ت: ١٠٠هـ)، وأبي الأحوص صاحب ابن مسعود (ت: ٣٨هـ)، وهو أحد الوجهين عند الشافعية، وأفتى به محمد بن عمر بن لبابة المالكي (ت: ٣١٤هـ) غير أنه أجاز المباشرة لمن اعتكف في مسجد بيته!^(٢).

وأخرج عبد الرزاق في (المصنف) عن فضيل عن ليث عن مجاهد قال: «الحرم كله مسجد يعتكف في أيه شاء، وإن شاء في منزله إلا أنه لا يصلي إلا في جماعة»^(٣)، وهذا الأثر يفيد أن يكون مجاهد بن جبر ممن يرى جواز الاعتكاف في البيوت.

وأسند فيه عن عطاء قوله: «لا جوار إلا في مسجد مكة، ومسجد المدينة، وإن أهل البصرة ليجاورون في مسجدهم حتى إن أحدهم ليجاور مسجده في بيته»^(٤).

وبإسناد له إلى الشعبي قال: «لا بأس أن يعتكف الرجل في مسجد بيته»^(٥).

١- انظر هذه المناقشات عند أحمد القدروي في كتابه، التجريد، (القاهرة: ٢٠٠٦) ط ١، ج: ٣، ص: ١٥٨٣.

٢- عبد الرزاق، المصنف، ج: ٤، ص: ٣٥٠، ابن حزم، المحلى ج: ٣، ص: ٤٣٠، ابن رجب، فتح الباري ج: ٣، ص: ١٧٠، ابن رشد، بداية المجتهد ج: ٢، ص: ٧٧، عبد الملك الجويني، نهاية المطلب ودراية المذهب، تحقيق: عبد العظيم الذيب، (٢٠٠٧) ط ١، ج: ٤، ص: ١٢٠، النووي شرح صحيح مسلم ج: ٨، ص: ٦٨، النووي، المجموع ٦ ص: ٤٨٠، ابن حجر، فتح الباري ج: ٤، ص: ٢٧٢.

٣- الصنعاني، المصنف، ج: ٤، ص: ٣٤٥.

٤- المصدر السابق ج: ٤، ص: ٣٤٩.

٥- المصدر السابق ج: ٤، ص: ٣٤٩.

وأصحاب هذا الرأي يستدلون لجواز الاعتكاف في البيوت:

١- بما روى ابن أبي مليكة قال: «اعتكفت عائشة بين حراء وثبير، فكنا نأتيها هناك، وعبد لها يؤمها»^(١).

٢- أن الاعتكاف من باب التطوع، والتطوع في البيت أفضل من المسجد وهو الأصل فيه^(٢).

٣- أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ليس نصاً في اشتراط المسجد إلا على اعتبار مفهوم المخالفة، أعني أن يكون الاعتكاف في غير المسجد لا يصح، وأن من يرى جواز الاعتكاف في غير المسجد يقول: إن الآية ليس لها مفهوم إلا في المباشرة خاصة، ومعنى ذلك أن الرجل إذا اعتكف في غير المسجد كان له أن يباشر امرأته؛ ونظير هذا لو قيل: لا تعط فلاناً شيئاً إذا كان داخلياً في الدار، لكان مفهوم دليل الخطاب يوجب أن تعطيه إذا كان خارج الدار غير أنه قول شاذ^(٣).

وقد أنكر الفقهاء هذا القول، ووصفوه بالشذوذ، وقال الجويني: «لا وجه لصحته أصلاً»^(٤).

وبينوا أن الآية والسنة الجارية ينقضان هذا القول، وأجاب الإمام ابن تيمية عن قضية المفهوم في الآية بأن الله تعالى لم ينه عن المباشرة إلا من عكف في المسجد، وتخصيصه بالذكر يقتضي أن ما عداه بخلافه، وتبقى مباشرة العاكف

١- المصدر السابق ج: ٤، ص: ٣٥٠، وهو بمعناه عند البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب طواف النساء مع الرجال، ج: ٢، ص: ١٥٢، ح: ١٦١٨، وانظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج: ٤، ص: ٢٩٩، ابن حجر، فتح الباري ج: ٣، ص: ٤٨١.

٢- ابن الملقن، الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، ج: ٥، ص: ٤٢٩.

٣- ابن رشد، بداية المجتهد ج: ٢، ص: ٧٧. والقول بجواز المباشرة في غير المسجد انفرد به ابن لبابة وحده.

٤- الجويني، نهاية المطلب ج: ٤، ص: ١٢٠، ابن رشد، بداية المجتهد ج: ٢، ص: ٧٧.

في غير المسجد على الإباحة، وإذا لم يكن العاكف في غير المسجد منهيًا عن المباشرة؛ علم أنه ليس باعتكاف شرعي؛ لأننا لا نعني بالاعتكاف الشرعي إلا ما تحرم معه المباشرة؛ كما أننا لا نعني بالصوم الشرعي إلا ما حرم فيه الكل والشرب، ولأن كل معتكف تحرم عليه المباشرة؛ فلو كان المقيم في غير المسجد معتكفًا؛ لحرمت عليه المباشرة كغيره.

فإن قيل: فقله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا عَكَفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ دليل على أنه قد يكون عاكفًا في غير المسجد؛ لأن التقييد بالصفة بما لولاه لدخل في المطلق.

قلنا: لا ريب أن كل مقيم في مكان ملازم له فهو عاكف كما تقدم، لكن الكلام في النوع الذي شرعه الله تعالى؛ كما أن كل ممسك يسمى صائمًا، وكل قاصد يسمى متيممًا، ثم لما أمر الله تعالى بتيمم الصعيد وأمر بالإمساك عن المفطرات؛ صار ذلك هو النوع المشروع.

على أن الصفة قد تكون للتبيين والإيضاح؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ، يَدْعُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّيِّبِينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١]، ونحو ذلك^(١).

المبحث الرابع: آراء المعاصرين في الاعتكاف في البيوت عند شيوع الوباء:

اختلف العلماء والباحثون المعاصرون في جواز الاعتكاف في البيوت حال إغلاق المساجد بسبب شيوع الوباء، ولهم في ذلك آراء متضاربة ترجع إلى رأيين:

الرأي الأول: عدم جواز الاعتكاف في البيوت حتى في حال شيوع الوباء، وإغلاق المساجد، وهذا كثير ممن وقفت على كلامهم وفتاويهم المبثوثة في شبكة الإنترنت بخصوص هذه النازلة مثل مفتي مصر، د. شوقي علام، ود. سعد

١- ابن تيمية، شرح العمدة كتاب الصيام، ج: ٢، ص: ٧٢٠.

النصر: «وإذا نذر اعتكافاً، ثم دخل مسجداً، فاعتكف فيه، ثم انهدم المسجد: فإن أمكنه أن يقيم فيه. . أقام حتى يتم اعتكافه، وإن لم يمكنه. . خرج، فإذا بني المسجد عاد، ويتمم اعتكافه»^(١).

فيلاحظ هنا: أن الفقهاء يلزمون المعتكف بالمسجد حتى في حال انهدامه، أو ينتظره حتى يستتم بناؤه وإصلاحه، وذلك يعني عدم اعتبار تعطل المسجد عذراً يبيح الاعتكاف في البيت.

وقريب من هذا المعنى ما نص عليه موفق الدين بن قدامة في شأن المريض إذا أحب أن يعتكف، انظره يقول: «ومن سقطت عنه الجماعة من الرجال، كالمريض إذا أحب أن يعتكف في مسجد لا تقام فيه الجماعة، ينبغي أن يجوز له ذلك؛ لأن الجماعة ساقطة عنه، فأشبهه المرأة، ويحتمل ألا يجوز له ذلك؛ لأنه من أهل الجماعة، فأشبهه من تجب عليه، ولأنه إذا التزم الاعتكاف، وكلفه نفسه، فينبغي أن يجعله في مكان تصلى فيه الجماعة، ولأن من التزم ما لا يلزمه، لا يصح بدون شروطه، كالمتطوع بالصوم والصلاة»^(٢).

الرأي الثاني: يرى أصحابه جواز الاعتكاف في البيوت عند شيوع الوباء وإغلاق المساجد، ومن قال بهذا الرأي د. سعد بن ناصر الشثري عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، ود. مسعود صبري، ود. أكرم كساب من علماء مصر، والشيخ هشام الرميثي من علماء البحرين، ود. خالد المذكور من علماء الكويت، وغيرهم^(٣).

١- الأم ج: ٢، ص: ١١٥، البيان للعمrani ج: ٣، ص: ٥٩٢.

٢- ابن قدامة، المغني ج: ٣، ص: ١٩١.

٣- انظر المواقع التالية: <https://www.alriyadh.com/1817546>. <https://2u.pw/l01wn>. <https://2u.pw/od4S0>.

ويستند أصحاب هذا الرأي إلى جملة من الأدلة، وهي:

١- ما تقدم من الأدلة الدالة على جواز اعتكاف الرجل أو المرأة في مسجد بيته، حسبما يقرره أصحاب هذا الرأي كما سلف.

٢- «إن القول بجواز الاعتكاف في بيوت المسلمين له حظ كبير من النظر في ظل هذه الظروف؛ لأن فيه إعمالاً وحفظاً للشعيرة، والإعمال مع سقوط بعض الشروط أولى من الإسقاط بالكلية».

٣- قالوا: «ولو نظرنا إلى مآل القول بجواز الاعتكاف في مسجد البيت بالشروط، رأينا أنها أفضل وأعظم من القول بإسقاط الاعتكاف بالكلية، خاصة أن ما حصل للناس من ترك المساجد هو من باب الجبر وليس من باب الاختيار، والاجتهاد في الوقائع المستجدة يجب أن يراعي التفريق بين ما كان جبراً؛ فيخفف فيه، وبين ما كان اختياراً، فيرجع فيه إلا الأصل والعزيمة، يضاف إلى هذا ما فيه من الحث على العبادة والتقرب إلى الله تعالى، في الوقت الذي سينشغل فيه الناس في بيوتهم بالمسلسلات الرمضانية وضياع أوقاتهم في معصية الله، فكان القول بالجواز؛ أولى مراعاة للمآل، وإعمالاً لمقصد اعتكاف (رمضان في زمن كورونا)، على أنه يبقى حكم خاص في زمن خاص، فهو من باب الرخصة وليس العزيمة»^(١).

المناقشة والترحيح:

بعد التأمل في أدلة الفريقين أجدني أميل إلى الرأي القائل بجواز الاعتكاف في مصليات البيوت للأسباب الآتية:

١- ما تقرر في أصول الفقه من أن شرائع الإسلام منوطة بالقدرة والاستطاعة،

١- للمزيد انظر الموقع التالي: <https://2u.pw/od4S0>.

وأنه لا واجب مع عجز ولا تكليف مع ضرورة، وقد قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «إن الواجبات كلها تسقط بالعذر»^(١)، فغاية المسجد في الاعتكاف أن يكون واجباً أو شرطاً في صحته، فيسقط بالضرورة، ولسنا نعلم ضرورة أعظم من شيوع الوباء، وحدوث الموتان جراء العدوى والمخالطة.

٢- أن الاعتكاف في أصله سنة مستحبة، وإذا كانت الواجبات -مع كونها مطلوبة الحصول- تفعل بحسب الإمكان، فغيرها من النوافل أخرى بذلك؛ لما تقرر في قواعد الشرع: أن النفل أوسع من الفرض، وأنه يغتفر في النوافل ما لا يغتفر في الفرائض^(٢).

٣- أننا إذا أسقطنا الاعتكاف لضرورة إغلاق المساجد نكون قد خالفنا مهيع الشرع في ابتغاء البدائل عند العجز عن الأصول، فإن عادة الشرع التوسع في المضايق تحصيلاً لمقاصد الأحكام كي لا تعطل الشرائع بالكلية، «وذلك مثل: مشروعية التيمم عند مشقة طلب الماء، والصلاة قاعداً عند مشقة القيام، والقصر والفطر في السفر، والجمع بين الصلاتين في السفر والمرض والمطر، والنطق بكلمة الكفر عند مشقة القتل والتأليم، وإباحة الميتة وغيرها عند خوف التلف الذي هو أعظم المشقات، والصلاة إلى أي جهة كانت لعسر استخراج القبلة، والمسح على الجبائر والخفين لمشقة النزح ولرفع الضرر، والعفو في الصيام عما يعسر الاحتراز منه من المفطرات كغبار الطريق ونحوه، إلى جزئيات كثيرة جداً يحصل من مجموعها قصد الشارع لرفع الحرج»^(٣).

٤- أن المقصود من الاعتكاف «تفريغ القلب عن أمور الدنيا، وتسليم النفس

١- ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (بيروت: الكتب العلمية، ١٩٨٧) ط١، ج٢، ص: ٣٣٢.

٢- جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، (بيروت: الكتب العلمية، ١٩٩١) ط١، ص: ١٥٤.

٣- من كلام الإمام الشاطبي في الموافقات ج: ٤، ص: ٥٨.

إلى بارئها، والتحصن بحصن حصين، وملازمة بيت الله تعالى، قال عطاء الخراساني (ت: ١٣٥هـ) «مثل المعتكف كمثل رجل له حاجة إلى عظيم فيجلس على بابه، ويقول: لا أبرح حتى تقضي حاجتي»^(١)، والمعتكف يجلس في بيت الله تعالى، ويقول: لا أبرح حتى يغفر لي، فهو أشرف الأعمال إذا كان عن إخلاص»^(٢).

والمسجد في الحقيقة إن هو إلا وسيلة لتحقيق هذه المطالب؛ وذلك لبعده عن المشوشات والملهيات، ولما له من حرمة توجب على قاطنه رعيها والقيام بحقها، فعند الاضطرار ينبغي الاجتهاد في تحقيق تلك المقاصد أو بعضها على الأقل، وذلك خير وأزكى من تفويتها بالكلية، وقد قال إسحاق بن راهويه: «الاعتكاف في كل مسجد خارج من البيت جائز، وإن كانت الدار عظيمة مما يجتمع أهل المحلة في مسجد تلك الدار، ويدخلها غير أهل الدار لما جعل المسجد لله جاز الاعتكاف فيه أيضاً، فأما رجل جعل مسجداً لنفسه، ولم يجعله للجماعة ترفقا بنفسه، فإنه لا يكون فيه اعتكاف، ولا فضل الجماعة أيضاً، إلا أن يكون به عذر، ولا يمكنه أن يستقل إلى المسجد، فحينئذ يكون له فضل الجماعة في ذلك المسجد، فإن اعتكف فيه كان له أجر، ولا يسمى معتكفاً؛ لأن الاعتكاف إنما يكون في موضع بارز»^(٣).

وقد قال بعض أهل العلم: «إن الاعتكاف هو خلوة المسلم المشروعة، وإنما شرع في المسجد لئلا تُترك به الجمع والجماعات؛ وقد جاء عن ابن عباس أنه سئل عن رجل يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يشهد الجمعة والجماعة، قال: هو في النار»^(٤).

- ١- أخرجه أحمد بن الحسين البيهقي في شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي حامد، (الرياض، مكتبة الرشد، ٢٠٠٣) ط ١، ج ٥، ص: ٤٣٧.
- ٢- السرخسي، الميسوط، ج: ٣، ص: ١١٥.
- ٣- ابن رجب، فتح الباري ج: ٣، ص: ١٧٢.
- ٤- ابن رجب، لطائف المعارف، ص: ١٩٠، وأثر ابن عباس أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ج: ١، ص: ٥١٩.

قلت: فحيث تعطلت المساجد إذن، وحيل بينها وبين المعتكفين، فأبي شدوذ في القول بنقل الاعتكاف إلى مساجد البيوت؟!.

٥- أن ما ذهب إليه الفقهاء من اشتراط المسجد للاعتكاف إنما هو في حال الاختيار والمساجد متوافرة، أما في حال الاضطرار، أو حيث لا يوجد مسجد، فهذا ينبغي أن يبحث له عن حكم آخر يراعي الظرف والحال، ولا يصح نسبة المنع منه والحال هذه للفقهاء؛ لأنهم لم يتكلموا عن هذه الحال، ولا يستقيم قياس حال الاختيار على حال الاضطرار.

٦- أن القرآن الكريم دل على جواز اتخاذ البيت مسجداً عند الخوف والإكراه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءْ لِقَوْمِكَ مِمَّصْرَ بَيْوتًا وَأَجْعَلُوا بَيْوتَكُمْ قِبَلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧]، قال عبد الله بن عباس وغيره: «كان بنو إسرائيل يخافون من فرعون وقومه أن يصلوا، فقال لهم: ﴿ اجعلوا بيوتكم قبلة ﴾ أي: اجعلوها مسجداً حتى تصلوا فيها»^(١)، فيلاحظ أنه جعل بيوتهم بديلاً عن المساجد حيث عم الخوف والقلق، وهكذا الحال عند شيوع الوباء، وإغلاق المساجد، ولا يقال: إن شرعنا جاء بخلاف هذا الشرع، لأننا نقول إنما جاء بالمسجد في حال الاختيار لا في عموم الأحوال.

فإن قيل: إن الاعتكاف في أصله سنة مستحبة، فلا يوجد داع إليه وقد فات شرطه.

فالجواب عنه من وجهين:

الوجه الأول: أن تحصيل السنن إنما يكون مندوباً في حق الأحاد من الناس، أما الجمهور والأمة فهو في حقهم فرض كفائي، بمعنى أنه لا يجوز للأمة جميعاً أن

١- الطبري، تفسيره، ج: ١٥، ص: ١٧٢.

تتواطأ على ترك السنن أو بعضها، وفي هذا المعنى يقول الإمام الشاطبي: «إذا كان الفعل مندوباً بالجزء كان واجباً بالكل؛ كالأذان في المساجد الجوامع أو غيرها، وصلاة الجماعة، وصلاة العيدين، وصدقة التطوع، والنكاح، والوتر، والفجر، والعمرة، وسائر النوافل الرواتب؛ فإنها مندوب إليها بالجزء، ولو فرض تركها جملة لجرح التارك لها، ألا ترى أن في الأذان إظهاراً لشعائر الإسلام؟، ولذلك يستحق أهل المصر القتال إذا تركوه، وكذلك صلاة الجماعة، من داوم على تركها يجرح، فلا تقبل شهادته؛ لأن في تركها مضادة لإظهار شعائر الدين، وقد توعد الرسول ﷺ من دوام على ترك الجماعة؛ فهم أن يحرق عليهم بيوتهم^(١)، كما كان عليه السلام لا يغير على قوم حتى يصبح، فإن سمع أذانا أمسك، وإلا أغار^(٢).

الوجه الثاني: أن شروط العبادات منوطة بالوسع والإمكان، فإذا عجز المكلف عن الإتيان بها أتى بالمشروط ولو دون شرطه؛ لقوله ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»^(٣)، ومن قواعد الفقه: «أن العجز عن الشرط لا يوجب ترك المشروط، كما لو عجز عن السترة»^(٤)، ومنها: «أن الميسور لا يسقط بالمعسور»^(٥)، و«لا واجب مع عجز، ولا حرام مع ضرورة»^(٦). وفي (الصحيحين) عن عائشة رضي الله عنها في قصة القلادة، فبعث ﷺ رجالا في طلبها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء، فصلوا بغير وضوء، ولم يأمرهم بالإعادة^(٧).

يقول الإمام ابن تيمية: «الواجبات كلها تسقط بالعذر وإن كانت واجبة في

- ١- صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة، ج: ١، ص: ١٣١، ح: ٦٤٤، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، ج: ١، ص: ٤٥١، ح: ٦٥١.
- ٢- الشاطبي، الموافقات (ج: ١، ص: ٢١١).
- ٣- البخاري، صحيحه ج: ٩، ص: ٩٤، ح: ٧٢٨٨.
- ٤- عبد الرحمن بن قاسم النجدي، حاشية الروض المربع، (د. ت. ط.) ج: ١، ص: ٣١٩.
- ٥- انظر القاعدة عند السيوطي في: الأشباه والنظائر ص: ١٥٩.
- ٦- ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين ج: ٢، ص: ١٧.
- ٧- صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي، باب فضل عائشة رضي الله عنها، ج: ٥، ص: ٢٩، ح: ٣٧٧٣، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب التيمم، ج: ١، ص: ٢٧٩، ح: ٣٦٧.

أصل الصلاة»^(١).

فهذا ما ظهر لي في هذه المسألة، فإن كان صواباً فمن الله وحده، وإن كان خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه.

فإذا صح القول بالاعتكاف في البيوت عند الحاجة والضرورة فيلزم فيه ما يلزم المعتكف في المسجد من وجوب الصوم على أرجح قولي أهل العلم على ما سبق بيانه، وترك الجماع ومباشرة الزوجة، وأن يكون الاعتكاف في رمضان، وأن لا يغادر معتكفه إلا لحاجة أو ضرورة تقدر بقدرها، وأن يلزم الذكر وقراءة القرآن، والاشتغال بالطاعات، وأن يصون معتكفه عما تصان منه المساجد، وأن يتجنب سائر مبطلات الاعتكاف، وأن تكون المرأة نقية من دم الحيض والنفاس، إلى غير ذلك من أحكام الاعتكاف المذكورة في مظانها^(٢).

أهم النتائج:

- ١- أصول الشريعة وقواعدها تقضي بجواز الاعتكاف في مساجد البيوت، عند عدم وجود المساجد أو إغلاقها لضرورة، ويلزم فيها سائر ما يلزم في مساجد الجماعات، وهذا رأي جماعة من المعاصرين، خلافاً لقول كثير منهم.
- ٢- الاعتكاف يقوم على مراعاة جملة مقاصد سنية تروم تهذيب نفس المعتكف وتمرينه على الخصال الحميدة، والتوسل لعفو الله ومرضاته، وشهود ليلة القدر.

١- ابن تيمية، الفتاوى الكبرى ج: ٢، ص: ٣٣٢-٣٣٣.

٢- انظر هذه الأحكام في الكتب الفقهية مثل: الكاساني، بدائع الصنائع، ج: ٢، ص: ١٠٨، ابن رشد، بداية المجتهد ج: ٢، ص: ٧٦، ابن الجلاب، التفريع ص: ٨٥، النووي، المجموع شرح المذهب، ج: ٦، ص: ٤٧٤، ابن قدامة، المغني ج: ٣، ص: ١٨٦، ابن حزم، المحلى ج: ٣، ص: ٤١١.

أهم التوصيات:

- ١- إيجاد ودراسة بدائل ممكنة لإيقاع العبادات المسجدية في غيرها في حال أن تم إغلاقها لضرر أو ضرورة، أو لم تكن موجودة.
- ٢- ربط مقاصد الاعتكاف بنوازل هذه المسألة، ليكون الحكم فيها ملائماً لمقصد الشارع.

قائمة المصادر

- ابن الملتن، عمر بن علي، الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، تحقيق: عبد العزيز المشيقح، (الرياض: دار العاصمة، ١٩٩٧)، ط ١.
- ابن الهمام، الكمال بن الهمام، فتح القدير (بيروت: د. ت).
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الفتاوى الكبرى (بيروت: الكتب العلمية، ١٩٨٧) ط ١.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، شرح العمدة - كتاب الصيام، تحقيق: زائد النشيري، (دار الأنصاري، ١٩٩٦م) ط ١.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد، ١٩٩٥م) ط ١.
- ابن حزم، علي بن حزم، المحلى بالآثار (بيروت: د. ت.) ط ١.
- ابن حزم، علي بن حزم، مراتب الإجماع، (بيروت: الكتب العلمية، د. ت.).
- ابن رجب، عبد الرحمن بن رجب، فتح الباري، (المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٩٩٦) ط ١.
- ابن رجب، عبد الرحمن بن رجب، لطائف المعارف، (الرياض: ٢٠٠٤م)، ط ١.
- ابن رشد، محمد بن رشد الجد، المقدمات الممهدات (بيروت: دار الغرب، ١٩٨٨) ط ١.
- ابن رشد، محمد بن محمد، بداية المجتهد (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٤) د. ط.
- ابن عابدين، محمد أمين، حاشية ابن عابدين (بيروت: ١٤١٢هـ) ط ٢.
- ابن عبد البر، الاستذكار في مذاهب علماء الأمصار (بيروت: الكتب العلمية، ٢٠٠م) ط ١.
- ابن عبد السلام، عز الدين بن عبد السلام، قواعد الأحكام، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٩١م)، ط ١.
- ابن عبد الهادي، محمد بن عبد الهادي، تنقيح التحقيق، تحقيق: سامي جاد الله، وعبد العزيز الخباني، (الرياض: أضواء السلف، ٢٠٠٧) ط ١

- ابن فارس، أحمد القزويني، مقاييس اللغة، (بيروت: ١٩٧٩ م)
- ابن قاسم، عبد الرحمن بن قاسم النجدي، حاشية الروض المربع، (د. ت. ط.).
- ابن قدامه، موفق الدين، المعني، (القاهرة: مكتبة القاهرة، د. ت. ط.). ١.
- ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين (بيروت: الكتب العلمية، ١٩٩١) ط ١.
- ابن ماجه، محمد القزويني، السنن، تحقيق الأرنؤوط، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ٢٠١٠) ط ١.
- ابن نجيم، زيد الدين ابن نجيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، (بيروت: الكتاب الإسلامي، د. ت. ط.: ٢).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩) ط ١.
- الباجي، سليمان بن خلف، المنتقى شرح الموطأ، (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ)، ط: ١.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح (بيروت: دار طوق النجاة، ٢٠٠٢ م)
- البهوتي، منصور بن يونس، كشف القناع، (بيروت: الكتب العلمية، د. ت.).
- البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، (بيروت: الكتب العلمية، ٢٠٠٤)، ط ١.
- البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي حامد، (الرياض، مكتبة الرشد، ٢٠٠٣) ط ١.
- الجصاص، أبو بكر، أحكام القرآن، (بيروت: الكتب العلمية، ١٩٩٤ م)، ط: ١.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧ م) ط ٤.
- الجويني، عبد الملك، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، (بيروت: الكتب العلمية ١٩٩٧) ط ١.
- الجويني، عبد الملك، نهاية المطلب في دراية المذهب، تحقيق: عبد العظيم الذيب، (٢٠٠٧) ط ١.

- الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، (بیروت: الکتب العلمیة، ١٩٩٠) ط ١.
- الدردیر، أحمد، الشرح الکبیر، (بیروت: د. د. ت.).
- الرصاع، محمد بن قاسم، شرح حدود ابن عرفة، (بیروت: المكتبة العلمیة، ١٣٥٠هـ).
- سحنون بن سعید، المدونة، (بیروت: الکتب العلمیة، ١٩٩٥) ط ١.
- السرخسی، شمس الدین، المبسوط، (بیروت: دار المعرفة، د. ت)
- السیوطی، جلال الدین، الأشباه والنظائر، (بیروت: الکتب العلمیة، ١٩٩١) ط ١.
- الشاطبی، إبراهیم بن موسی، الموافقات، تحقیق مشهور حسن، (القاهرة: دار ابن عفان، ١٩٩٧)
- الشربینی، الخطیب، مغنی المحتاج (بیروت: الکتب العلمیة، ١٤١٥هـ)، ط ١.
- الطحاوی، أحمد بن سلامة، شرح مشکل الآثار، (بیروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠)، ط ١.
- العجاج، دیوان العجاج، تحقیق: د. عزة حسن، (بیروت: دار الشرق العربی، ١٩٩٥ م) ط ١.
- العمرانی، یحیی بن أبی الخیر، البیان فی مذهب الشافعی، تحقیق: قاسم النوری، (جدة: دار المنهاج، ٢٠٠٠) ط ١.
- القدوری، أحمد بن محمد، التجرید، (القاهرة: ٢٠٠٦) ط ١.
- القرطبی، أحمد بن محمد، تفسیر القرطبی (القاهرة، دار الکتب المصریة، ١٩٦٤ م).
- الکاسانی، علاء الدین، بدائع الصنائع فی ترتیب الشرائع (بیروت: الکتب العلمیة، ١٤٠٦هـ) ط ٢.
- مالک بن أنس، الموطأ، تحقیق: مصطفی الأعظمی، (الإمارات: مؤسسة زاید بن سلطان، ٢٠٠٤ م) ط: ١.
- الماوردی، علی بن حبیب، الحاوی الکبیر (بیروت: الکتب العلمیة ١٤١٩هـ) ط ١.

- المرادوي، علي بن سليمان، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (بيروت: دار إحياء التراث، د. ت) ط ٢.
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي د. ت.).
- المهدي، أبو الطاهر، التنبية على مبادئ التوجيه، تحقيق: د. محمد بلحسان، (بيروت: ٢٠٠٧م) ط ١.
- النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المذهب، (بيروت: د. ت)، ط ١.
- النووي، يحيى بن شرف، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٩٢هـ) ط ٢.

Bibliography:

- Ibn faris, maqayis allughati, (birut, 1979m)
- Abo dawud, sunan 'abi dawud, (birut: dar alrisalat alealamiati, 2009) ED1.
- Alb aji, almuntaqaa sharh almuta'a, (masr: matbaeat alsaeadati, 1332hi), ta: 1.
- Alb ayhaqi, alsunan alkubraa, (birut: alkutub aleilmiatu, 2004), ED1.
- Alb ayhaqi, shaeb al'iimani, (alriyad, maktabat alrushdi, 2003) ED1.
- Alb uhuti, kashaf alqinaei, (birut: alkutub aleilmiata,).
- Alb ukhariu, aljamie alsahih (birut: dar tawq alnajati, 2002)
- Aldirdir, alsharh alkabira, (birut.).
- Aleajaji, diwan aleajaji, tahqiq: da. eizat hasani, (birut: dar alsharq alearabii, 1995m) ED1.,
- Aleumrani, Alb ayan fi madhhab alshaafieay, tahqiq: qasim alnuwri, (jdatu: dar alminhaji, 2000) ED1.
- Alhakimu, almustadrak ealaa alsahihayni, (birut: alkutub aleilmiati, 1990) ED1.
- Aljasasi, 'ahkam alqurani, (birut: alkutub aleilmiatu, 1994mi), ED1
- Aljawhari, alsihah (birut: dar aleilm lilmalayini, 1987m) ED 4,
- Aljuayni, Alb urhan fi 'usul alfiqah, (birutu: alkutub aleilmiat 1997) ED1.
- Aljuayni, nihayat almatlabi, tahqiq: eabd aleazim aldhyybi, 2007) ED1.
- Alkasani, badayie alsanayie (biruta: alkutub aleilmiati, 1406hi) ED 2
- Almahdawi, altanbih ealaa mabadi altawjihi, tahqiq: du. muhamad bilhisan, (birut, 2007) ED1.
- Almawirdi, alhawi alkabir (birut: alkutub aleilmiat 1419hi) ED1.
- Almirdawi, al'iinsaf fi maerifat alraajih min alkhilaf (birut: dar 'iihya' altarathi) ED 2.
- Alnawawiu, alminhaj fi sharh sahih muslim bin alhajaji, (birut: dar 'iihya' alta-rathi, 1392hi) ED 2.
- Alnawawiu, yahyaa bin sharaf, almajmue sharah almuhadhabi, (birut), ED1.
- Alqaduri, altajridu, (alqahirati: 2006) ED1.

- Alqurtubi, tafsir alqurtubii (alqahirati, dar al kutub al misriati, 1964).
- Alrasaei, sharh hudud Ibn earfata, (biruta: al maktabat aleilmiati, 1350hi).
- Alsarukhisi, almabsuta, (birut: dar almaerifati, du. t) alsuyuti, al'ashbah wal-nazayir, (birut: al kutub aleilmiatu, 1991) ED1.
- Alshaatibiu, almuafaqati, tahqiq mashhur hasan, (alqahirata: dar Ibn eafan, 1997)
- Alshirbini, mughaniy almuhtaj (birut: al kutub aleilmiati, 1415hi), ED1.
- Altahawi, sharah mushkil alathar, (birut: muasasat alrisalati, 1980), ED1.
- Ibn alhamam, fath alqadir (birut).
- Ibn almulaqani, al'iielam bifawayid eumdat al'ahkam (alriyad: dar aleasimati, 1997), ED1.
- Ibn alqiam, 'iielam almuqiein (biruta: al kutub aleilmiati, 1991) ED1.
- Ibn eabd Alb ur, aliastidhkar (birut: al kutub aleilmiatu, 200m) ED1.,
- Ibn eabd alhadi, tanqih altahqiqi, (alriyad: 'adwa' alsalaf, 2007) ED1.
- Ibn eabd alsalami, qawaeid al'ahkami, (alqahirati: maktabat alkuliyaat al'azhariati, 1991mi), ED1.
- Ibn eabidin, hashiat Ibn eabidin (birut: 1412hi) ta2.
- Ibn hazama, maratib al'ijmaei, (birut: al kutub aleilmiata, da. t.)
- Ibn majah, alsunan, tahqiq al'arnawuwat, (birut: dar alrisalat alealamiati, 2010) ED1. .
- Ibn najim, Alb ahr alraayiqi, (birut: alkutaab al'iislamiu) ED 2.
- Ibn qasim alnajdi, hashiat alrawd almurabaei, (d. t. ta.)
- Ibn qudaamahu, almughniy, (alqahirati: maktabat alqahirati), ED1.
- Ibn rajaba, fath Alb ari, (al madinat almunawarati: maktabat alghuraba' al'athariati, 1996) ED1.
- Ibn rajaba, litayif almaearifi, (alriyad, 2004mi), ED1.
- Ibn rushd, bidayat almujtahid (alqahirati: dar alhadithi, 2004) du. ti.
- Ibn rushda, almuqadimat almumahidat (birut: dar algharba, 1988) ED1.

- Ibn taymiata, 'ahmad bin eabd alhalimi, aqtida' alsirat almustaqimi, (birut: dar ealam alkutub, 1999m) ED1.
- Ibn taymiata, majmue alfatawi, (almadinat almunawarati: mujmae almalik fihid, 1995m) ED1. Ibn hazma, almuhalaa bialathar (birut) ED1.
- Ibn taymiata, sharh aleumda (dar al'ansari, 1996m) ED1.
- Ibn taymiati, alfatawaa alkubraa (birut: alkutub aleilmiatu, 1987) ED1.
- Malik bin 'ansi, almuta'a, (al'iimarat: muasasat zayid bn sultan, 2004m) ED1.
- Muslim bin alhajaji, sahih muslmi, (birut: dar 'iihya' alturath alearabii da. ta.).
- Sahnun bn saeidi, almudawanati, (birut: alkutub aleilmiati, 1995) ED1.

اكتساب الناطقين بغير اللغة العربية
الأصوات اللغوية وظيفياً
(دراسة ميدانية)

**Acquiring linguistic Phonetics for
Non-Arabic Speakers Functionally
(field study)**

أ. د. عبد القادر عبد الرحمن أسعد السعدي
جامعة الشارقة – الإمارات ع. م.

أ. محمد رمضان
كلية الخوارزمي الدولية – الإمارات ع. م.

Prof. Abdulkader Assad AlSady
Sharjah University - UAE

Mohamed AbdElhalim Hamza Ramadan
Alkhawarizni International College - UAE

<https://doi.org/10.47798/awuj.2023.i67.02>

تاريخ تسلم البحث 2022/02/10 - وصدر خطاب القبول 2022/06/15



Abstract

This study aims to provide assistance to non-Arabic speaking students to achieve better acquisition. The study also aims to provide assistance to the teachers of Arabic as a second language by presenting strategies and functional educational applications. The field study is an attempt to reconsider how teachers deal with linguistic sounds lessons within the classes.

The study tried to combine the previous points together as much as possible in one framework that combines the theoretical approach and practical experience in an attempt to achieve the result that the study was based on to prove, which is that the application of the functional and communicative linguistic tasks has a strong and successful impact on the acquisition and learning of speaking students. This is an applied step by the current study in the way of developing and improving the methodology of teaching linguistic sounds in the curricula of Arabic as a second language.

Keywords: Linguistic acquisition, Functional language learning, Communicative language learning, second language, communicative functional language tasks.

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم المساعدة للطلاب الناطقين بغير اللغة العربية على تحقيق اكتساب أفضل، وتعلّم أرقى للأصوات اللغوية بصورة وظيفية تواصلية، كما تهدف الدراسة إلى تقديم المساعدة والعون لمعلّمي اللغة العربية لغة ثانية، عن طريق عرض إستراتيجية مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية، فضلاً عن محاولة تعديل نظرة واضعي المناهج والبرامج التّعليمية التي تُقدّم للطلاب الناطقين بغير اللغة العربية؛ لإعادة البحث والتّفكير في كيفية تناول الأصوات اللغوية عند تدريس اللغة العربية لغة ثانية لتحقيق الهدف المنشود منها وهو: اكتساب الأصوات اللغوية، وليس التّعليم عن الأصوات اللغوية، كما هي الحال والواقع في بعض مناهج تعليم اللغة العربية لغة ثانية، خطوة تطبيقية من الدّراسة الحالية في طريق تطوير وتحسين منهجية تدريس الأصوات اللغوية في مناهج اللغة العربية لغة ثانية.

الكلمات المفتاحية الدّالة: الاكتساب اللغوي - تعلّم اللغة وظيفياً - تعلّم اللغة تواصلياً - اللغة الثانية - مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية.

المقدمة

من المداخل الحديثة التي برزت وانتشر استخدامها في تدريس اللغات الثانية مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية؛ وذلك لكونه يوفر للمتعلمين فرصاً متعددة لممارسة اللغة بشكل طبيعي، كما أنه يساعد على التواصل الفاعل باللغة في مواقف حقيقية وظيفية تواصلية من خلال تكليفه - المتعلم - بتنفيذ مهام لغوية وظيفية تواصلية معينة باستخدام إستراتيجيات وآليات مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية، لكن يجب التنبيه هنا أن هذا المدخل الوظيفي التواصلية التعليمي يحتاج إلى معلم واع، يدرك الأسس العلمية التعليمية لاستخدامه في التعليم والتعلم، وفي إثراء الدّخل اللغوي لدى المتعلمين وتحويله إلى مُخرج لغوي وظيفي تواصلية يصل إلى مستوى الطلاقة والتطوير الدائم للأداء.

إن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها القائم على تطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية يعطي فرصة مهمة لاكتساب اللغة وتعلّمها؛ وذلك يجعل قيمة كبرى لتعلّم اللغة الثانية عند المتعلّمين الناطقين بغيرها، كما أن الأصوات اللغوية المكتسبة عن طريق إستراتيجيات ذلك المدخل التعليمي تكون أكثر ثباتاً وفائدة لدى المتعلّمين؛ ومن ثم يستطيعون توظيف ما تعلّموه في التّواصل الحياتي اليومي بصوره المتعددة الوظيفية التّواصلية المختلفة، والمتعلمون باستخدام هذا المدخل التعليمي يكونون أكثر إيجابية ومشاركة في بناء وتنمية الدّخل اللغوي لديهم؛ إذ إنهم يمثلون محور الاهتمام العام في العملية التعليمية، فهم يوظفون ما يكتسبونه من دخل لغوي متنوع من خلال التواصل باللغة في بناء تراكيب لغوية جديدة غير تقليدية، وصادرة بشكل عفوي دونما تكلف منهم، كما أنهم يحاولون استخدام مهارات اللغة وعناصرها كاملة في إحداث تواصل لغوي حقيقي غير مصطنع، يتناسب مع السياق الاجتماعي واللغوي والثقافي خلال الخضوع للمهمة اللغوية

المطلوب منهم أدائها والمشاركة في تنفيذها بفعالية؛ ولا شك في أن ذلك هو الهدف الأسمى الذي تسعى كل نظريات تعلم اللغات الحيّة عامّة واللغات الثانية خاصّة إلى بلوغه والظفر به.

مشكلة الدراسة

إن مشكلة الدراسة الحالية تكمن في عدم قدرة المتعلّمين على توظيف ما اكتسبوه أو تعلّموه من أصوات اللغوية في التّواصل اللغوي الوظيفي الجيّد مع أهل اللغة العربية والناطقين بها، وتوضيح الإشكالية العامّة للدراسة الحالية يمكن أن يُفهم عن طريق الإجابة عن تساؤلاتها التي تُبرز جوهر الدّراسة وغايتها، ونعرضها فيما يأتي:

١- ما المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية المناسبة للطلاب والمتعلّمين من النّاطقين بغير اللغة العربية؟

٢- ما خطوات وإجراءات تصميم المهام اللغوية وتنفيذها باستخدام مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية بما يساعد على اكتساب الأصوات اللغوية وظيفياً؟

فروض الدّراسة

وتفترض الدّراسة الحالية جملة من الفروض والأحكام هي كالآتي:

١- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعتين: التّجريبية، والضّابطة في القياس البعدي الفوري في مستوى التّحصيل اللغوي للأصوات اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية لصالح المجموعة التّجريبية.

٢- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعتين: التجريبية، والضابطة في القياس البعدي المرجأ في مستوى التّحصيل اللغوي للأصوات اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية لصالح المجموعة التّجريبية.

٣- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة التّجريبية في القياسين: الفوري، والمرجأ في مستوى التّحصيل اللغوي بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية لصالح القياس الفوري.

٤- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعتين: التجريبية، والضابطة في القياس البعدي الفوري في مستوى التّوظيف اللغوي للأصوات اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية لصالح المجموعة التّجريبية.

٥- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعتين: التجريبية، والضابطة في القياس البعدي المرجأ في مستوى التّوظيف اللغوي للأصوات اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية لصالح المجموعة التّجريبية.

٦- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة التّجريبية في القياسين: الفوري، والمرجأ في مستوى التّوظيف اللغوي بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية لصالح القياس الفوري.

منهجية الدّراسة

استخدمت الدّراسة الحالية المنهج الوصفي في تصميم وبناء المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية، والمنهج التجريبي في أثناء تطبيق استخدام تلك المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية.

التّطبيق الإجرائي للدّراسة

ونستعرض هنا وصفاً إجرائياً لاكتساب عيّنة الدّراسة الأصوات اللغوية في ضوء مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية، وذلك على النحو الآتي بيانه:
 أولاً: أدوات الدّراسة ومواد المعالجة التّجريبية:

وهي الوسائل اللغوية التّعليمية الخاصّة بالتّعرف على الأصوات اللغوية، مثل: بطاقات التّعرف على الأصوات اللغوية- التّطبيقات الحاسوبية الوظيفية التّعليمية- الكتب اللغوية، الفيديوهات التّعليمية الخاصّة بالتدريب على كتابة الحروف العربية- التّدريب التّطبيقي المباشر مع عيّنة الدّراسة على كتابة الحروف- التّصوص اللغوية العربية الأصيلة التي يظهر بها الصّوت اللغوي الهدف- التّدريبات اللغوية- اختبارات الأصوات اللغوية- المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية المعدّة لتحقيق اكتساب الأصوات اللغوية لدى عيّنة الدّراسة، وقد اتّخذت هذه المهام اللغوية الصّور الآتية: (الموازنة- الوصف- التّحويل وإعادة الصّيغة- التّعليل والتّسويغ).

ثانياً: عيّنة الدّراسة

مجتمع الدّراسة وعيّنته من الطّلاب النّاطقين بغير اللغة العربية على النّحو

الآتي بيانه:

جدول (١): عيّنة الدّراسة من الطّلاب النّاطقين بغير اللغة العربية.		
المجموعة الضّابطة	المجموعة التّجريبية	البيانات
٢٠	٢٠	العدد الإجمالي
٨	٤	عدد الذّكور
١٢	١٦	عدد الإناث
كلية الخوارزمي الدّولية بفرعيها في أبو ظبي والعين.	كلية الخوارزمي الدّولية بفرعيها في أبو ظبي والعين.	اسم المؤسسة التّعليمية
فصل دراسي جامعي واحد.	فصل دراسي جامعي واحد.	عدد سنوات دراسة اللغة العربية لغة ثانية لعيّنة الدّراسة
المستوى التّمهيدي	المستوى التّمهيدي	المستوى التّعليمي للطلاب في دراسة اللغة العربية لغة ثانية
الهند (ثمانية طلاب) باكستان (ثمانية طلاب) بنجلاديش (طالب واحد) الفلبين (طالبان) الصومال (طالبان)	الهند (سبعة طلاب) باكستان (ثمانية طلاب) بنجلاديش (طالبان) الفلبين (طالبان) الصومال (طالبة واحدة)	جنسيّة الطلاب عيّنة الدّراسة
%٥٠	%٥٠	نسبة الطّلاب بالنسبة لمجتمع الدّراسة

ثالثاً: النتائج المستفادّة من الدّراسة والتّحليل الإحصائي للنتائج

وفيما يأتي تفصيل ذلك:

أدوات البحث ومواد المعالجة التجريبية

المصادر التي اعتمدها الباحثان في إعداد المواد اللغوية التّعليمية في الدّراسة من خلال تطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية، جاءت على النحو الآتي:

١- البحوث والدّراسات اللغوية التي اهتمت بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية، ومجال استخدام التكنولوجيا الحديثة والتّطبيقات الحاسوبية في تعليم اللغات الثّانية بوجه عام، وتعليم اللغة العربية للطلاب النّاطقين بغير اللغة العربية بوجه خاص.

٢- الخبرة العمليّة للباحث في مجال تصميم وإعداد التّطبيقات الحاسوبية الوظيفية التّعليمية، والمهام اللغوية الوظيفية التّواصلية في تعليم اللغة العربية لغة ثانية.

إجراءات التّطبيق الميداني لاكتساب الأصوات اللغوية

استهدفت إجراءات التّطبيق قياس مدى تمكّن عينة الدّراسة من اكتساب الأصوات اللغوية، وفقاً للآتي:

- ١- تحديد الأصوات اللغوية الهدف بكل درس صوتي مع عينة الدّراسة.
- ٢- اختيار النّصوص اللغوية العربية الأصيلة المناسبة للمستوى اللغوي لعينة الدّراسة، من خلال المصادر اللغوية الآتية: القرآن الكريم - الحديث الشّريف - النّصوص الشّعريّة - النّصوص النثرية - الصّحف والمجلات والمقالات المتخصصة.

٣- ثم أختيرت المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية الكثرى مناسبة التي يرى الباحث -بحسب خبرة الباحث العملية- أنها الفضلى لموضوع الدّراسة وتطبيقها، وهي كالآتي: الموازنة- الوصف- التّحويل وإعادة الصّيغة- التّعليل والتّسويغ.

٤- ومن ثمّ قام الباحث بتضمين النّصوص اللغوية العربية الأصيلة المعدّة لاكتساب الأصوات اللغوية، والأصوات اللغوية الهدف بكل درس صوتي جديد في التّدريبات اللغوية، والمهام اللغوية الوظيفية التّواصلية، الاختبارات اللغوية، وسؤال الطّلاب عيّنة الدّراسة عنها في مستويي: (التّحصيل اللغوي - التّوظيف اللغوي)؛ وقد أعتمدت أسئلة: (الاختيار من متعدد - كتابة مهمّة لغوية وظيفية) في تدريب الطّلاب عيّنة الدّراسة على تعلّم واكتساب الأصوات اللغوية، وتوظيفها بشكل لغوي صحيح من خلال تطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية لاكتساب الأصوات اللغوية، بحيث إن كل نوع من تلك الأسئلة اللغوية المتاحة في اختبارات الأصوات اللغوية تدفع الطّالب من عيّنة الدّراسة لتحسين التّطبيق اللغوي للأصوات اللغوية بصورة وظيفية صحيحة، في ضوء أساسيات مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية.

٥- صمّم الباحثان المحتوى المعرفي والتّطبيقي للتطبيقات الحاسوبية الوظيفية التّعليمية، والمواد اللغوية والتّعليمية لاختبارات الأصوات اللغوية في ضوء مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية على النحو الآتي بيانه:

أ- التّطبيقات الحاسوبية الوظيفية التّعليمية المستخدمة لزيادة الدّخل اللغوي والمفردات لدى عيّنة البحث في ضوء مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية، وهي كالآتي:

جدول (٢): التطبيقات الحاسوبية الوظيفية التعليمية المستخدمة لزيادة الدّخل اللغوي والمفردات لدى عينة البحث من الطّلاب النّاطقين بغير اللغة العربية في ضوء مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية.

اسم التّطبيق باللغة الإنجليزية	اسم التّطبيق باللغة العربية
Mindshow	ميندشو
screen recording	سكرين ريكوردنج
Word screen	ورد سكرين
Imovie	أي موفي
Quizzez	كويزيز
Quizlet	كويزلت
Kahoot	كاهوت

ب - التّطبيقات الحاسوبية الوظيفية التعليمية المستخدمة في مرحلة اكتساب وتعلّم الأصوات اللغوية لدى عيّنة الدّراسة في ضوء مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية، وهي كالآتي:

جدول (٣): التّطبيقات الحاسوبية الوظيفية التعليمية المستخدمة في مرحلة اكتساب وتعلّم الأصوات اللغوية لدى عيّنة الدّراسة من الطّلاب النّاطقين بغير اللغة العربية في ضوء مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية.

اسم التّطبيق باللغة الإنجليزية	اسم التّطبيق باللغة العربية
Edpuzzle	إد بزل
Word wall	ورد وول
Book creator	بوك كريتر
Pic collage	بيج كولا ج
Sway	إسواي
Explain everything	إكسبلين إفريثينج
Word mover	ورد موفر

ت- التطبيقات الحاسوبية الوظيفية التعليمية المستخدمة لتقييم تعلّم واكتساب الأصوات اللغوية لدى عينة الدّراسة في ضوء مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية، وهي كالآتي:

جدول (٤): التطبيقات الحاسوبية الوظيفية التعليمية المستخدمة لتقييم تعلّم واكتساب الأصوات اللغوية لدى عينة الدّراسة من الطّلاب النّاطقين بغير اللغة العربية في ضوء مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية.	
اسم التّطبيق باللغة العربية	اسم التّطبيق باللغة الإنجليزية
إد بزل	Edpuzzle
ورد وول	Word wall
بوك كريتر	Book creator
بيج كولاج	Pic collage
كويزز	Quizzez
كويزلت	Quizlet
كاهوت	Kahoot
إسكرين ريكوردينج	secrren recording

الإطار الزّمني لتطبيق الدّراسة على عينة الدّراسة من الطّلاب النّاطقين بغير اللغة العربية.

إن الإطار الزّمني لتطبيق الدّراسة الميدانية على عينة الدّراسة كان بواقع (٦٤) ساعة دراسية.

التّطبيق العملي والميداني للدّراسة:

١- استخدم الباحثان أسلوب المجموعتين المتكافئتين: (ضابطة-تجريبية) ذات القياسين: القبلي، والبعدي، إذ تضمّن هذا التصميم اختياراً عشوائياً

لمجموعتين من الطلاب من الناطقين بغير اللغة العربية: إحداها تجريبية تتعرض للمعالجة التجريبية بالدراسة (تدرس الأصوات اللغوية في ضوء تطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية)، والأخرى ضابطة لا تتعرض للمعالجة التجريبية.

٢- وقد أجرى الباحثان على المجموعتين: التجريبية، والضابطة اختبارات الأصوات اللغوية: قبلياً، وبعدياً، ثم وازن الباحثان بين المجموعتين في القياسين: القبلي، والبعدي؛ لمعرفة تأثير المتغير المستقل -مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية- على المتغير التابع -اكتساب الأصوات اللغوية- بالدراسة الميدانية، شاملاً لكل المراحل التي يمر بها تدريس الأصوات اللغوية من: عصف ذهني واستنطاق - تثبيت وإغناء - محاكاة - تعزيز وتطوير الأداء اللغوي-توسّع واستثمار لغوي وظيفي.

نتائج الدراسة

عند الإجابة عن التساؤل الرئيس في الدراسة الحالية، وهو: ما أثر تطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية -الفوري والمرجأ- في اكتساب متعلمي اللغة العربية لغة ثانية الأصوات اللغوية في مستويي: (التّحصيل اللغوي، والتّوظيف اللغوي)؟ قام الباحثان بما يأتي:

١- التّطبيق القبلي لاختبارات الأصوات اللغوية على المجموعتين: التجريبية، والضابطة؛ ومن ثمّ قام بحساب معامل التّكافؤ بين المجموعتين في جزئي الاختبار: التّحصيل اللغوي، التّوظيف اللغوي، والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (٦): حساب معامل الاتفاق بين المجموعتين: التجريبية، والضابطة.						
مجال القياس	المجموعة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت	درجة الحرية	الدلالة
التحصيل اللغوي	ضابطة قبلي	٦,٥٢٠٠	١,٢٩٤٨٦	٠,٦٨٧	٣٨	غير دالة
	تجريبية قبلي	٦,٢٨٠٠	١,١٧٣٣١			
التوظيف اللغوي	ضابطة قبلي	١,٩٦٠٠	١,٢٠٦٨٢	٠,٩٢٧	٣٨	غير دالة
	تجريبية قبلي	٢,٠٠٠٠	١,١٥٤٧٠			

ويتضح من الجدول السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعتين: التجريبية، والضابطة، سواء أكان ذلك في مستوى التحصيل اللغوي، أم في مستوى التوظيف اللغوي؛ وحينئذٍ فإن الفروق غير دالة إحصائياً؛ وذلك يدل على تكافؤ المجموعتين.

٢- التطبيق البعدي الفوري لاختبارات الأصوات اللغوية على المجموعتين: التجريبية، والضابطة.

٣- التطبيق البعدي المرجأ لاختبارات الأصوات اللغوية على المجموعتين: التجريبية، والضابطة، وذلك بعد مرور شهر من التطبيق الفوري؛ لمعرفة بقاء أثر التعلّم والاكْتساب للأصوات اللغوية، وتحديد مدى الهدر أو الثبات لما اكتسبه وتعلّمه الطلاب عينة الدراسة من أصوات لغوية، وقد أسفر هذان التطبيقان: (الفوري، والمرجأ) عن النتائج الآتية:

أولاً: النتائج الخاصة بمستوى التحصيل اللغوي للأصوات اللغوية

١- قام الباحثان بحساب الفروق بين متوسطي درجات المجموعتين: التجريبية، والضابطة في القياس البعدي الفوري في مستوى التحصيل اللغوي

للأصوات اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية، والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (٧): الفروق بين المجموعتين: التجريبية، والضّابطة في القياس البعدي الفوري في مستوى التّحصيل اللغوي.					
المجموعة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت	درجة الحرّية	الدّلالة
ضابطة بعدي	١١,٨٨٠	٠,٧٨١٠٢	١٧,٨٨	٣٨	دالة عند مستوى ٠,٠٥
تجريبية بعدي	١٥,٢٨٠	٠,٥٤١٦٠			

ويتضح من الجدول السّابق أن الفروق بين المجموعتين في القياس الفوري في مستوى التّحصيل اللغوي دالة إحصائيّاً، إذ بلغ متوسط درجات المجموعة الضّابطة (١١,٨٨٠)، بينما بلغ متوسط درجات المجموعة التجريبية (١٥,٢٨٠)، وقد بلغت قيمة ت (١٧,٨٨)؛ وهذا يعني وجود فروق دالة عند مستوى (٠,٠٥) بين المجموعتين لصالح المجموعة التجريبية.

ويفسّر الباحثان هذه التّيجة بما قدّم لطلاب المجموعة التجريبية من معالجة للأصوات اللغوية من خلال تطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية في أثناء المعالجة التجريبية، ولم تتوافر تلك المعالجة للمجموعة الضّابطة، فطلاب المجموعة التجريبية يتعرضون إلى الأصوات اللغوية في سياقات لغوية وظيفية متنوّعة: (التّطبيقات الحاسوبية الوظيفية التّعليمية- مقاطع مرئية تعليمية- نصوص لغوية أصيلة- مواد لغوية سمعية- وسائل لغوية تعليمية تراعي الفروق اللغوية الفردية بين الطّلاب من النّاطقين بغير اللغة العربية- كما أنهم يستخدمون هذه الأصوات اللغوية في مواقف وظيفية تواصلية طبيعية) بالإضافة إلى ما قدّمه الباحث لهم من تدريبات لغوية تساعدهم على اكتساب الأصوات اللغوية بصورة جيّدة، فإن الطّالب من النّاطقين بغير اللغة العربية والمنتمين إلى المجموعة التجريبية في

الدراسة يتعرّض لها - الأصوات اللغوية - عن طريق نصوص مسموعة أو مشاهدة أو مقروءة تتضمن هذه الأصوات اللغوية وتبرز فيها، ثم يعطيهم الباحث فرصة لاستنطاق هذه الأصوات اللغوية وتثبيتها من خلال تدريبات لغوية متنوعة؛ ليصبحوا على وعي بها، ويستطيعوا محاكاتها واستخدامها في سياقات وظيفية، ومواقف لغوية تواصلية متنوعة؛ وصولاً إلى تطويرها واستثمارها بعد ذلك في مواقف لغوية وظيفية أكثر اتساعاً ورحابة وتنوعاً؛ وحينئذٍ تظهر، كما بيّن، فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعتين: التجريبية، والضابطة في القياس البعدي الفوري في مستوى التحصيل اللغوي للأصوات اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية لصالح المجموعة التجريبية.

٢- قام الباحثان بحساب الفروق بين متوسطي درجات المجموعتين: التجريبية، والضابطة في القياس البعدي المرجأ في مستوى التحصيل اللغوي للأصوات اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية، والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (٨): الفروق بين المجموعتين: التجريبية، والضابطة في القياس البعدي المرجأ في مستوى التحصيل اللغوي.					
المجموعة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت	درجة الحرية	الدلالة
ضابطة مرجأ	٩,٣٦	١,٢٥٤٣٣	١٩,٨٥	٣٨	دالة عند مستوى ٠,٠٥
تجريبية مرجأ	١٤,٨٨	٠,٦			

يتضح من الجدول السابق أن الفروق بين المجموعتين في القياس البعدي المرجأ في مستوى التحصيل اللغوي دالة إحصائياً، إذ بلغ متوسط درجات المجموعة الضابطة (٩,٣٦)، بينما بلغ متوسط درجات المجموعة التجريبية (١٤,٨٨)، وقد

بلغت قيمة ت (١٩,٨٥)؛ وذلك يعني وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين المجموعتين لصالح المجموعة التجريبية، وهذا يعني أن المجموعة التجريبية كانت أكثر قدرة على بقاء أثر التعلّم والاكْتساب لديها، وأن ما اكتسبه الطّلاب من أصوات لغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية كان أكثر ثباتاً وديمومة مقارنة بالمجموعة الضابطة.

ويعزو الباحثان هذه النتيجة إلى أن تدريس الأصوات اللغوية من خلال تطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية، ومهمات لغوية، ومواقف تعليمية وظيفية تواصلية، وليس قواعد مستقلة ومنزوعة السّياق؛ يجعل للأصوات اللغوية قيمة ومعنى لدى الطّلاب؛ لأنه بهذه الطّريقة يحقق لهم وظيفة تواصلية وظيفية مهمّة، تساعد على التّعامل مع المواقف اللغوية المختلفة بصورة جيدة تتسم بالطلاقة من جانب، والصّحة اللغوية من جانب آخر؛ وذلك يزيد دافعيتهم لاكتساب الأصوات اللغوية وتعلّمها، واستخدامها وتوظيفها في المواقف التي يتعرضون لها بسياقات وظيفية متعددة ومتنوعة «واستثمار المعطيات اللغوية التي أصبح المتعلّم متعوداً على إنتاجها وفهمها في تعلّم هذه القواعد»^(١) فالمتعلّم من النّاطقين بغير اللغة العربية لا يفهم معنى ما تعلّمه ولا يحتفظ به ولا يشعر بقيمته إذا لم يتم ذلك على أساس وظيفي، فمعلّم اللغة العربية لغة ثانية يعلّم طلابه اللغة العربية بمهاراتها وفروعها المختلفة، ويعطي تطبيقات ونماذج لغوية، ثم يتيح الفرصة لطلابه من النّاطقين بغير اللغة العربية للتوظيف اللغوي، والممارسة والإنتاج اللغوي، واكتشاف الروابط بين: ما تعلّمه، وما لديه من نظام معرفي سابق؛ وحينئذ يصبح تعلّم الطّالب من النّاطقين بغير اللغة العربية للغة العربية ذا معنى، ويمكن أن يستخدمه فيما بعد في مواقف وموضوعات تواصلية وظيفية أخرى؛

١- هداية هداية الشيخ علي، وخالد محمود عرفان: تصوّر مقترح لبرنامج قراءة إثرائي في ضوء المدخل الوظيفي لطلاب معهد تعليم اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السودان، الخرطوم، جامعة إفريقيا العالمية، ٢٠١٥م، ع ١٩، ص ١٥.

وحيث يمكن التأكيد من الدراسة الحالية بأنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعتين: التجريبية، والضابطة في القياس البعدي المرجأ في مستوى التحصيل اللغوي للأصوات اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية لصالح المجموعة التجريبية.

٣- قام الباحثان بحساب الفروق بين متوسطي درجات القياسين: الفوري، والمرجأ للمجموعة التجريبية في مستوى التحصيل اللغوي للأصوات اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية، والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (٩): الفروق بين متوسطي درجات القياسين: الفوري، والمرجأ للمجموعة التجريبية في مستوى التحصيل اللغوي.					
المجموعة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت	درجة الحرّية	الدّالة
تجريبية فوري	١٥,٢٨	٠,٥٤	٢,٧٤٧	١٨	غير دالة
تجريبية مرجأ	١٤,٨٨	٠,٦			

يتضح من الجدول السابق أن الفروق بين القياسين: الفوري، والمرجأ للمجموعة التجريبية في مستوى التحصيل اللغوي غير دالة إحصائياً، إذ بلغ متوسط درجات القياس الفوري (١٥,٢٨)، بينما بلغ متوسط درجات القياس المرجأ (١٤,٨٨)، وقد بلغت قيمة ت (٢,٧٤٧)؛ وذلك يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين القياسين: الفوري، والمرجأ؛ وهذا يعني أن اكتساب الأصوات اللغوية من خلال تطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية يساعد على تثبيتها وعدم نسيان المتعلمين لها من الناطقين بغير اللغة العربية بسهولة، فقد احتفظ الطلاب من الناطقين بغير اللغة العربية بما اكتسبوه من أصوات لغوية في التطبيق المرجأ، ولم يحدث ما يسمّى بالهدر التعليمي إلا بمقدار ضئيل غير دال إحصائياً.

ويفسر الباحثان ذلك بأن المتعلم من الناطقين بغير اللغة العربية وفق تطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية يكتسب الأصوات اللغوية من خلال سياقاتها الطبيعية دون نزاعها من سياقها، أو تدرّسها قوالب جامدة، وكأنها تُدرّس غاية وليس وسيلة تخدم الاتصال اللغوي؛ ولذا فإن اكتسابها من خلال سياقاتها المتنوّعة يجعلها مدخلاً قابلاً للفهم، كما أن المتعلم يكون لديه أريحية ودافعية أعلى عند التعلّم؛ لأنه شريك أساسي في أثناء تنفيذ المهمة اللغوية؛ وذلك يزيد ثقته اللغوية في نفسه، ويصبح لديه قابلية واستعداد نفسي، يسمح بمرور هذا الدّخل والاكتساب اللغوي، وثباته لدى المتعلم من الناطقين بغير اللغة العربية، ويصبح المتعلم على وعي بهذا الدّخل والاكتساب اللغوي الذي يصعب نسيانه وفقده.

على هذا الأساس ومن خلال التجربة الميدانية للبحث يمكن للدراسة الحالية رفض الفرض الذي ينصّ على أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية في القياسين: الفوري، والمرجأ في مستوى التّحصيل اللغوي لصالح القياس الفوري؛ لأن الفروق غير دالة.

ثانياً: النتائج الخاصّة بمستوى التّوظيف اللغوي للأصوات اللغوية

١- قام الباحثان بحساب الفروق بين متوسطي درجات المجموعتين: التجريبية، والضابطة في القياس البعدي الفوري في مستوى التّوظيف اللغوي للأصوات اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية، والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (١٠): الفروق بين المجموعتين: التجريبية، والضابطة في القياس البعدي الفوري في مستوى التوظيف اللغوي.					
المجموعة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت	درجة الحرية	الدلالة
ضابطة بعدي	٦	٠,٨٦٠	٣٧,٢٩	٣٨	دالة عند مستوى ٠,٠٥
تجريبية بعدي	١٣,٦٨	٠,٥٥			

ويتضح من الجدول السابق أن الفروق بين المجموعتين في القياس الفوري في مستوى التوظيف اللغوي دالة إحصائياً، إذ بلغ متوسط درجات المجموعة الضابطة (٦)، بينما بلغ متوسط درجات المجموعة التجريبية (١٣,٦٨)، وقد بلغت قيمة ت (٣٧,٢٩)؛ وذلك يعني وجود فروق دالة عند مستوى (٠,٠٥) بين المجموعتين لصالح المجموعة التجريبية، وهذا يدل على ارتفاع مستوى المجموعة التجريبية في القدرة على توظيف الأصوات اللغوية في تنفيذ المهام اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية مقارنة بالمجموعة الضابطة.

ويمكن عزو هذه النتيجة إلى أن الطلاب في المجموعة التجريبية أتاحت لهم فرص لغوية متعددة ومتنوعة للممارسة الحقيقية للأصوات اللغوية، وتوظيف ما اكتسبوه وتعلموه من أصوات لغوية في إبداع منتوجات لغوية في سياقات وظيفية مختلفة، وكل هذا يكسر الحاجز ويقرب الفجوة بين: الوعي بالأصوات اللغوية، واستخدامها وتوظيفها في مواقف تواصلية وظيفية طبيعية؛ ومن ثمّ يمكن قبول الفرض الذي ينصّ على وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعتين: التجريبية، والضابطة في القياس البعدي الفوري في مستوى التوظيف اللغوي للأصوات اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية لصالح المجموعة التجريبية.

٢- قام الباحثان بحساب الفروق بين متوسطي درجات المجموعتين: التجريبية، والضابطة في القياس البعدي المرجأ في مستوى التوظيف اللغوي للأصوات اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية، والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (١١): الفروق بين المجموعتين: التجريبية، والضابطة في القياس البعدي المرجأ في مستوى التوظيف اللغوي.					
المجموعة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت	درجة الحريرة	الدلالة
ضابطة مرجأ	٤,٤٩	٠,٥	٥٣,٠٠٣	٣٨	دالة عند مستوى ٠,٠٥
تجريبية مرجأ	١٣,٢٠	٠,٦٤			

ويتضح من الجدول السابق أن الفروق بين المجموعتين في القياس البعدي المرجأ في مستوى التوظيف اللغوي دالة إحصائياً، إذ بلغ متوسط درجات المجموعة الضابطة (٤,٤٩)، بينما بلغ متوسط درجات المجموعة التجريبية (١٣,٢٠)، وقد بلغت قيمة ت (٥٣,٠٠٣)؛ وذلك يعني وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠٥) بين المجموعتين لصالح المجموعة التجريبية، وهذا يعني أن المجموعة التجريبية كانت أكثر احتفاظاً بمهارات التوظيف اللغوي التي اكتسبتها من خلال تطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية مقارنة بالمجموعة الضابطة.

ويمكن تفسير ذلك بأن الممارسات اللغوية، والأنشطة والوسائل التعليمية، والتدريبات والاختبارات اللغوية التي قُدمت للمجموعة التجريبية كانت متمحورة حول المتعلم من الناطقين بغير اللغة العربية، وكانت في ضوء حاجاته اللغوية، كما أن المتعلم من الناطقين بغير اللغة العربية كان مشاركاً فاعلاً فيها ومنتجاً لها، فالدخل اللغوي الذي قُدم للمتعلمين من الناطقين بغير اللغة العربية قد حُطت له بعناية قبل تنفيذ المهام اللغوية المُضمّنة في ضوء مدخل المهام اللغوية

الوظيفية التّواصلية، وقد أُخْتِيرَ ذلك المدخل التّعليمي في ضوء تحليل احتياجات المتعلّمين من الناطقين بغير اللغة العربية، كما روعي أيضاً زيادة التّركيز على الأصوات اللغوية الكثرى بروزاً على مستوى الأخطاء الشائعة لدى الناطقين بغير اللغة العربية والتي تلبي احتياجات المتعلّمين في تحقيق اتصال وظيفي جيّد وسليم لغويّاً مع الناطقين باللغة العربية.

وعلى هذا يجب التّنبه من جانب الدّراسة الحالية على «ضرورة القيام بإجراء تربوي موضوعي يهدف إلى الحصر الكمي والنوعي للتراكيب والبني النحوية الأساسية التي يحتاج إليها متعلّم اللغة فمن الضروري بناء أرضية وإعداد ذخيرة لغوية تكون مصدرًا لتزويد مناهج النحو ومقرراته بالموضوعات والتراكيب بحسب أساسياتها في الاستخدام والبناء اللغوي ومدى ملاءمتها لحاجات متعلمي اللغة الثانية»^(١) فمراعاة الحاجات اللغوية عند وضع برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تكون سبباً في نجاح أو تطوير هذه البرامج اللغوية؛ إذ يشعر الدارسون من الناطقين بغير اللغة العربية بتلبية احتياجاتهم اللغوية، «وعدم ابتعاد ما يدرسونه عمّا يحتاجون إليه، وحينئذٍ تتوافر لهم فرص الممارسة الفاعلة لما تعلّموه، كما أن عملية تحليل الحاجات تجعل التعلّم ذا معنى وقيمة لدى الدارسين»^(٢) من الناطقين بغير اللغة العربية؛ وحينئذٍ يمكن قبول الافتراض الذي ينصّ على وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعتين: التجريبية، والضابطة في القياس البعدي المرجأ في مستوى التّوظيف اللغوي للأصوات اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية لصالح المجموعة التجريبية.

١- صاري، محمد: الأسس العلميّة واللغوية لبناء مناهج التّحو لغير الناطقين بالعربية، المملكة العربية السّعودية، الرياض، معهد اللغويات العربية، ٢٠٠٩م، ص ١١.
٢- علي، هداية هداية الشّيخ: المهام اللغوية وإشباع حاجات الاتّصال اللغوي لدى متعلّمي اللغة العربية من الموهوبين لغويّاً، المملكة العربية السّعودية، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ٢٠٠٩م، ص ٦٢.

٣- قام الباحثان بحساب الفروق بين متوسطي درجات القياسين: الفوري، والمرجأ للمجموعة التجريبية في مستوى التوظيف اللغوي للأصوات اللغوية بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية، والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول (١٢): الفروق بين متوسطي درجات القياسين: الفوري، والمرجأ للمجموعة التجريبية في مستوى التوظيف اللغوي.					
المجموعة	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت	درجة الحرية	الدلالة
تجريبية فوري	١٣,٦٨	٠,٥٤	٢,٨١٥	١٨	غير دالة
تجريبية مرجأ	١٣,٢٠	٠,٦٤			

يتضح من الجدول السابق أن الفروق بين القياسين: الفوري، والمرجأ للمجموعة التجريبية في مستوى التوظيف اللغوي غير دالة إحصائياً، إذ بلغ متوسط درجات القياس الفوري (١٣,٦٨)، بينما بلغ متوسط درجات القياس المرجأ (١٣,٢٠)، وقد بلغت قيمة ت (٢,٨١٥)؛ وذلك يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين القياسين: الفوري، والمرجأ، وهذا يعني أن اكتساب الأصوات اللغوية من خلال تطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التواصلية يساعد على تثبيتها وعدم نسيانها والقدرة على توظيفها بصورة فاعلة، فقد احتفظ الطلاب عينة الدراسة من الناطقين بغير اللغة العربية والمنتمين إلى المجموعة التجريبية في الدراسة بما اكتسبوه من أصوات لغوية في التطبيق المرجأ، ولم يحدث ما يُسمى بالهدر التعليمي إلا بمقدار ضئيل غير دال إحصائياً.

ويعزو الباحثان هذه النتيجة إلى الأسباب الآتية الذكر:

أ- التطبيق السياقي: إذ قام الباحثان بإعداد الدروس الصوتية التي قدمها للمجموعة التجريبية لاكتساب وتعلم الأصوات اللغوية، وأكثر فيها من التدريبات اللغوية، والتطبيقات السياقية الوظيفية المتنوعة، فتارة تُقدّم الأصوات اللغوية في منظم تمهيدي: «نص مسموع - نص مُشاهد - نص مقروء»، وتارة تُقدّم بصورة مباشرة في تدريبات لغوية لتثبيتها لدى الطلاب من الناطقين بغير اللغة العربية، وتارة يُطلب من المتعلمين من الناطقين بغير اللغة العربية توظيفها واستثارتها في سياقات لغوية وظيفية تواصلية جديدة مشابهة لما سبق اتسابه وتعلمه بالصف الدراسي، وتارة يُطلب منهم توظيفها واستثمارها في سياقات لغوية جديدة أكثر رحابة واتساعاً لغوياً، وهذا يؤدي إلى ثبات وديمومة ما اكتسبه الطلاب من الناطقين بغير اللغة العربية، وتعلموه من أصوات لغوية.

ب- التّعزيز: فقد اهتمّ الباحثان بعمليات التّعزيز المتنوّعة لاستجابات المتعلّمين اللغوية؛ وقد كان سبباً في ثبات ما اكتسبه الطلاب وتعلّموه من أصوات لغوية، وبرز هذه الأصوات اللغوية كعادات لغوية ثابتة متى احتيج إليها في مواقف تواصلية وظيفية لغوية مع الناطقين باللغة العربية.

ت- الوظيفية التّواصلية: لم تركز الدروس الصوتية التي قُدمت للطلاب (عيّنة الدراسة والمنتمين إلى المجموعة التجريبية في الدراسة) على اكتساب الأصوات اللغوية فقط، وإنما على توظيفها واستثمارها في إيجاد منتجات لغوية في سياقات تواصلية وظيفية متعددة ومتنوّعة، فالصّوت اللغوي في ضوء هذا المدخل التّعليمي الحديث -مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية- يُدرّس وظيفياً، وليس قواعد مجردة أو منزوعة من سياقها الاجتماعي أو التّواصلية الوظيفية.

ث- التّمحور حول المتعلّم: أُختيرت الأصوات اللغوية المضمّنة في البحث في ضوء تلبية احتياجات المتعلّمين من النّاطقين بغير اللغة العربية اللغوية، فلم تأت هذه الأصوات اللغوية بصورة عشوائية، أو تبعاً للترتيب المنطقي المسبّق لها بالمعاجم العربية، كما أن المتعلّمين من النّاطقين بغير اللغة العربية لم يكن دورهم سلبيّاً، بل كانوا مشاركين فاعلين في كل أنشطة الدّراسة الميدانية، بل كانوا منتجين لكثير من المتوجّات اللغوية في أثناء الممارسة والتّطبيق اللغوي، فكل ما قدّم من أنشطة وممارسات كان متمحوراً حول المتعلّم من النّاطقين بغير اللغة العربية؛ وهذا يجعل لما اكتسبه المتعلّم معنى وقيمة بالنسبة إليه.

وذلك يؤكّد ضرورة التّركيز على الجانب الوظيفي والتّواصلية في تدريس الأصوات اللغوية، «فلا تُدرّس كهدف وغاية في حد ذاتها، وإنما يكون التّركيز فيها على الجوانب الوظيفية التّواصلية، كما يجب تقديم الصّوت اللغوي من خلال المعاني، أو داخل سياقات تلبي حاجات الطّلاب التّواصلية»؛^(١) لأنّ تدريس الأصوات اللغوية يجب أن يقوم على أساس عدد من المسلّمات اللغوية والتّعليمية مثل: «التناسبية لمستوى الطّلاب، التّركيز على التّطبيق والتّدريب وليس مجرد تقديمها قواعد نظرية وافتراضات مجردة، تقديمها في سياقات موقفية لغوية مناسبة».^(٢)

وحيثُ قدّ فبعد الدّراسة الميدانية ومن خلال العرض السّابق يمكن للدراسة الحالية رفض الفرض الذي ينصّ على وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسطي درجات المجموعة التّجريبية في القياسين:

- ١- عثمان التّجران، عبد المنعم عثمان: تعلّم النّحو وتعليمه وظيفياً (الاستراتيجيات والأساليب)، المملكة العربية السّعودية، الرياض، معهد اللغويات العربية جامعة الملك سعود، ٢٠١٥م، ص ٧٥٩.
- ٢- الشريوفي، عيسى: سمات القواعد التّعليمية، ماليزيا، مالانج، الجامعة الإسلامية العالمية، ٢٠١١م، ص ٣٠.

الفوري، والمرجأ في مستوى التوظيف اللغوي بتطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية لصالح القياس الفوري؛ لأن الفروق غير دالة إحصائيًا.

توصيات الدراسة

توصي الدراسة الحالية بما يأتي:

١- الاستفادة من تطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية في تصميم النّشاطات والمواد اللغوية والتّعليمية التي تُقدّم لمتعلّمي اللغة العربية لغة ثانية.

٢- عقد دورات تدريبية لمعلمي اللغة العربية لغة ثانية لتصميم المقررات والمواد اللغوية والتّعليمية، وإستراتيجيات وطرائق التّدرّيس المرتبطة بها في ضوء تطبيق مدخل المهام اللغوية الوظيفية التّواصلية.

المصادر والمراجع

- تعليم اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية»، السودان، الخرطوم، جامعة إفريقيا العالمية، ٢٠١٥م، ع ١٩.
- الشريوفي، عيسى: سمات القواعد التعليمية، ماليزيا، مالانج، الجامعة الإسلامية العالمية، ٢٠١١م.
- الشويخ، صالح: المذاهب الحديثة في تدريس القواعد اللغوية، مصر، القاهرة، مجلة علوم اللغة، ٢٠٠٩م، مج ١٢، ع ٢.
- الشيخ علي، هداية هداية إبراهيم، وخالد محمود عرفان: تصوّر مقترح لبرنامج قراءة إثرائي في ضوء المدخل الوظيفي لطلاب معهد صاري، محمد: الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج النحو لغير الناطقين بالعربية، المملكة العربية السعودية، الرياض، معهد اللغويات العربية، ٢٠٠٩م.
- الشيخ علي، هداية هداية إبراهيم: المهام اللغوية وإشباع حاجات الاتصال اللغوي لدى متعلمي اللغة العربية من الموهوبين لغويًا، المملكة العربية السعودية، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ٢٠٠٩م.
- عثمان النجران، عبد المنعم عثمان: تعلّم النحو وتعليمه وظيفيًا (الاستراتيجيات والأساليب)، المملكة العربية السعودية، الرياض، معهد اللغويات العربية جامعة الملك سعود، ٢٠١٥م.
- علام، صلاح الدين محمود: القياس والتّقييم التّربوي والنّفسي: أساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة، مصر، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٠م.

Sources and References:

- Allam, Salah El-Din Mahmoud: Educational and psychological measurement and evaluation: its basics, applications and contemporary trends, Egypt, Cairo, Dar Al-Fikr Al-Arabi, 2000.
- Teaching Arabic Language at the Imam Muhammad bin Saud Islamic University: Sudan, Khartoum, International University of Africa, 2015.
- Al-Shuwairekh, Salih: Modern Doctrines in Teaching Grammar, Egypt, Cairo, Journal of Linguistics, 2009.
- Hedayat Al-Sheikh Ali and Khaled Mahmoud Irfan: A proposed conception of an enrichment reading program in the light of the career entrance for the students of Sari Institute, Muhammad: Scientific and Linguistic Foundations for Building Grammar Curricula for Non-Arabic Speakers, Kingdom of Saudi Arabia, Riyadh, Institute of Arabic Linguistics, 2009.
- Ali, Hedayat Al-Sheikh: Linguistic tasks and fulfilling the linguistic communication needs of linguistically gifted learners of Arabic, Kingdom of Saudi Arabia, Riyadh, Imam Muhammad bin Saud University, 2009.
- Othman Al-Najran, Abdel Moneim Othman: Grammar Learning and Functional Teaching (Strategies and Methods), Kingdom of Saudi Arabia, Riyadh, Institute of Arabic Linguistics, King Saud University, 2015.
- Al-Sharifi, Issa: Features of Educational Grammar, Malaysia, Malang, International Islamic University, 2011.

الإمام أبو عبد الله محمد بن شريح
الرعيّني (ت ٤٧٦هـ) وأثره في
إثراء الدرس الإقراءي بالغرب الإسلامي

**Imam Abu Abdullah Muhammad bin Shuraih
Al-Raa'ini (d. 476 AH) and its impact on
enriching the reading lesson in the Islamic West..**

د. مراد زهوي

أستاذ التعليم العالي بجامعة السلطان مولاي سليمان
بني ملال - المملكة المغربية

Dr. MOURAD ZAHOU

University of Sultan Moulay Suleiman, Beni Mellal, Morocco

<https://doi.org/10.47798/awuj.2023.i67.03>

تاريخ تسلّم البحث 2021/10/11 - وصدر خطاب القبول 2022/05/27



Abstract

Imam Al Ru'aini is considered one of the most important figures of recitation in Islamic West countries during both the 4th and 5th centuries AH which are known as the outstanding recitation centuries. Therefore, this study spots light on this unique scientific personality and highlights its role in enriching the reciting lesson in the Islamic West.

Who is Imam Abu Abdullah Al Ru'aini? How did he enrich the reciting lesson in Andalusia? Then what are the most important components and characteristics of his performance approach?

The study aims to: Indicate the scientific status of Imam Abu Abdullah Al Ru'aini, Highlight the role he played in enriching the reciting lesson in the Islamic West, Clarify the features of his outstanding performance approach.

In order to solve these problems, and to achieve the research objectives, the inductive approach was combined with the comparative approach in which the Imam's choices were contrasted between the choices of both the Imam of the Moroccan Qur'anic school and Imam Al Dani Al Hafez Al Andalusi, and with the choices of Makki Al Qaisi, the Sheikh of the standard reciting school, in order to highlight the man's leadership and his ability to establish a unique performance approach in the Islamic West in an era marked by the era of recitations and the emergence of the most important reciting schools and the distinctiveness of performance approaches that are used in recitations up till now.

The study concluded the following: Considering

ملخص البحث

يعد الإمام الرعيني من بين أهم أقطاب الإقراء، وأعلام الأداء في بلاد الغرب الإسلامي، خلال قرني القراءات بامتياز، أعني القرن الرابع والخامس الهجريين، ولذلك جاء هذا البحث ليعرف بهذه الشخصية العلمية المنفردة، ويبرز دورها في إثراء الدرس الإقرائي بالغرب الإسلامي.

فمن هو الإمام أبو عبد الله الرعيني؟ وكيف ساهم في إثراء الدرس الإقرائي بالأندلس؟ ثم ما هي أهم مقومات وخصائص منهجه الأدائي؟

ويهدف البحث إلى: التعريف بالإمام أبي عبد الله الرعيني، وبيان مكانته العلمية.

إبراز الدور الذي قام به في إثراء الدرس الإقرائي بالغرب الإسلامي.

الكشف عن معالم منهجه الأدائي المتميز.

وللاجابة عن هذه الإشكالات، وتحقيق أهداف البحث زوجت بين المنهج الاستقرائي والمنهج المقارن، حيث قارنت بين اختيارات الإمام المشتغل عليه باختيارات إمام المدرسة المغربية القرائية وحافظ الأندلس الإمام الداني، واختيارات شيخ المدرسة القرائية القياسية مكّي القيسي، لإبراز إمامة الرجل، واستطاعته تأسيس منهج أدائي متفرد في الغرب الإسلامي في عصر وسم بعصر القراءات، واختص بظهور أهم مدارس الإقراء، وتميّز مناهج الأداء، التي عليها العمل في القراءة إلى يوم الناس هذا.

وخلص البحث إلى: اعتبار الإمام أبي عبد الله الرعيني من أهم أعلام الأداء وأئمة الإقراء في بلاد الغرب الإسلامي.

إسهامه الكبير في إغناء الدرس الإقرائي بالغرب الإسلامي من خلال ما أدخله من روايات ومصنفات، وما تصدى له من تدريس وإقراء، وتأليف ونشر.

تأسيسه منهجا جديدا في الأداء، اصطلاح عليه شيخنا الدكتور سيدي عبد الهادي حميتو - حفظه الله تعالى - : المنهج التوفيقي، حيث وفق بين مدرسة الحافظ أبي عمرو الداني

Imam Abi Abdullah Al Ru'aini as one of the most important performance figures and recitation Imams in the Islamic West.

His great contribution to enriching the reciting lesson in the Islamic West through what he introduced of recitations, works, and what he did in terms of teaching, reading, writing and publishing.

His founding of a new approach in performance, termed by our Sheikh, Dr. Sidi Abdel Hadi Hamito -- May Allah Almighty protect him --: the compromise approach, where he balanced between Al Hafiz Abi Amr Al Dani's Following School and Sheikh Abi Muhammad Makki's Standard School.

Keywords: Imam Al Muqri' (Reciter) Al Ru'aini, Reciting Renewal, Islamic West, The 4th and 5th Centuries AH, Performance schools.

الاتباعية الأثرية، ومدرسة الشيخ أبي محمد مكي القياسية.
الكلمات المفتاحية: الإمام المقرئ الرعيني، التجديد
الإقرائي، الغرب الإسلامي، القرنان الرابع والخامس
الهجريان، المدارس الأدائية.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن مرتلا ترتيلا، ووعد من قرأه وعمل به ثوابا جزيلا، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، محمد سيد خلق الله، وعلى أصحابه الذين سلكوا منهجه القويم، وبرعوا في الفصاحة والبلاغة، فهمسوا الهاء وجهروا بالجيم سجية وطبعلا تعلمنا، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فيعد الإمام الرعيني من بين أهم أقطاب الإقراء، وأعلام الأداء في بلاد الغرب الإسلامي، خلال قرني القراءات بامتياز، أعني القرن الرابع والخامس الهجريين، ولذلك جاء هذا البحث ليكشف اللثام عن هذه الشخصية العلمية المتفردة، ويبرز دورها في إثراء الدرس الإقرائي بالغرب الإسلامي، من خلال كتاب «الكافي في القراءات السبع».

وتبرز أهمية البحث الذي أقدمه في قيمة الشخصية موضوع البحث، فلقد أسس الإمام أبو عبد الله - رحمه الله - مدرسة جديدة في الأداء، ومنهجاً فريداً في الإقراء، اصطلاح عليه بـ: «المدرسة التوفيقية»، حيث وفق بين المدرسة الأثرية الاتباعية التي تزعمها الحافظ الداني (ت ٤٤٤ هـ)، والمدرسة القياسية التي ترأسها الشيخ مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ).

كما أثرى الدرس القرائي تأليفاً وتدريسا ورواية، إذ عرف عنه إدخال جملة من الروايات والمصنفات إلى بلاد الأندلس، والجلوس للتدريس نحو أربعين سنة بمسجد إشبيلية، تخرج خلالها عدد من القراء والتلاميذ الذين حملوا هذا العلم ونشروه من بعده، خصوصا ابنه أبو الحسن الرعيني.

إذن فمن هو الإمام أبو عبد الله الرعيني؟ وكيف ساهم في إثراء الدرس القرائي بالأندلس؟ ثم ماهي أهم مقومات وخصائص منهجه الأدائي؟
ويمكن حصر أهداف البحث في الآتي:
بيان مكانة الإمام أبي عبد الله الرعيني، والتعريف به.
إبراز الدور الذي قام به في إثراء الدرس القرائي بالغرب الإسلامي.
الكشف عن معالم منهجه الأدائي المتميز.

وللإجابة عن هذه الإشكالات، وتحقيق أهداف البحث اعتمدت المنهج الاستقرائي، كما قارنت بين اختيارات الإمام موضوع البحث باختيارات إمام المدرسة المغربية القرائية وحافظ الأندلس الإمام الداني واختيارات شيخ المدرسة القرائية القياسية مكي القيسي، لإبراز التفرد الأدائي لمدرسة الإمام الرعيني، التي عملت على التوفيق بين المدرستين، مما يؤكد إمامة الرجل، وقدرته على البروز والشفوف بين أقطاب الإقراء بالغرب الإسلامي في عصر وسم بعصر القراءات، واختص بظهور أهم مدارس الإقراء، وتميز مناهج الأداء، والتي عليها العمل في القراءة إلى يوم الناس هذا.

وأما الخطة التي سلكتها في البحث، فكانت كالآتي:

مقدمة: ركزت فيها على بيان: أهمية البحث، وأسباب اختياري له، وإشكالية البحث، وأهدافه، وخطة البحث.

المبحث الأول: الإمام أبو عبد الله الرعيني وآثاره على الإقراء

وتحتة مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإمام الرعيني

وتحتة ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: ولادته ونشأته

المسألة الثانية: شيوخه وتلاميذه وثناء العلماء عليه ووفاته

المطلب الثاني: آثاره على الإقراء

وتحتة ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: الإقراء والتدريس

المسألة الثانية: التصنيف والتأليف

المسألة الثالثة: الأسانيد والمصنفات التي أدخلها إلى بلاد الغرب الإسلامي

المبحث الثاني: المنهج التوفيقي عند الإمام الرعيني من خلال مصنفه «الكافي في أصول القراءات»

وتحتة مطالبان:

المطلب الأول: كتاب «الكافي في أصول القراءات»

وتحتة مسألتان:

المسألة الأولى: وصف الكتاب

المسألة الثانية: منهج المؤلف فيه.

المطلب الثاني: الاتجاه «التوفيقي» عند الإمام الرعيني

وتحتة ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالاتجاه التوفيقي

المسألة الثانية: نماذج للمنهج التوفيقي عند الإمام الرعيني أصولاً وفرشاً

المسألة الثالثة: اختيارات الإمام الرعيني

خاتمة البحث: بينت فيها أهم النتائج والتوصيات التي انتهى إليها البحث.

المبحث الأول: الإمام أبو عبد الله الرعيني وآثاره على الإقراء

وتحتة مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإمام الرعيني

المطلب الثاني: آثاره على الإقراء

المطلب الأول: التعريف بالإمام الرعيني

المسألة الأولى: ولادته ونشأته

أولاً: نسبه

هو الإمام شيخ القراء، أبو عبد الله، محمد بن شريح بن أحمد بن شريح بن يوسف الرعيني، الإشبيلي، المقرئ، الأستاذ^(١). قال الإمام الذهبي: «وهذا الذي تحرر في نسبه. فأما ابن بشكوال، فأدخل في نسبه محمداً بين أبيه وبين أحمد»^(٢).

والرعيني نسبة إلى «ذي رعين» كزبير، من ولد الحارث بن عمرو بن سبأ من عرب اليمن، و«رعين» حصن أو جبل فيه حصن، وفي اليمن مخلاف يقال له «شعب ذي رعين»^(٣).

١- أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي: بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمان السويقي، دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ص: ٧٠، الإمام محمد بن أحمد أبي عبد الله الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمد نعيم العرقسوس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م: ١٨ / ٥٥٤، الإمام محمد ابن أحمد أبي عبد الله الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م: ١ / ٤٣٤، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١ هـ ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى: ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م، ١٥٣ / ٢. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، د.ت: ١٠ / ٦٦.

٢- سير أعلام النبلاء: ١٨ / ٥٥٤.

٣- أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني: الأنساب، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى: ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م: ٣ / ٧٦، الجلال عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي: لب اللباب في تحرير الأنساب: ١ / ٣٥٥، معجم البلدان لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي: ٣ / ٦٠، شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م: ١ / ٢٨٢.

والإشبيلي نسبة إلى «إشبيلية» مدينة عظيمة من مدن الأندلس، وهي من غرب الأندلس وجنوبه، ومعنى اسمها المدينة المنبسطة، ليس بالأندلس أعظم منها وتسمى أيضا حمص، وهي قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف وهو جبل كثير الشجر، وهي على شاطئ نهر عظيم قريب في العظم من دجلة أو النيل تسيل فيه المراكب المثقلة، يقال له وادي الكبير^(١).

ثانيا: ولادته

ولد ابن شريح بإشبيلية بالأندلس يوم الأضحى^(٢) سنة اثنتين وتسعين وثلاث مائة^(٣)، وقيل سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة^(٤).

وقد رجّح بعض المترجمين له أنه عاش حوالي أربع وثمانين سنة. وهذا يرجح أنه ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة والله أعلم.

ولم تذكر المصادر مكان ولادته ولا شيئا عن نشأته، وأسرته إلا ابنه شريحا الذي ترجم له العديد من العلماء باعتباره علما من أعلام الإقراء ببلاد الغرب الإسلامي.

المسألة الثانية: شيوخه وتلاميذه وثناء العلماء عليه ووفاته

أولا: شيوخه:

من خلال ما ذكره المترجمون لابن شريح من الشيوخ وبالنظر إلى من ذكرهم هو أيضا ممن صرح بأخذه عنهم أو سماعه عليهم، نذكر جملة منهم:

- ١- معجم البلدان: ١ / ٢٣٢.
- ٢- أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ): كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس ذيل كتاب تاريخ ابن الغرضي، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ص: ٤٣٤.
- ٣- بغية المتتمس، ص: ٨١، سير أعلام النبلاء: ١٨ / ٥٥٤ الصلة، ص: ٤٣٤.
- ٤- غاية النهاية: ٢ / ١٥٣.

أبو العباس أحمد بن سعيد بن أحمد المعروف بابن نفيس الطرابلسي الأصل،
المصري (ت ٤٥٣ هـ)^(١).

أبو الحسن أحمد بن محمد القنطري نزيل مكة (ت ٤٣٨ هـ)^(٢).

أبو العباس أحمد بن علي بن هاشم تاج الأئمة المصري (ت ٤٤٥ هـ)^(٣).

أبو علي الحسن بن محمد بن إبراهيم المالكي البغدادي (ت ٤٣٨ هـ)^(٤).

أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت ٤٣٧ هـ) وأجاز له^(٥).

أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد الأنصاري الخراساني الهروي المالكي (ت
٤٣٤ هـ)^(٦).

أبو عمرو عثمان بن أحمد بن محمد بن يوسف اللخمي المعافري القرطبي
القشطالي (ت ٤٣١ هـ)^(٧).

أبو القاسم محمد بن الطيب الكحال البغدادي^(٨).

أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز اليحصبي النحوي^(٩).

أبو حفص عمر بن حسين المقرئ المعروف بابن النفوسي^(١٠).

١- معرفة القراء الكبار: ٤١٦ / ١، غاية النهاية: ٥٦ / ١.

٢- معرفة القراء الكبار: ٣٩٦ / ١، غاية النهاية: ١٣٦ / ١.

٣- معرفة القراء الكبار: ٤٠٥ / ١، غاية النهاية: ٨٩ / ١.

٤- معرفة القراء الكبار: ٣٩٦ / ١، غاية النهاية: ٢٣٠ / ١.

٥- معرفة القراء الكبار: ٣٤٩ / ١، غاية النهاية: ٣٠٩ / ٢.

٦- ترتيب المدارك ٤ / ٦٩٦، سير أعلام النبلاء: ١٧ / ٥٥٤.

٧- الصلة: ١ / ٣٨٤، سير أعلام النبلاء: ١٧ / ٣٨٤.

٨- معرفة القراء الكبار: ٤١٦ / ١، غاية النهاية: ٥٦ / ١، ١٥٣ / ٢، الصلة: ٢ / ٥٢٤، سير أعلام النبلاء:
١٨ / ٥٥٤.

٩- محمد بن خير بن عمر بن خليفة أبو بكر الأموي: فهرست ابن خير، وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور،
الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، دار الكتب العلمية بيروت. ص: ٢٣ إلى ٢٦ ...

١٠- نفسه، ص: ٢٥ - ٣٨ - ٤٤٨.

أبو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيدي البغدادي^(١).

أبو محمد عبد الواحد بن عبد الله الضرير القيرواني^(٢).

ثانياً: تلاميذه

لم تذكر لنا المصادر من تلاميذ الإمام ابن شريح إلا القليل، ومما يقطع به أنه تتلمذ على يديه جمع كبير من الطلبة، ذلك أنه - رحمه الله - جلس قرابة أربعين سنة يقرئ ويدرس بمدينته اشيلية التي اتسمت في تلك الفترة بحركة علمية زاهرة.

قال الإمام الذهبي: «روى عنه الكثير ولده أبو الحسن شريح بن محمد، وأبو العباس ابن عيشون وطائفة»^(٣).

ومن تلاميذه الذين وردت أسماءهم في المصادر، نجد:

ابنه أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح القاضي (ت ٥٧٣هـ)^(٤).

أبو الأصبع عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع الغافقي الأندلسي (ت ٥٢٥هـ)^(٥).

أبو العباس أحمد بن خلف بن عيسون بن خيار الجذامي الإشبيلي المعروف بالنحاس (ت ٥٣١هـ)^(٦).

أبو علي منصور بن الخير بن يملى المغراوي المالقي الأحذب (ت ٥٢٦هـ)^(٧).

١- فهرست ابن خير، ص: ٧٤ - ٣٠٩ - ٤٣٨ - ٤٤١.

٢- فهرست ابن خير، ص: ١٥٠.

٣- سير أعلام النبلاء: ١٨ / ٥٥٥.

٤- معرفة القراء الكبار: ١ / ٤٩٠، غاية النهاية: ١ / ٣٢٤.

٥- طبقات القراء للذهبي: ٢ / ٧٤١، غاية النهاية: ١ / ٦٠٨.

٦- بغية الملتبس، ص: ١٥١، معرفة القراء الكبار: ١ / ٤٨٢، غاية النهاية: ١ / ٥٢.

٧- الصلة: ٢ / ٤٨١، بغية الملتبس، ص: ٤١٥، معرفة القراء الكبار: ١ / ٤٨١، غاية النهاية: ٢ / ٣١٢.

ثالثا: ثناء العلماء عليه

وشح العلماء والمترجمون أبا عبد الله الرعيني بأوصاف تدل على إمامته في العلم وصنوفه، وبعبارات تفيد تصدره لإقراء القرآن وتدريسه، فهو - رحمه الله - كما أشرت قبلاً قطب من أقطاب الأداء، ومؤسس اتجاه ومدرسة من أهم مدارس الإقراء.

قال عنه ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ): «وكان من جلة المقرئين وخيارهم ثقة في روايته»^(١).

وقال الضبي (ت ٥٩٩ هـ): «محمد بن شريح الرعيني المقرئ، إشبيلي، فقيه، مقرئ، محدث، نحوي، أديب، رئيس في وقته في صنعته»^(٢).

وقال أيضا: «أخبرني أبو الحسن نجبة بن يحيى بن خلف بن نجبة، وقرأت عليه في داره، بحضرة مراکش - حرست - حزب ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي﴾ في سورة يوسف. فلما انتهيت في سورة الرعد إلى قوله: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ وقفت عليه فرفع رأسه إلي وقال لي: أخبرني شريح عن أبيه محمد بن شريح أنه صلى بالاعتضد ذات ليلة في شهر رمضان فقرأ هذه السورة، ووقف كما وقفت.

فلما كان يوم آخر وجه عند المعتضد وقال له: والله ما فهمت قط الآية التي قرأت بها البارحة في سورة الرعد إلا من قراءتك، كنت أجعل الحسنى صفة للأمثال، فجزاك الله خيرا، ووجه له بكسوة ومركوب حسن وألف دينار وجارية»^(٣).

وقال الذهبي: «ابن شريح الإمام شيخ القراء أبو عبد الله محمد بن شريح... وكان رأسا في القراءات، بصيرا بالنحو والصرف، فقيها، كبير القدر، حجة،

١- الصلاة: ٢ / ٤٣٤.

٢- بغية الملتمس، ص: ٧٠.

٣- نفسه، ص: ٧٠، سير أعلام النبلاء: ١٨ / ٥٥٥.

ثقة»^(١).

وقال أيضا: «محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح الرعيني أبو عبد الله الإشبيلي، المقرئ، الأستاذ، مصنف كتاب الكافي وكتاب التذكير، وكان من جلة قراء الأندلس»^(٢).

وقال الإمام ابن الجزري: «محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح بن يوسف بن عبد الله بن شريح أبو عبد الله الرعيني الإشبيلي، الأستاذ، المحقق، مؤلف الكافي والتذكير»^(٣).

وقال الإمام السيوطي في حقه وهو يترجم لابنه شريح: «وأبوه أبو عبد الله أحد الأئمة المقرئين أيضا في وقته، وله تصانيف بديعة في القرآن، وإليه كانت الرحلة في وقته»^(٤).

رابعاً: وفاته

وبعد هذه الحياة التي عاشها الإمام المقرئ محمد بن شريح توفي كما قال ابنه الخطيب أبو الحسن شريح: عصر يوم الجمعة الرابع من شوال، سنة ست وسبعين وأربعمائة، وله أربع وثمانون عاماً إلا خمسة وخمسين يوماً^(٥). وقيل: بل مات في منتصف الشهر^(٦). وتأسف الناس عليه - رحمه الله - وصلى عليه ابنه^(٧). رحمه

١- سير أعلام النبلاء: ١٨ / ٥٥٤ - ٥٥٥.

٢- معرفة القراء الكبار: ١ / ٤٣٤.

٣- غاية النهاية: ٢ / ١٥٣.

٤- الجلال عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى: ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م: ٣ / ٢.

٥- الإمام محمد بن أحمد أبي عبد الله الذهبي: تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف: ١٠ / ٤٠٠.

٦- سير أعلام النبلاء: ١٨ / ٥٥٥.

٧- نفسه: ١٨ / ٥٥٥.

الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

المطلب الثاني: آثاره على الإقراء

المسألة الأولى: الإقراء والتدريس

نشأ الإمام أبو عبد الله بإشبيلية وترعرع بها، وأفاد من الحركة العلمية الباسقة التي احتضنت زهرتها هذه المملكة، ثم ترقى به الحال في مراقي التآلق والشفوف على الأقران حتى صار مقرئاً لمملكة بني عباد وإمام حضرتها المختار الذي كان ينتدب لصلاة القيام رسمياً في تراويح رمضان، كما أنه نُصِّبَ رسمياً لمشيخة الجماعة في ميدان الإقراء دون مزاحم بعد أن عاد من رحلة الطلب مليء الحوصلة من القراءات وعلوم الروايات، وافر الحظ من المشاركة في سائر العلوم والفنون؛ إذ جلس للتدريس نحو أربعين سنة بمسجد إشبيلية، خَرَجَ خلالها عدد من القراء والتلاميذ الذين حملوا هذا العلم ونشروه من بعده، خصوصاً ابنه أبو الحسن الرعيني.

قال عنه ابن الجزري في طبقات القراء: «ورجع بعلم كثير فوَلِيَّ خطابة إشبيلية بلده، تلا بالقراءات الثمان عليه ابنه أبو الحسن شريح وعيسى بن حزم، مات في شوال سنة ٤٧٦ هـ»^(١).

وقال الضبي (ت ٥٩٩ هـ): «محمد بن شريح الرعيني المقرئ، إشبيلي، فقيه، مقرئ، محدث، نحوي، أديب، رئيس في وقته في صنعته»^(٢).

وقال عنه ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ): «وكان من جلة المقرئين وخيارهم ثقة في روايته»^(٣).

١- ١٥٣/٢

٢- بغية الملتبس، ص: ٧٠.

٣- الصلة: ٤٣٤/٢.

وقال الذهبي: «ابن شريح الإمام شيخ القراء أبو عبد الله محمد بن شريح... وكان رأسا في القراءات، بصيرا بالنحو والصرف، فقيها، كبير القدر، حجة، ثقة»^(١).

وقال أيضا: «محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح الرعيني أبو عبد الله الإشبيلي، المقرئ، الأستاذ، مصنف كتاب الكافي وكتاب التذكير، وكان من جلة قراء الأندلس»^(٢).

فلا غرو إذن أن يقصده الطلاب والقراء من كل الأقطار للأخذ عنه والقراءة والعرض عليه، وهو الذي جلس للإقراء والتدريس ما يقرب من أربعين سنة.

فلقد قام الإمام بدور كبير في مجال التدريس والقراءة، حيث خلف لنا أئمة كبارا تتلمذوا على يديه، ومن أبرزهم ابنه أبو الحسن، وغيره من التلاميذ الذين ذكرتهم في ترجمته.

قال الإمام السيوطي في حقه وهو يترجم لابنه شريح: «وأبوه أبو عبد الله أحد الأئمة المقرئين أيضا في وقته، وله تصانيف بديعة في القرآن، وإليه كانت الرحلة في وقته»^(٣).

المسألة الثانية: التأليف والتصنيف

كان للإمام الرعيني أثر كبير في تطور الدرس القرائي بالغرب الإسلامي، حيث خلف لنا تراثا علميا أسهم بشكل كبير في تطوير الأداء القرائي، فقد ذكر الباحثون لأبي عبد الله بن شريح أكثر من ثلاثين مصنفا، جميعها في القراءات، أخذها عنه تلاميذه منهم ابنه أبو الحسن، ورواها عنه أبو بكر بن خير تلميذ أبي

١ - سير أعلام النبلاء: ١٨ / ٥٥٤ - ٥٥٥.

٢ - معرفة القراء الكبار: ١ / ٤٣٤.

٣ - بغية الوعاة: ٢ / ٣.

الحسن بن شريح. وأهم هذه المصنفات:

الكتاب الكافي في القراءات السبع عن القراء السبعة المشهورين^(١).

كتاب التذكير في القراءات السبع^{(٢)(٣)}.

كتاب رواية الإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء^(٤).

كتاب المكي والمدني من القرآن واختلاف المكي والمدني في آيه^(٥).

كتاب اختصار الحجة لأبي علي الفارسي^(٦).

كتاب التذكرة في القراءات السبع^(٧).

فهرست جمعها ابن شريح^(٨).

كتاب تبصرة التذكرة ونزهة التبصرة^(٩).

إلى غير ذلك من الكتب والمصنفات التي رواها عنه تلاميذه واستفاد منها من جاء بعدهم، فكان لها الأثر الكبير في التصنيف والتدريس والإقراء بعده.

- ١- مطبوع بتحقيق الأستاذ جمال الدين شرف. وهو الذي وصل إلينا من كتب أبي عبد الله.
- ٢- أفاد منه أبو شامة والجعبري في شرحيهما للشاطبية، والمتوري وابن القاضي في شرحيهما للبرية.
- ٣- فهرست ابن خير، ص: ٣١.
- ٤- نفسه ص: ٣٤.
- ٥- نفسه ص: ٣٧.
- ٦- نفسه ص: ٤٠.
- ٧- الصلة ص: ٤٣٤.
- ٨- فهرست ابن خير، ص: ٤٢٦.
- ٩- إسماعيل باشا البغدادي: إيضاح المكنون في ذيل كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه محمد شرف الدين ورفعت بليكة الكيسي، منشورات مكتبة المثني - بغداد، د. ت: ١ / ٢٢١، إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، دار الفكر، بيروت، طبعة: ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م: ٧٤ / ٢.

المسألة الثالثة: الأسانيد والمصنفات التي أدخلها إلى بلاد الغرب الإسلامي

مثل الإمام أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني إحدى أهم القمم الباذخة في علم القراءات ممن ضربوا المثل الأعلى في علو الهمة في طلب الرسوخ فيه، وأبعدوا النجعة في آفاق الشرق والغرب في طلب المشيخة وغرائب الروايات. وكانت له رحلات علمية كان لها الأثر الكبير على شخصيته العلمية فرحلته الأولى: كانت في بعض جهات الأندلس، حيث قرأ على عدد من المشايخ وأجاز له بالقراءات وغيرها الأكبر، ومنهم مكّي بن أبي طالب القيسي نزيل قرطبة (ت ٤٣٧هـ).

والثانية: إلى المشرق سنة ٤٣٣هـ فتوقف بمصر للأخذ عن قرائها، فقرأ على أبي العباس أحمد بن نفيس بمصر، وقرأ بالحرم المكي على أحمد بن محمد القنطري المقرئ، وعلى تاج الأئمة أحمد بن علي، وعلى الحسن بن محمد البغدادي، وسمع الحديث من أبي ذر الهروي، كما أخذ عن عثمان بن أحمد القسطالي.

قال ابن الجزري في طبقات القراء: «ورجع بعلم كثير فولّي خطابة إشبيلية بلده تلا بالقراءات الثمان عليه ابنه أبو الحسن شريح وعيسى بن حزم، مات في شوال سنة ٤٧٦هـ»^(١).

كان لهذه الرحلات أثر بارز وظاهر في إثراء الدرس القرائي ببلاد الغرب الإسلامي من خلال ما جلبه إليها من الروايات وغرائب المصنفات، وما ألفه من الكتب الأمهات. وسأذكر تحت هذا المطلب أسماء الكتب والروايات التي أدخلها والتي ضمّنها بعض مؤلفاته مما ذكره العلامة أبو بكر بن خير اللمتوني الإشبيلي في فهرسة^(٢) ما رواه عن شيوخه، ومنها:

١- ١٥٣/٢.

٢- فهرست ابن الخير، ص: ٣١ وما بعدها.

١- كتاب قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وما حفظ من ألفاظه واستعاذاته وافتتاحه، تأليف أبي بكر محمد بن مجاهد المقرئ، رواه عنه ابنه شريح بن محمد بن شريح، قال: سمعته على أبي العباس أحمد بن سعيد بن أحمد بن نفيس المقرئ سنة ٤٣٤ هـ.

٢- كتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام، رواه عنه ابنه شريح قال: حدثني به أبي رحمه الله سماعا عليه قال: سمعته على أبي جعفر أحمد بن محمد النحوي في ربيع الأول سنة ٤٣٤ هـ.

٣- كتاب اختلاف القراءات وتصريف وجوها تأليف أبي بكر بن مجاهد البغدادي، حدث به ابنه شريح قال: حدثني به أبي سماعا من لفظه، قال: سمعته على أبي العباس أحمد بن سعيد بن نفيس المقرئ سنة ٤٣٤ هـ بمصر.

٤- كتاب الهادي في القراءات تأليف أبي عبد الله محمد بن سفيان المقرئ القيرواني، قال أبو الحسن شريح: حدثني به أبي سماعا من لفظه، قال: سمعته على أبي حفص عمر بن حسين المقرئ المعروف بابن النفوسي بالمهدية في مسجده بركة القمح في ذي القعدة ٤٣٣ هـ قال: أخبرنا مؤلفه.

٥- الكتاب الجامع لقراءات الأئمة رضي الله عنهم، تأليف أبي القاسم عبد الجبار بن أحمد الطرسوسي المقرئ. قال أبو الحسن شريح: حدثني به أبي سماعا عليه قال: سمعته على أبي جعفر أحمد بن محمد النحوي في جمادى الأولى من سنة ٤٣٤ هـ أخبرنا به عن مؤلفه أبي القاسم الطرسوسي.

٦- كتاب الإرشاد في معرفة مذاهب القراء السبعة وشرح أصولهم تأليف أبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي رحمه الله. قال أبو الحسن شريح بن محمد: حدثني به أبي رحمه الله سماعا من لفظه قال: سمعته على

أبي العباس أحمد بن علي بن هاشم المقرئ بحجرته بزقاق مهددة من فسطاط مصر سنة ٤٣٣ هـ قال: أخبرنا مؤلفه.

٧- كتاب التمهيد في القراءات تأليف أبي علي الحسن بن محمد البغدادي المالكي، قال أبو الحسن شريح: حدثني به أبي رحمه الله سماعا من لفظه قال: سمعته على مؤلفه أبي علي المذكور في مسجد سوق بربر بفسطاط مصر سنة ٤٣٣ هـ.

٨- كتاب الاختصار في القراءات تأليف أبي الحسن أحمد بن محمد القنطري المقرئ رحمه الله، قال أبو الحسن شريح بن محمد: حدثني به أبي رحمه الله سماعا عليه قال: سمعته على أبي الحسن مؤلفه المذكور في المسجد الحرام في ذي القعدة من سنة ٤٣٣ هـ.

٩- كتاب التذكرة في القراءات تأليف أبي الحسن طاهر بن أبي الطيب بن عبيد الله بن غلبون الحلبي رحمه الله، قال أبو الحسن شريح: حدثني به أبي رحمه الله سماعا عليه قال: سمعته على أبي جعفر أحمد بن محمد النحوي سنة ٤٣٤ هـ أخبرنا به عن مؤلفه.

١٠- كتاب إكمال الفائدة في القراءات السبع تأليف أبي الطيب بن غلبون المقرئ، قال أبو الحسن شريح: حدثني به أبي رحمه الله سماعا من لفظه قال: سمعته على أبي العباس أحمد بن علي بن هاشم المقرئ بحجرته بزقاق مهددة من فسطاط مصر سنة ٤٣٣ هـ أخبرنا به عن مؤلفه أبي الطيب بن غلبون رحمه الله...

وفي فهرسة ابن خير كتب أخرى في الفقه والحديث والسيرة واللغة والنحو والأدب، وكلها من روايته عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني

الإشبيلي المقرئ عن أبيه محمد بن شريح مما ألفه أو رواه وأدخله الأندلس مما استفاده من رحلته المشرقية، وذلك مما يعطينا صورة في غاية الإثارة عن علو همته في الطلب، وعلو كعبه في التحصيل، وإمامته في مختلف العلوم، وضربه في ذلك كله بسهم وافر.

المبحث الثاني: المنهج التوفيقي عند الإمام الرعيني من خلال مصنفه «الكافي في أصول القراءات».

وتحتة مطلبان:

المطلب الأول: كتاب «الكافي في أصول القراءات»

المطلب الثاني: الاتجاه التوفيقي عند الإمام الرعيني

المطلب الأول: كتاب «الكافي في أصول القراءات» ومنهج المؤلف فيه

المسألة الأولى: وصف كتاب الكافي في القراءات السبع

كتاب الكافي من مؤلفات ابن شريح التي كتب لها البقاء والنشر. طبع على هامش كتاب «المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر» لسراج الدين عمر بن قاسم النشار الأنصاري، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى - مصر - ١٣٣٦ هـ. وطبع مستقلاً بتحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعي، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. وحققه الطالب سالم بن غرم الله الزهراني في رسالته للماجستير بكلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى سنة ١٤١٩ هـ.

وهو أشهر كتب الإمام في المشرق والمغرب. واسمه كما اتفقت مصادر

ترجمته: «الكافي». وزاد ابن بشكوال، فسماه: «الكافي في القراءات»^(١).

وسماه ابن خير: «الكتاب الكافي في القراءات السبع عن القراء السبعة المشهورين»^(١).

وهو من أهم الموارد والمصادر التي اعتمدها القراء، خصوصا أبو جعفر ابن الباذش، الذي روى عن أبي الحسن ابن شريح ابن أبي عبد الله وكان تلميذه الأخص^(٢). وهو أيضا من مصادر المحقق ابن الجزري في النشر. قال - رحمه الله -: «باب ذكر إسناد هذه العشر القراءات من هذه الطرق والروايات، هأنا أقدم أولا كيف روايتي للكتب التي رويت منها هذه القراءات نصا، ثم أتبع ذلك بالأداء المتصل بشرطه... كتاب الكافي للإمام الأستاذ أبي عبد الله محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي... حدثني به الأستاذ أبو المعالي محمد بن أحمد الدمشقي، سنة تسع وستين وسبعمائة بدمشق، بعد أن تلوت عليه بضمه، وقال لي: قرأته على أبي حيان، قال: أخبرنا به أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد الطباع الغرناطي قراءة عليه، أخبرنا به أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسين بن مجاهد الكواب، قراءة عليه، أخبرنا به أبو بكر محمد بن محمد بن حسنون الحميري، أخبرنا أبو الحسن شريح، كذا أخبرني بهذا الإسناد أبو المعالي عن أبي حيان، وكتبه لي بخطه.

والذي رأيته في أسانيد أبي حيان وبخطه: قال قرأته على أبي علي ابن أبي الأحوص بمالقة، أخبرنا به مناولة أحمد بن يزيد بن بقي.

(ح) قال وقرأته على أبي الحسين بن اليسر، بغرناطة، عن أبي عبد الله محمد عبو الفازاتي بن المصالي.

(ح) قال ابن أبي الأحوص: وأنا أبو الحسن علي بن جابر الدباج، قال: أنا أبو

١- الفهرست، ص: ٣١.

٢- روى أبو جعفر عن أبي الحسن فصلا في باب الهمز عنونه ب: «مسائل ابن شريح» (الإقناع في القراءات السبع: ١/ ٤٥٣ إلى ٤٥٩).

بكر محمد بن صاف .

(ح) قال ابن أبي الأحوص: وأخبرنا أبو الربيع بن سالم الحافظ، سماعاً عليه لجميعة إلابسير فوات دخل في الإجازة، أنا أبو عبد الله محمد بن جعفر بن حميد .

(ح) قال أبو حيان: وقرأته على أبي جعفر بن الزبير بغرناطة، أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن القاضي اللخمي، أنا أبو الحكم عبد الرحمن بن حجاج، وأبو العباس أحمد بن محمد بن مقدم الرعيني، قالوا - أعني ابن بقي وابن المصالي وابن صاف وابن حميد وابن حجاج وابن مقدم -: أخبرنا أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح، قال ابن بقي: إجازة، وهو آخر ما حدث عنه في الدنيا. وقال ابن المصالي: أخذت السبع عن شريح، قال: أنا أبو عبد الله محمد بن شريح^(١).

واختصره قاسم بن أحمد الحضرمي السبتي هو وكتاب التيسير في: «الشافعي في اختصار التيسير والكافي».

وألف علي بن محمد المنوفي المصري كتاب: «الوافي بما في التيسير والكافي» وألف أبو الحسن علي بن سليمان القرطبي كتاب «التجريد الكبير في الخلف بين التبصرة والكافي والتيسير».

وألف محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن جماعة «كتاب تحصيل الكفاية من الاختلاف الواقع بين التيسير والتبصرة والكافي والهداية»^(٢).

وألف أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار كتاب «الوافي بما في التيسير والكافي»^(٣).

- ١- الحافظ أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة الأستاذ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت: ١ / ٦٧ - ٦٨.
- ٢- أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث - القاهرة - تونس، د.ت: ٢ / ٧٥.
- ٣- يوجد مخطوطاً بلندن تحت رقم: ٤٢٥٤، «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي»، الأردن: ٢٠٣ / ١.

أما عن وصف الكتاب ومحتوياته فقد بدأ الإمام الرعيني مصنفه بمقدمة مختصرة بين فيها اصطلاحه ومنهجه في الكتاب، حيث أشار فيها إلى أنه أفرد الكتاب في الروايات الأربع عشرة (قالون - ورش - البزي - قنبل - الدوري - السوسي - هشام - ابن ذكوان - حفص - شعبة - الدوري - أبو الحارث - خلف - خلاد) عن القراء السبعة (نافع - ابن كثير - أبو عمرو البصري - ابن عامر الشامي - عاصم - حمزة - الكسائي) وأنه تناول الأصول أولاً، ثم الفرش، معتمداً مسلك الاختصار مجانباً للتطويل والإطناب. كما صرح بعنوان الكتاب حيث وسمه بـ «الكافي». وأنه ضمن كتابه ما قرأه قراءة، وأضرب عما أخذه رواية، مقتصرًا على أقرب أسانيده للاختصار.

وبعد المقدمة، وقبل الشروع في المقصود، مهد بأبواب ثلاثة:

الأول: ذكر فيه أسماء القراء السبعة ورواتهم.

الثاني: بين فيه اتصال قراءته بالأئمة السبعة وأسانيده إليهم.

الثالث: ذكر فيه اتصال قراءة الأئمة السبعة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأسانيدهم إليه.

ثم بعدها شرع في بيان أصول القراءات السبع، وابتدأ بباب الاستعاذة والبسمة، ثم باب المد والقصر، ثم الهمزتين في كلمة أو كلمتين، ثم باب الهمزة الساكنة، ثم الوقف على المهموز، ثم باب نقل ورش الحركة، ثم باب الإدغام والإظهار، ثم باب النون الساكنة والتنوين، ثم باب الفتح والإمالة، ثم باب إمالة هاء التأنيث في الوقف، ثم باب الوقف على أواخر الكلم، ثم باب وقف حمزة على الساكن، ثم باب تفخيم اللامات وترقيقها، ثم تفخيم الراءات، ثم عقد بابا في مذهب ورش في الراءات.

وبعد ما أتم ذكر أصول القراءات السبع شرع في بيان اختلاف القراء السبعة ورواتهم في فرش الحروف، وابتدأ بسورة البقرة فآل عمران فالنساء إلى سورة تبت يدا، وقال بعدما ذكر فرشها، وليس فيما بقي إلا ما ذكر.

وحسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

المسألة الثانية: منهج الإمام الرعيني في «الكافي»

يمكن إجمال منهج الإمام أبي عبد الله الرعيني في «الكافي» في العناصر والمقومات الآتية:

ذكر روايتين عن كل واحد من القراء السبعة:

فذكر عن نافع رواية ورش من طريق أبي يعقوب يوسف بن عمر بن يسار الأزرق ورواية قالون من طريق أبي نشيط محمد بن هارون المروزي.

وعن ابن كثير رواية قنبل من طريق أبي بكر أحمد بن مجاهد. ورواية البزي من طريق أبي معمر سعيد بن عبد الرحمن الجمحي ومن طريق هبة الله على اللهبي.

وعن أبي عمرو رواية أبي عمر الدوري عن اليزيدي عنه من طريق الزعراء عبد الرحمان بن عبدوس، ومن طريق أحمد بن فرح. ورواية أبي شعيب السوسي عن اليزيدي عنه من طريق أبي عمران موسى بن جرير المقرئ.

وعن ابن عامر رواية ابن ذكوان من طريق أبي عبد الله هارون بن موسى الأخفش، ورواية هشام من طريق أحمد بن محمد بن بكر ومن طريق أحمد بن ماوية.

وعن عاصم رواية حفص من طريق أبي محمد عبيد بن الصباح، ورواية أبي بكر شعبة من طريق أبي زكرياء يحيى بن آدم الصلحي.

وعن الكسائي رواية أبي عمر الدوري من طريق أبي جعفر أحمد بن فرح ومن طريق أبي عثمان سعيد بن عبد الرحيم ومن طريق أبي الحسن الباهلي ومن طريق أبي نصر القاسم بن عبد الوارث ومن طريق أبي الزعراء. ورواية أبي الحارث من طريق أبي عبد الله محمد بن يحيى البغدادي.

وعن حمزة رواية خلف عن سليم عنه من طريق إدريس بن عبد الكريم الحداد، ورواية خلاد عن سليم عنه من طريق أبي بكر محمد بن شاذان الجوهري.^(١)

عدم الالتزام في أبواب الأصول بذكر جميع الكلمات الداخلة في الأصل الذي ذكره، بل ربما أخرج كلمات عديدة إلى سورها، ويشير إلى ذلك.

مثال ذلك: قوله في باب الهمزة الساكنة: «وقد بقي من هذا الباب كلمات اختلفوا في همزها، سنذكرها في مواضعها إن شاء الله»^(٢).

مخالفة فعل أكثر المصنفين في ياءات الإضافة وياءات الزوائد، وذلك أنه لم يفردهما بباين مستقلين (يبين فيهما أنواعها وأحكامها، وعدد ما في كل نوع منها من الياءات، ومذاهب القراء فيها مجملة ومفصلة)، وإنما سلك في عرضها المسلك الآتي:

بالنسبة لياءات الزوائد فيذكرها في سورها، كل ياء في موضعها من سورتها، ثم يذكر عددها مجملا في آخر السورة.

أما ياءات الإضافة فيذكر جميع ما ورد منها في السورة عند أول ياء منها ترد في السورة، ثم يذكر عددها مجملا في آخر السورة.

من أمثلة ذلك: قوله في آخر سورة الكهف: «فيها تسع ياءات إضافية، وست

١- ص: ٣٠ إلى ٣٣.

٢- ص: ٤٨.

محذوفات، مختلف فيهن، وقد ذكرن».

إن لم يكن في السورة ياء إضافة ولا ياء زائدة أو لم يكن فيها إحداهما أشار إلى ذلك في آخر السورة. ومن أمثلة: ذلك قوله في سورة القمر: «فيها ثمان محذوفات، وقد ذكرن، وليس فيها ياء إضافة»^(١).

تقديم المتأخر من المختلف فيه وضمه إلى نظيره، ولا يذكره في موضعه اكتفاء بذكره أولاً، وقد ينبه عليه في مكانه (تقدم ذكر كذا في موضع كذا).

الاقتصار على ذكر ما قرأ به على شيوخه وبأعلى أسانيده.

عندما يكون في لفظة قرآنية قراءات متعددة، وتكون تلك اللفظة مكررة في عدة مواضع، والخلاف إنما هو في بعض تلك المواضع، فإنه يشير إلى عدم الخلاف في المواضع الأخرى. مثال ذلك: قوله في سورة آل عمران: «قرأ أبو بكر ↓ رضوان»، حيث وقع بضم الراء، إلا ↓ إلا من اتبع رضوانه ↑ في المائة، فإنه كسر راءه، - وكسرها الباقيون - حيث وقع»^(٢).

ترك توجيه القراءات أو إعرابها وتعليقها إلا في مواضع قليلة، من ذلك: قوله في سورة الصف: «قرأ ابن عامر والكوفيون ﴿كُوْنُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ غير منون، ونونه الباقيون، ولم يختلف في خفض اسم الله، إلا أن من نون خفضه بلام الجر، ومن لم ينون خفضه بالإضافة»^(٣).

التنبية إلى الوقف والابتداء وبيان ما لا يحسن الوقف عليه اختياراً، وأنه ليس مكاناً للوقف، ولا ينبغي تعمد الوقف عليه. وكذلك ما لا يحسن البدء به، وتعليل ذلك.

١- الكافي، ص: ٢١١.

٢- ص: ٩١.

٣- الكافي، ص: ٢١٧.

مثال ذلك قوله سورة النجم: «... ولم يختلف في الوقف على ﴿عادا﴾ أنه بالألف، فإذا ابتدؤوا ﴿الأولى﴾ فكلهم يأتي بهمزة مفتوحة، بعدها لام ساكنة، وبعد اللام همزة مضمومة، بعدها واو ساكنة، إلا ناعا وأبا عمرو. فأما ورش فيبتدئ بهمزة مفتوحة، بعدها لام مضمومة، بعدها واو ساكنة، على أصله.

وأما قالون فعنه ثلاثة أوجه، أحدها: أن يبتدئ بلام مضمومة، بعدها همزة ساكنة. والثاني: أن يبتدئ بهمزة مفتوحة، بعدها لام مضمومة بعدها همزة ساكنة. الثالث: أن يبتدئ كالأولين.

وعن أبي عمرو وجهان: أحدهما: أن يبتدئ بلام مضمومة، بعدها واو ساكنة. والثاني: أن يبتدئ كورش، ولا ينبغي أن يتعمد الابتداء بها لأحد من القراء، لأنها نعت ل عادا ↑ فهي متعلقة به، فلا تقطع منه»^(١).

تناول الوقف على مرسوم الخط في فرش الحروف، حيث لم يفرد له بابا في الأصول كعادة المصنفين في القراءات، وإنما ذكر الوقف على مرسوم الخط في كل كلمة في موضعها من سورتها. مثال ذلك: قوله في سورة القصص: «وقف أبو عمرو باختلاف عنه على ﴿ويكأن﴾ في الموضعين على الكاف. الكسائي على الياء فيهما، باختلاف عنه. ووقف الباكون على آخر الكلمتين. ولا ينبغي أن يتعمد الوقف هنا لأحد منهم، لأن الكلام لم يتم ولا كفى»^(٢).

١- ص: ٢١٠.

٢- ص: ١٧٨.

المطلب الثاني: الاتجاه التوفيقي عند الإمام الرعيني

المسألة الأولى: التعريف بالاتجاه التوفيقي

أسس الإمام أبو عبد الله - رحمه الله تعالى - لمنهج جديد في الأداء والإقراء، قام على التوفيق بين المدرستين الأدائيتين الكبيرتين المشهورتين في بلاد الغرب الإسلامي خلال قرني القراءات بامتياز، أعني القرن الرابع والخامس الهجريين، مدرسة الشيخ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت ٤٣٧ هـ) التنظيرية القياسية. ومدرسة الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) الأثرية الاتباعية.

والمقصود ب: «التوفيق» ما اتخذته الإمام الرعيني من طريقة في الأداء مستقلة عن طريقة الداني، الذي كان يورد ما في المسألة من مسائل القراءة من الخلاف مع ذكر اختياره في الغالب، وطريقة المدرسة القيروانية، حيث يذكر الشيخ القيسي ما قرأ به، مع عدم ذكر اختياره في الغالب، ويشير إلى الأقيس...

فالإمام أبو عبد الله على عكسهما تماما، حيث كان يستعرض الاختلاف، ثم يقر في الغالب كلا الوجهين الثابتين في الرواية باعتبارهما مما قرأ به، وضح عنده في القراءة والأداء، وهذا من ثمرات تعدد مصادره التي استقى منها في الرواية بين مصرية وحجازية وعراقية وقيروانية وأندلسية... فقلما نجد يعبر عن اختياره، وإنما نجد يعبر بالوجهين المختلفين معا، ويعبر عن ذلك بقوله: «وبالوجهين قرأت وبهما آخذ»^(١).

١- الدكتور عبد الهادي حميتو: قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش: مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، الطبعة الأولى: ١٤٠٤ هـ / ٢٠٠٤ م / ٧ / ٤١٨.

وسيتضح ذلك جليا في المبحث الموالي الذي خصصته لإيراد نماذج لهذا المنهج الفريد الذي أسسه الإمام في بلاد الغرب الإسلامي.

المسألة الثانية: نماذج للمنهج التوفيقي عند الإمام الرعيني

يجب التنبيه إلى أنني اعتمدت في عرض مادة هذا المبحث المنهج المقارن، حيث ذكرت أمثلة لطريقة الإمام في الأداء مقارنة بأمثلة منهج كل من الشيخ والحافظ. وهو منهج معتمد عند المتقدمين من علماء القراءات، حيث صنفوا مصنفات تجمع بين كتاب «الكافي»، وكتاب «التبصرة»، وكتاب «التيسير» في الموافقة والمخالفة، كابن أبي السداد أبي محمد عبد الواحد المالقي (ت ٧٠٥هـ) في «الدر النثير والعذب النмир»، وفي «تحفة التالي في أشرف المعالي»، وكأبي الحسن علي بن سليمان القرطبي (ت ٧٣٠هـ) مقرئ فاس، سماه «التجريد الكبير»، جرد فيه ما بين الأئمة الثلاثة، وسماه ابن الحاج النميري بـ «تحرير الخلاف».

وجمع الإمام عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن جماعة التنوخي المهديوي المخالفة بين الكتب الثلاثة مع زيادته لكتاب «الهداية» للإمام المهديوي أبي العباس (ت ٤٤٠هـ) وسمى كتابه: «تحصيل الكفاية من الاختلاف الواقع بين التيسير والتبصرة والكافي والهداية».

ونظم الإمام الخطيب أبو الحسن علي بن عمر بن إبراهيم الكناني القيحاطي (٧٢٣هـ) قصيدة محكمة النظم في «وزن الشاطبية» ورواها، نظم فيها ما زاد على «الشاطبية» من «التبصرة» لمكي و«الكافي» لابن شريح و«الوجيز» للأهوازي، وسماها: «التكملة المفيدة لحافظ القصيدة».

في حين اكتفى أبو الحسن التادلي المالكي بالجمع بين مؤلفين فقط، وسمى

كتابه «ملخص من الوافي بما في التيسير والكافي»^(١).

وانتظمت النماذج في عنصرين، جعلت الأول منهما للأصول، والثاني لفرش الحروف:

أولاً: الأصول

إذا كانت الهمزة مجتلبة للابتداء، والذي ورد من هذا في القرآن ثلاثة ألفاظ، وهي:

﴿أَوْثِنَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٢].

﴿أُذِّنْ لِي﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤٩].

﴿آيت﴾ حيث ورد، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقرءانٍ غير هذا أَوْ بَدَّلَهُ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٥] وقوله سبحانه: ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ﴾ [سورة طه، الآية: ٦٤]...

فاختلف أهل الأداء في تمكين المد من ذلك وتركه. فالإمام الرعيني أقر الوجهين^(٢). و اختار الحافظ ترك الزيادة^(٣)، وأما الشيخ فذكر الوجهين، وقال: «وكلا الوجهين حسن، وترك المد أقيس»^{(٤)(٥)}.

١- أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد المالقي: الدر النثير والعذب النمير في شرح التيسير، تحقيق الدكتور محمد بوطربوش، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية، الطبعة الأولى: ١٤١٠ هـ/ ٢٠١١ م: ٤٨/١ - ٤٩.

٢- الكافي، ص: ٤٠.

٣- التيسير، ص: ٣١.

٤- أبو محمد مكي القيسي: التبصرة في القراءات، تحقيق محيي الدين رمضان، معهد المخطوطات العربية الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ص: ٦١، أبو محمد مكي القيسي: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثالثة: ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤: ٥٣/١.

٥- الدر النثير: ٣١٣/١ - ٣١٤.

اختلف عن ورش في ﴿عشيرتكم﴾ [سورة التوبة، الآية: ٢٤]، وفي ﴿حيران﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٧١] - وهما من الرءاء المفتوحة الواقعة بعد الياء الساكنة - أي: في القراءة بالتفخيم أو الترقيق، وقراءهما بالإمام بالوجهين. قال - رحمه الله - : «واختلف عنه في (عشيرتكم) في التوبة، وفي (حيران) في الترقيق والتفخيم، وبالوجهين قرأت وبهما آخذ»^(١). وقراءهما الشيخ أيضا بالوجهين^(٢). ومذهب الحافظ الترقيق^{(٣)(٤)}.

اختلف عن ورش في ﴿عشرون﴾ [سورة الأنفال، جزء الآية ٦٦] وقوله تعالى:

﴿كَبُرُّمَاءَهُمْ بِبَلِغِيهِ﴾ [سورة غافر، جزء الآية ٥٦] أي: في الترقيق والتفخيم. وقرأ الإمام بالوجهين. قال - رحمه الله - : «واختلف عنه في (كبر ما هم بباليغية) و (عشرون) في الترقيق والتفخيم، وبالوجهين قرأت وبهما آخذ»^(٥). ومذهب الشيخ التفخيم^(٦). والحافظ على مذهبه في الترقيق^{(٧)(٨)}.

اختلف عن ورش في ترقيق راء: ﴿حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [سورة النساء، جزء الآية ٩٠] وتفخيمها حال الوصل. فقرأها الإمام بالوجهين. قال - رحمه الله - : «وقرأ - ورش - ﴿حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [سورة النساء، الآية: ٨٩] بالتفخيم في الوصل. وبالترقيق في الوقف، وقرأتها بالترقيق في الوصل أيضا»^(٩). واختار

١- نفسه، ص: ٧٥.

٢- التبصرة، ص: ١٤٢، الكشف: ٢١٣/١.

٣-^(١) التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو الداني، تحقيق أوتويرتزل، مؤسسة الريان، بيروت، طبعة: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩، ص: ٥٥-٥٦.

٤- الدر النثير: ٥٤١/٢.

٥- الكافي، ص: ٧٥.

٦- التبصرة، ص: ١٤١.

٧- التيسير، ص: ٥٥-٥٦.

٨- الدر النثير: ٥٤١/٢ - ٥٤٢.

٩- الكافي، ص: ٧٥.

الشيخ التخليط^(١). والحافظ على مذهبه في الترتيق^(٢). ولا خلاف في ترتيق ﴿صرت﴾ في الوقف^(٣).

اختلف عن ورش في الراء التي تأتي منصوبة منونة بعد كسرة أو ياء ساكنة، وذلك نحو قوله تعالى ﴿قديرا﴾ و ﴿خبيرا﴾ و ﴿بصيرا﴾ و ﴿صابرا﴾ و ﴿شاكرا﴾ و ﴿تقديرا﴾ و ﴿تطهيرا﴾ و ﴿تدميرا﴾... فقرأ الإمام جميع ذلك في الوصل بالتفخيم والترقيق، وفي الوقف بالترقيق لا غير. قال - رحمه الله -: «وكان بعض أصحابه (ورش) يأخذ له بالتفخيم في الوصل، وفي الوقف بين اللفظين (الترقيق)، وبالوجهين قرأت وبهما أخذ»^(٤). ووافق الشيخ على ما كان وزنه «فعيلا»، وقال إن التفخيم فيه في الوصل مذهب أبي الطيب، وما ليس وزنه فعيلًا أخذ فيه بالترقيق في الحالين^(٥).

ومذهب الحافظ الترتيق^{(٦)(٧)}.

ثانياً: فرش الحروف

اختلف عن البزي في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [سورة الرعد، الآية: ٣١] في الهمز وتركه. فقرأ الإمام بالوجهين. قال - رحمه الله -: «قرأ البزي ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيسِ﴾ بألف بين ياءين مفتوحتين دون همز، وقرأ الباقون بياءين بعدهما همزة مفتوحة دون ألف. وقرأت له أيضا كالجماعة»^(٨). ووافق الحافظ في قراءته

- ١- التبصرة، ص: ١٤١.
- ٢- التيسير، ص: ٥٥-٥٦.
- ٣- الدر النثير: ٢ / ٥٤١ - ٥٤٢.
- ٤- الكافي، ص: ٧٥.
- ٥- التبصرة، ص: ١٤٢.
- ٦- التيسير، ص: ٥٥.
- ٧- الدر النثير: ٢ / ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥.
- ٨- الكافي، ص: ١٣٦.

على أبي الحسن^(١). وأما الشيخ فقرأ بألف بين ياءين مفتوحتين من غير همز^{(٢)(٣)}.
 قرأ الإمام لورش ﴿طه﴾ بإمالة الهاء، وبين اللفظين. قال - رحمه الله -:
 «... وأمال الهاء ورش وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة والكسائي، وفتحها الباقون،
 وقرأتها أيضا لورش بين اللفظين»^(٤). وقرأ الحافظ بإمالة الهاء^(٥). وأما الشيخ فوافق
 الحافظ على هذا الوجه، وهي قراءته على أبي الطيب، وروى الفتح أيضا^{(٦)(٧)}.

اختلف عن قالون في قوله تعالى: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ [سورة يس، الآية: ٤٩] في
 إسكان الخاء واختلاسها، وقرأ الإمام بالوجهين. قال - رحمه الله -: «قرأ قالون
 وحمزة ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بإسكان الخاء،... وقرأتها أيضا لقالون مختلصة»^(٨). وقرأها
 الحافظ بالإسكان. قال - رحمه الله: «والنص عن قالون بإسكان»^(٩). ووافق الشيخ
 على الإسكان، وقال: «وهذه ترجمة لا يستطيع اللفظ بها، وأحسن منها لقالون أنه
 أخفى حركة الخاء وشدد الصاد...»^{(١٠)(١١)}.

المسألة الثالثة: اختيارات الإمام الرعيني

تقدم أن الإمام أبا عبد الله أسس لمنهج فريد في الأداء وطريقة جديدة في
 الإقراء، تقوم على التوفيق بين مدرستين كبيرتين من مدارس الإقراء ببلاد الغرب
 الإسلامي، أعني المدرسة الأثرية والمدرسة القياسية. إلا أن ذلك لم يمنعه من أن

١- التيسير، ص: ١٢٩ - ١٣٠.

٢- التبصرة، ص: ٢٣٤.

٣- الدر النثير: ٢ / ٦٩٩ - ٧٠٠.

٤- الكافي، ص: ١٥٥.

٥- التيسير، ص: ١٥٠.

٦- التبصرة، ص: ٢٥٨.

٧- الدر النثير: ٢ / ٧١٠.

٨- الكافي، ص: ١٨٩.

٩- التيسير، ص: ١٨٤.

١٠- التبصرة، ص: ٣٠٧.

١١- الدر النثير: ٢ / ٧١٨.

يكون له اختيار^(١) في الأداء على عادة الأئمة المبرزين في هذا الشأن. ولكن هذه الاختيارات تبقى قليلة مقارنة باختيارات الأعلام الآخرين كالحافظ أبي عمرو الداني والشيخ مكي بن أبي طالب القيسي...

وهأنذا أذكر اختيارات الإمام كما وردت في «الكافي»:

أولاً: باب الأصول

«خير ما استعمله القارئ في الاستعاذة عند ابتدائه القراءة ما أمر الله تعالى به نبيه عليه السلام، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فالمختار «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وبه قرأت، وبه آخذ»^(٢).

قال - رحمه الله - في باب الهمزة الساكنة: «واختلف القراء في: ﴿بارئكم﴾ في هذه الرواية - السوسي عن أبي عمرو -، فبعضهم يبدلها ياء، ويجريها مجرى ما سكونه لازم، وبعضهم يحققها، إذ سكونها عارض، وقد غيرت عن حالها، فلا تغير مرة أخرى، وهذا أحسن وأقيس من المذهب الأول»^(٣).

قال في باب الوقف على المهموز: «واختلف القراء في الوقف على: ﴿ورءياً﴾ و ﴿توي﴾ إذا سهلوا همزتها، فمنهم من أدغم، ومنهم من أظهر، والإظهار أحسن، وعليه العمل»^(٤).

وقال فيه أيضاً: «وأما إذا كانت أول كلمة، واتصلت بكلمة قبلها، ووقف عليها، حققتها، وقد روي عنه تخفيفها، والتحقيق أحسن وأكثر، نحو قوله:

١ - الاختيار هو أن يعتمد من كان أهلاً إلى القراءات المروية فيختار منها ما هو راجح عنده، ويجرد من ذلك طريقاً في القراءة على حدة ينسب إليه. (النشر: ٤٣/١).

٢ - الكافي، ص: ٣٥.

٣ - نفسه، ص: ٤٧-٤٨.

٤ - نفسه، ص: ٤٩.

﴿يصلح ائتنا﴾ و ﴿لقاءنا ائت﴾ و ﴿الذي ائتمن﴾ وشبهه^(١).

قال في باب نقل ورش الحركة: «واختلفوا عن ورش في نقل الحركة إلى هاء السكت، وهو قوله تعالى: ﴿كتبيه إني﴾ فأخذ له قوم بنقل الحركة، وترك النقل أحسن، ويلزم من نقل الحركة إليها أن يدغمها في قوله تعالى: ﴿ماليه هلك﴾ لأنه قد جعله كالأصلي؛ إذ نقل إليها الحركة، والإظهار أحسن»^(٢).

قال في باب تفخيم اللامات وترقيقها: «واختلف عنه - ورش - في اللام المشددة بعد الصاد، وإذا حال بين اللام والصاد ألف أو لام، نحو: ﴿يصلى﴾ و ﴿يصلبوا﴾ و ﴿يصلحا﴾ و ﴿فصالا﴾ فبعضهم فخم، وبعضهم قرأ بين اللفظين، والتفخيم أشهر عنه»^(٣).

قال في باب مذهب ورش في الراءات: «اعلم أن ورشاً قرأ الراء المخفوضة والمكسورة مرققتين في وصله ووقفه، حيث وقعتا، ما لم تكن الكسرة عارضة، باختلاف عنه في الوقف، والمختار أن تقف له عليهما إذا كان قبلهما ضمة، أو فتحة، أو ساكن قبله فتحة أو ضمة، بالتفخيم إن سكنت، وإن رمت رقتهما، فإن كان قبلهما كسرة أو ياء ساكنة أو ساكن قبله كسرة، رقتهما على كل حال، هذا هو الأشهر عنه، وبه أخذ»^(٤).

١- نفسه، ص: ٥٠.

٢- نفسه، ص: ٥٤.

٣- نفسه، ص: ٧٠.

٤- نفسه، ص: ٧٤.

خاتمة

خلص البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- ١- إن الإمام أبا عبد الله الرعيني، يعد من أهم أعلام الأداء وأئمة الإقراء في بلاد الغربي الإسلامي.
- ٢- إن الإمام أسهم بشكل كبير في إغناء الدرس القرائي بالغرب الإسلامي من خلال ما أدخله من روايات ومصنفات، وما قام به من تدريس وإقراء، وتأليف ونشر.
- ٣- إن الإمام أسس لمنهج جديد في الأداء، وهو ما اصطح عليه بالمنهج التوفيقي، حيث وفق بين مدرسة الحافظ أبي عمرو الداني الاتباعية الأثرية، ومدرسة الشيخ أبي محمد مكي القياسية.
- ٤- إن الإمام رغم ما ذكرناه عنه من التوفيق، كانت له بعض الاختيارات التي تؤكد إمامته في هذا الفن، واجتهاده في الأداء.

التوصيات:

ومن أهم التوصيات التي أوجهها للباحثين في الدراسات القرآنية، وكذلك إلى المؤسسات العلمية والمراكز البحثية المهتمة بالدراسات القرآنية عموماً والقراءة على وجه الخصوص:

- ١- تتبع مدارس الإقراء بالغرب الإسلامي (مدرسة ابن الباذش (ت ٥٢٨هـ)، المهدي (ت ٤٣٠هـ).
- ٢- رصد امتداد مدارس الإقراء بالغرب الإسلامي في المشرق (ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ).

٣- تتبع امتداد الاتجاه التوفيقي في المغرب الأقصى (مدرسة ابن القصار).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

- المصحف المحمدي: طبع مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف، المحمدية، المملكة المغربية.
- أبو جعفر أحمد علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش (ت ٥٤٠ هـ): الإقناع في القراءات السبع، تحقيق: عبد المجيد قطامش، الطبعة الثانية: ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- ابن عذاري المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ضبط وتعليق: الدكتورة مريم قاسم الطويل، الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ): غاية النهاية في طبقات القراء: عني بنشره: ج برجستراسر، الطبعة الأولى: ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (ت ١٠٢٥ هـ): درة الحجال في أسماء الرجال (وهو ذيل وفيات الأعيان): تحقيق محمد الأحمد أبو النور، د.ت، دار التراث - القاهرة - تونس.
- أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ)، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس ذيل كتاب تاريخ ابن الفرضي: قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهرسه الدكتور صلاح الدين الهوارى، الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت.
- أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ): معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، الطبعة الأولى: ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الملقب (ت ٧٠٥ هـ): الدر الثير والعذب النмир في شرح التيسير: تحقيق الدكتور محمد بوطربوش، الطبعة الأولى: ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية.
- أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت ٥٩٩ هـ): بغية الملتبس في تاريخ رجال

الأندلس: تحقيق: روحية عبد الرحمان السويفي، الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

• إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ): هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: طبعة: ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، بيروت.

• إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ): إيضاح المكنون في ذيل كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه محمد شرف الدين ورفعت بليكة الكيسي، د. ت منشورات مكتبة المثنى - بغداد.

• جلال الدين عبد الرحمان السيوطي (ت ٩١١ هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى: ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

• جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦ هـ): إنباه الرواه على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفصل إبراهيم، الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، دار الفكر العربي القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.

• الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ): النشر في القراءات العشر: صححه وراجعه الأستاذ علي محمد الضباع د. ت دار الكتب العلمية - بيروت.

• الدكتور سعد عبد الله البشري: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس: الطبعة الأولى: ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض.

• الدكتور عبد الهادي حميتو: قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش: مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري: طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.

• شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الأولى: ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

- عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير أبو الوليد الأزدي المعروف بابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ)، تاريخ علماء الأندلس: (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس): تحقيق: روحية عبد الرحمان السويفي، الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب: تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمد زينهم محمد عزب، د.ت، دار الفرجاني للنشر والتوزيع.
- عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ)، كتاب التيسير في القراءات السبع: عني بتصحيحه: أوتويرتزل، طبعة: ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩، مؤسسة الريان، بيروت لبنان.
- محمد المختار ولد أباه تاريخ القراءات في المشرق والمغرب: مطبعة: ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.
- محمد بن أبي نصر أبو عبد الله الحميدي (ت ٤٨٨ هـ): جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: طبعة ١٩٦٦ م، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- محمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي (ت ٧٤٨ هـ): معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار عواد معروف-شعيب الأرنؤوط - صالح مهدي عباس، الطبعة الأولى: ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
- محمد عبد الله عنان: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي (وهو العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس): الطبعة الثالثة: ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- مكّي بن أبي طالب أبو محمد القيسي (ت ٤٣٧ هـ): التبصرة في القراءات، تحقيق: محيي الدين رمضان، الطبعة الأولى: ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، معهد المخطوطات العربية الكويت.
- مكّي بن أبي طالب أبو محمد مكّي (ت ٤٣٧ هـ): كتاب الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، تحقيق: محيي الدين رمضان، الطبعة الثالثة: ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.

References and Sources:

- The Muhammadan Qur'an: printed by the Mohammed VI Foundation for the Publishing of the Qur'an, Muhammadiyah, Kingdom of Morocco.
- Abu Jaafar Ahmad Ali bin Ahmed bin Khalaf Al-Ansari Ibn Al-Badish (540 AH): Persuasion in the Seven Readings, investigation: Abdul Majeed Qatamish, second edition: 1422 AH/2001 AD, Umm Al-Qura University Publications, Makkah Al-Mukarramah.
- Jamal Al-Din Abu Al-Hassan Ali bin Yusef Al-Qafti (646 AH): Alert the narrators to the news of the grammarians: , investigation: Muhammad Abu Al-Fasl Ibrahim, first edition: 1406 AH/1986 AD, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, Cultural Books Foundation, Beirut.
- Ismail Pasha al-Baghdadi (1339 AH): Clarification of what is hidden in the tail of Kashf al-Dunun about the names of books and arts by, which was corrected by Muhammad Sharaf al-Din and Rafat Balika al-Kisi, d. Al-Muthanna Library Publications - Baghdad.
- Ibn Adhari al-Marrakchi (712 AH): The Expressed Statement in the News of Andalusia and Morocco by. Editing and Commenting: Dr. Maryam Qassem al-Taweel, First Edition: 1415 AH/1995 AD, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut - Lebanon.
- Jalal al-Din Abd al-Rahman al-Suyuti (911 AH): Pursuing the Consciousness in the Layers of Linguists and Grammarians, investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, first edition: 1384 AH/1964 AD, Issa al-Babi al-Halabi and Associates Press.
- Ahmed bin Yahya bin Ahmed bin Umayra Al-Dhabi (599 AH): With the aim of the petitioner in the history of the men of Andalusia: , investigation: Rouhiya Abdul Rahman Al-Suwaifi, first edition: 1417 AH/1997 AD, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut, Lebanon.
- Abdullah bin Muhammad bin Youssef bin Naseer Abu Al-Walid Al-Azdi, known as Ibn Al-Fardi (403 AH): The History of the Scholars of Andalusia: (The History of the Scholars and Narrators of Knowledge in Andalusia): , investigation: Rawhiya Abdul-Rahman Al-Suwaifi, first edition: 1417 AH/1997, Dar Scientific Books, Beirut - Lebanon.
- Muhammad Al-Mukhtar Ould Abah, Press: 1422 AH/2001 AD The History of Readings in the East and the West, publications of the Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization.

- Makki bin Abi Talib Abu Muhammad al-Qaisi (437 AH): Insight into the Readings, investigation: Mohieddin Ramadan, first edition: 1405 AH/1985 AD, Institute of Arabic Manuscripts, Kuwait.
- Muhammad ibn Abi Nasr Abu Abdullah al-Hamidi (488 AH) Emblem quoted in the history of Andalusian scholars, edition 1966 AD, Egyptian House of Composition and Translation.
- Saad Abdullah Al-Bishri, first edition: 1414 AH/1993 AD Scientific life in the era of the kings of the sects in Andalusia: published by the King Faisal Center for Research and Islamic Studies - Riyadh.
- Abu Al-Abbas Ahmed bin Muhammad Al-Maknasi, known as Ibn Al-Qadi (1025 AH) Dora Al-Hajjal in the names of men (which is the tail of the deaths of notables): , investigated by Muhammad Al-Ahmadi Abu Al-Nour, d.T., Dar Al-Tharat - Cairo - Tunisia.
- Abu Muhammad Abdul-Wahed bin Abi Al-Sadad Al-Malqi (705 AH): Al-Durr Al-Nathir and Al-Athab Al-Numeer in the explanation of the facilitation: , achieved by Dr. Muhammad Boutarbush, first edition: 1432 AH/2011 AD, publications of the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs - Kingdom of Morocco.
- Shams Al-Din Muhammad bin Ahmed bin Othman Al-Dhahabi (748 AH): Biographies of the Flags of Nobles: investigation: Shuaib Al-Arnaout and Muhammad Naim Al-Arqossi, first edition: 1403 AH/1983 AD, Al-Resala Foundation - Beirut.
- Abu al-Khair Shams al-Din Muhammad ibn Muhammad ibn al-Jazari (833 AH): The end goal in the layers of the reciters: On me, published by: J Bergstrasser, first edition: 1352 AH/1933 AD, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon.
- Dr. Abdel Hadi Hamito: Reading of Imam Nafi' among the Moroccans from the narration of Abi Saeed Warsh: Its structural elements and its performing schools until the end of the tenth century AH: , printed by the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs in Morocco 1425 AH/2004 AD.
- Abu Al-Qasim Khalaf bin Abdul-Malik bin Bashkwal (578 AH) The Book of Connection in the History of the Scholars of Andalusia is the tail of the book on the history of Ibn Al-Fardi: , presented to him, controlled, explained and indexed by Dr. Salah Al-Din Al-Hawari, first edition: 1423 AH -2003 AD, Al-Asriya Library Sidon - Beirut.
- Makki bin Abi Talib Abu Muhammad Makki (437 AH): The Book of Uncovering the Faces of the Readings, Their Reasons and Arguments: , investigative: Mohieddin Ramadan, third edition: 1404 AH/1984, Al-Resala Foundation, Beirut - Lebanon.

- Othman bin Saeed Abu Amr al-Dani (444 AH): The Book of Facilitation in the Seven Readings: , on the authority of its correction: Otowitzel, Edition: 1430 AH/2009, Al-Rayyan Foundation, Beirut - Lebanon.
- Muhammad bin Ahmed Abu Abdullah Al-Dhahabi (748 AH): Knowing the great reciters on layers and hurricanes, investigation: Bashar Awad Maarouf - Shuaib Al-Arnaout - Salih Mahdi Abbas, first edition: 1404 AH/1984 AD, Al-Resala Foundation, Beirut - Lebanon.
- Abdel Wahed Al-Marrakchi: The admirer in summarizing the news of Morocco, presented, investigated and commented by Dr. Mohamed Zeinhom Mohamed Azab, d.T, Dar Al-Ferjani for Publishing and Distribution.
- Abu Abdullah Yaqout bin Abdullah Al-Hamawi Al-Baghdadi (626 A.H.): Dictionary of countries: , investigation: Farid Abdel Aziz Al-Jundi, first edition: 1410 A.H./1990 A.D., Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut.
- Muhammad bin Muhammad al-Dimashqi, famous for Ibn al-Jazari (833 AH): Publishing in the Ten Readings: Al-Hafiz Abu al-Khair, corrected and revised by Professor Ali Muhammad al-Daba`, d., Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut.
- Ismail Pasha Al-Baghdadi (1339 A.H.)The Gift of the Knowers in the Names of Authors and the Effects of Classifiers, Edition: 1402 A.H./1982 A.D., Dar Al-Fikr, Beirut.

تجليات تذوق الشعر عند
عبد الملك بن مروان

**Manifestations of Tasting Poetry at
Abd al-Malik bin Marwan**

د. فتح الرحمن محمد أحمد الجعالي
جامعة القصيم – المملكة العربية السعودية

Dr. Fathelrahman Mohamed A hmed Algaaly
Qassim University - Saudi Arabia

<https://doi.org/10.47798/awuj.2023.i67.04>

تاريخ تسلّم البحث 11/11/2019 - وصدر خطاب القبول 21/05/2020



Abstract

The study reviews the concept of the poetry appreciation, its appearance in the traditional Arab criticism, and the argumentation of some of the old Arab critics, such as Ibn Tbatiba Alawi and Ibn Khaldun, with discussion to some of the modern critics views.

The poetry appreciation characterized by the difficulties of defining. Therefore, the concept of the poetry appreciation and the criticism of poetry were mutually defined as one concept on the poetry criticism practiced by Umayyad Caliph Abdul Malik bin Marwan, who is known for his practice and interest in poetry criticism.

The study used the descriptive method for analyzing poetry.

It also used the social method to know when the Arab people applied the poetry appreciation in their criticism, and to study the life of Abdul Malik and the surrounding environments.

It finds that Caliph Abdul Malik is prolific in criticism based on appreciation. However, many factors were influenced him such as his memorizing of the Qur'an, his knowledge of hadith, continues learning from the language and religious scholars, and his divan. In addition to that,, there is multiplicity of rich-poetry environments that he went through,, which had great roles in the social and political life at the time. Abdul Malik was benefited from his gifted poetry-appreciation in his own divan; some of the poets were supportive to him. He used it also in some messages to his assistant-ruler of Iraq Alhraj bin Yusuf.

It recommends that the researchers may work more on the appreciation, conduct research in the phenomenon of writers, poets and critics of the caliphs, ministers or governors in the Arab Mashreq Empire and treat them like those of Andalusian literature.

Keywords: Poetry appreciation, ancient criticism, the Amorite era, Abd al-Malik ibn Marwan.

ملخص البحث

تناولت الدراسة مفهوم التذوق، وبدايات ظهوره في النقد العربي القديم، مستصحبة آراء بعض النقاد القدامى مثل: ابن طباطبا العلوي، وابن خلدون، وبعض النقاد المحدثين، وما لازم مفهومه من صعوبة في تحديده، ثم أسقطت مفهومات التذوق على نقد الشعر عند الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي عرف عنه اهتمامه بالشعر وممارسته للنقد، متبعة المنهج الوصفي لدراسة النصوص، ومستعينة بالمنهج الاجتماعي لمعرفة العصور التي عرف فيها العرب تذوق الشعر في نقدهم، ولدراسة حياة عبد الملك والبيئات المحيطة به. وقد ظهر لي أن للخليفة عبد الملك عطاءً في النقد المعتمد على التذوق، هيأته له عوامل كثيرة: منها حفظ القرآن، ومعرفة الحديث النبوي، ومجالسته العلماء، ومجلسه خليفة، ثم تعدد البيئات التي مر بها، فقد كانت غنية بالشعر الذي كان له أدوار كبيرة في الحياة الاجتماعية والسياسية آنذاك، وقد أفاد عبد الملك من ذائقته الأدبية تلك، في مؤانساته بمجالسه الخاصة، وكسب بعض الشعراء إلى جانبه، كما استعملها في رسائله الخاصة، مثل بعض رسائله لواليه على العراق الحجاج بن يوسف.

وقد أوصى الباحث بمزيد من البحث في موضوع التذوق وتقديم دراسات تيسر فهمه للدارسين، والبحث في ظاهرة الأدياب والشعراء والنقاد من الخلفاء والوزراء والولاة في المشرق العربي، تعالجها كتلك التي حظي بها الأدب الأندلسي.

الكلمات المفتاحية: تذوق، الشعر، النقد القديم، العصر الأموي، عبد الملك بن مروان.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فالتذوق ظاهرة أدبية قديمة عرفها العرب ملازمة لمعرفة الأدب، لكون الأدب من الأشياء المؤثرة في النفس، المحركة للمشاعر، وهذا التأثير مدخله تذوق النصوص؛ فهو مبني على فهمها وإدراكها والإحساس بها، ولذلك قام عليه النقد العربي القديم، فالتذوق هو البداية للنقد التي منها يتطور لمراحله المختلفة، والنقد «في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن أو إلى الشعر خاصة يبدأ بالتذوق، أي القدرة على التعبير، ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم»^(١)، ولذلك حمل تاريخ الأدب العربي روايات كثيرة توضح اعتماد التذوق في النقد العربي القديم وسيلة رئيسة في الأحكام.

وهكذا، نجد كثيرا من الشواهد التي تبين وجود التذوق ظاهرة ممارسة عند العرب في عصورهم الأدبية الأولى، وقد استمر ذلك النهج حتى العصر الأموي فظلّ التذوق أساس النقد العربي إذ لم يتوسع العرب في النقد إلا في العصر العباسي، وهذا ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف؛ حيث يرى أنّ النقد عند العرب في العصرين الجاهلي والأموي كان يعتمد على الإحساس والتذوق^(٢)، بيد أنّ تلك الشواهد على وضوحها لم تصل لتكييف فلسفي لظاهرة التذوق الأدبي بالقدر المتوقع، فقد تحدّث بعض الكتاب فتناولوه من حيث المعنى اللغوي والمدلولات الأدبية والنقدية، واجتهدوا في إيجاد تعريف يوضحه بما ييسر فهمه لدارسي الأدب، ولكن كثيرا منهم وقف عند نقطة الاعتراف بصعوبة الوصول لتعريف جامع مانع، حيث تباينت المفهومات حوله تبايناً واضحاً، بسبب اختلاف المصادر الأدبية والبيئات الثقافية، والرؤى التي يتم تناول الموضوع من

١- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت، ط ٥، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦، ص ١٤.

٢- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط ٨، ص ٣٠.

خلالها، ولذلك لم يكن غريبا أن نجد الدكتور ماهر شعبان يقول: «ليس للأدب معيار موضوعي يحدد لنا مقدار ما به من جمال وجودة، وإنما يرجع تقديره إلى تذوق من يدركه وإلى مقدار حساسيته به، لهذا فإن مقياس الأدب مقياس يختلف باختلاف الأفراد، ويختلف باختلاف المواقف، ولذا فقد طرحت العديد من التعريفات لمفهوم التذوق الأدبي، وقد تشعبت هذه التعريفات وتنوعت مساراتها تنوعا ملحوظا حتى أضحى من الصعوبة بمكان الوصول إلى تعريف جامع مانع للتذوق»^(١)، وهذا الأمر دفع الباحث لدراسة التذوق الأدبي قاصداً اختيار أدق المفهومات له وأوضحها، وإضافة ما يمكن لها، من أجل الوصول إلى مفهوم واضح يبسر للباحثين استيعاب التذوق باختصار غير مخل، ثم النظر في تجلياته من خلال نقد الشعر عند الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي يعد من متذوقي الشعر، وله مواقف كثيرة في ذلك تشكل مادة بحثية غنية، تجعله مستحقا الدراسة، فضلا عن أن ذلك مما يبين أن النقد الشعري لم يكن وظيفة يقوم بها بعض الناس، إنما كان حركة شعبية يمارسها كثيرون من مختلف طبقات المجتمع لاسيما عليّة القوم من الخلفاء الذين يظن بهم الانشغال بشؤون الدولة عن الأدب، فصورة الخلفاء غالباً ما تعكس وهم في منبر الحاكم، فتغيب صور أخرى منها، صورة بعضهم أديباً أو نقادا، وهي صور تعطي الأدب العربي درجة من التفاعلية التي تبيّن تواصل المجتمع العربي القديم بمختلف طبقاته، وهو أمر مطلوب ضمن دور الأدب في المجتمعات جدير بالإبراز.

إن دراسة التذوق عند أيّ إنسان تبيّن الأثر الذي يتركه النصّ الشعري في نفسه وانعكاسات ذلك على بعض مواقفه، فكثيرا ما أسهم الشعر في تغيير الموقف لصالح الشاعر أو من يحمل عنه الشاعر حاجته، وهذا أيضا مما تهدف الدراسة إلى

١- ماهر شعبان عبد الباري، التذوق الأدبي النظرية والتطبيق، مكتبة المتنبي، الدمام، ط ١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٣ م، ص ٨٢.

النظر فيه من خلال نقد الخليفة عبد الملك بن مروان وتذوقه للشعر، ولذلك أتت هذه الدراسة متتبعة الظاهرة محللة لها، مظهرة كل متعلقاتها، مستعملة منهجا وصنفا، بالإضافة للمنهج الاجتماعي الذي يمكن من دراسة الشخصية من خلال البيئات المحيطة بها.

إن أهمية هذه الدراسة تأتي من كونها تتخذ من موضوع التذوق مدخلا لدراسة الخليفة عبد الملك بن مروان وصلته بالشعر، فتجمع بين مناقشة التذوق ظاهرة نقدية، ودراسة عبد الملك بن مروان ناقدا متذوقا، وقد عنّت للباحث تساؤلات منها:

ما أثر البيئات الدينية والاجتماعية والثقافية في التكوين الأدبي للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وكيف تجلت صلته بتذوق الشعر؟ وما أثر التذوق في مواقفه السياسية والاجتماعية؟

لقد افترض الباحث أن للبيئات المختلفة أثرا في التكوين الأدبي للخليفة عبد الملك، إذ أمدته تلك البيئات بما أسهم في تكوينه الأدبي وطور تذوقه للشعر، فقد كان ذا ذائقة شعرية أسهمت في نقده للشعر، وأثرت في بعض مواقفه السياسية والاجتماعية.

وللوصول إلى أهداف الدراسة قسّمها الباحث إلى مباحث فجاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: عبد الملك بن مروان وصلته بالأدب.

المبحث الثاني: مفهوم التذوق الأدبي وقيمه النقدية.

المبحث الثالث: تذوق عبد الملك بن مروان للشعر.

المبحث الرابع: أثر التذوق الشعري في مواقفه السياسية والاجتماعية.

ثم ختم البحث بخلاصة ما توصل إليه الباحث، وملحوظاته حول بعض ما وقف عليه، والنتائج التي وصل إليها، وما رآه من توصيات يمكن أن تسهم في إضافات مفيدة للموضوع، وأثبت مصادر ومراجع الدراسة.

المبحث الأول: عبد الملك بن مروان وصلته بالأدب

عبد الملك بن مروان بن الحكم أحد الخلفاء الأمويين الذين أثروا في التاريخ العربي بما قدموا في خدمة الدولة الأموية، وهو من الشخصيات التي تستوقف الباحثين حيث تمثل مادة غنية في مجال السياسة والأدب، ولما له من موقع مميز بين الخلفاء الأمويين وتاريخ الدولة الأموية، فهو من الأسرة المروانية التي تعاقب عدد من أفرادها على حكم الدولة الأموية، فوالده مروان بن الحكم أحد الخلفاء الأمويين الذين كان لهم باع في قيادة دولة بني أمية، وأبناؤه ممن حملوا راية هذه الدولة في مرحلة من تاريخها، فهو واسطة العقد في الأسرة المروانية الأموية ذات الأثر الكبير في تاريخ الدولة الأموية ومن ثم في تاريخ الدول الإسلامية، فهو: «ثاني الخلفاء في دولة آل مروان، وخامس الخلفاء الأمويين، وتوسع الخلفاء منذ بدء تاريخ الخلافة»^(١).

ولد عبد الملك بن مروان في سنة ست وعشرين للهجرة في بيت الملك والقيادة الأموي، ونشأ فيه، وتفتحت عيناه على الحكم والقيادة، ولذلك عهد إليه أبوه بالخلافة بعد أن رأى فيه دراية بشؤونها، ولكنّها لم تأتّه بيسر، «فلم تصحّ خلافته وبقي متقلّباً على مصر والشام، ثم غلب على العراق وما ولاها إلى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين فصحت خلافته من يومئذ واستوثق له الأمر»^(٢)، فظل على رأس الدولة الأموية من ذاك العام وحتى وفاته في العام

١- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مرجع سابق، ص ١٩٥.

٢- جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م، ص ٣٥٤.

السادس والثمانين من الهجرة، وفي تلك الفترة التي قضاها خليفة أنجزت الدولة أعمالاً عظيمة، مثل فتح الأندلس بجيش وإليه على المغرب موسى بن نصير^(١)، والنقش على الدراهم والدنانير.^(٢)

لقد شهد عهده فتناً؛ فقادت جيوشه حروباً كثيرة تشير لكثرة أعدائه ومعارضيه، وقد عرف بحزمه في الحروب وشدته على أعدائه، ولذلك استعان في هذه الظروف السياسية الصعبة، بقيادة أقوىاء يحسب بعضهم من الظلمة أمثال الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان من أهم ولاته الذين اعتمد عليهم في إرساء دعائم حكمه، الأمر الذي يحسب من عيوب عصر ولايته، فقد كان الحجاج باطشاً ظالماً حفظ له التاريخ مواقف كثيرة تؤكد ذلك.

لقد عرف عن عبد الملك بن مروان أنه من الذين اهتموا بالعلم وتعلموا الفقه ويشهد لهم بباع طويل في مجاله، وله فضل في مجال الحديث كما اشتهر كذلك بالفصاحة، وقد عدّه الأصمعيّ ضمن أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل، فذكره وذكر الحجاج والشعبيّ وابن القرية^(٣)، ولكنّه رغم ما شهد له بالفضل في القرآن والفقه والحديث، اختلف المؤرخون حول شخصيته فأوردوا عنها صفات ذميمة مثل: البخل والغدر، فالغدر لازمه بسبب قصة قتله عمرو بن سعيد بن العاص التي أوردتها الطبري في تاريخه، حيث ذكر أنّ عبد الملك استدعى عمراً إلى قصره وغدر به وقتله^(٤).

ولكنّ هذه القصة تقرأ من خلال الصراع الذي كان دائراً بين عمرو بن سعيد وعبد الملك وتنافسهما حول الملك وهذا ما أسهب فيه الطبري، وبينه قول عبد

١- ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ج ١٢، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٣١١.

٢- ينظر: المرجع السابق، ص ٢٦٣.

٣- ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص ٣٦٣.

٤- ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ج ٦، ص ١٤٤.

الملك لسعيد قبل موته: «والله لو أعلم أنك تبقي عليّ، إن أبقي عليك وتصلح قریش لأطلقتك، ولكن ما اجتمع رجلان قطّ في بلدة على مثل ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه»^(١).

صحيح أن هذه الواقعة تدلّ على غدر، ولكنّها تقرأ من خلال ما يحيط بها من ظروف، أهمها خوف عبد الملك من غدر عمر، وتهديده لسلطانه، وهذه الأشياء لا تسوغ الغدر، ولكنّها تحتم علينا قراءة الموقف بصورته الكلّية، وتوفّر مساحة لرؤيته مع غيره من المواقف، فقد عرف عن عبد الملك أنه أعطى محمد بن الحنفية ميثاق أمان ولم يغدر به، وأمر الحجاج ألا يتعرض لابن الحنفية، فلم يتعرض له^(٢)، ولو كان الغدر صفة ملازمة له لغدر بابن الحنفية؛ فهو أبعد رحماً من ابن العاص، وجذور خلاف قومه مع الدولة الأموية أعمق من خلاف ابن العاص الأموي.

أما البخل فلعبد الملك فيه تخريج حسن، إذ يعدّ ما يعاب عليه ضرباً من الاقتصاد، يظهر ذلك في قصته مع كثير، فإنّه لما سأل عبد الملك كثيراً عن أفضل الشعر، أراد كثير أن يعرض ببخل عبد الملك فقال: قول المقنع:

إني أحرض أهل البخل كلهم	لو كان ينفع أهل البخل تحريضي
ما قلّ مالي إلا زادني كرماً	حتى يكون برزق الله تعويضي
فالمال ينفع من لولا دراهمه	أمسى يقلّب فينا طرف مخفوض
لن تخرج البيض عفواً من أكفهم	الأعلى وجع منهم وتمريض
كانها من جلود الباخلين بها	عند النوائب تُحذى بالمقاريض

١- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

٢- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مامون الصاغري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ٤، ط ٢، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ص ١٢٥.

فقال عبد الملك - وقد عرف ما أراد «الله أصدق من المقنع»، ثم ذكر له قول الله تعالى: «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا»^(١)، فهذه القصة توضح أنه كان يعلم باتهامه بالبخل ويدفع بأن فعله اتزان في الإنفاق واقتصاد مأمور به في الدين، وهذا فهم مقبول مستند على مرجعية دينية، خاصة إذا ما قرئ هذا الدفع، مع بعض مواقف الأخرى في العطاء، حيث عرف عنه أنه أعطى كثيرين وأجزل لهم العطاء لا سيما الشعراء^(٢). لقد سجل له التاريخ كذلك ما عيب عليه، حيث ذكر العسكري أنه أول من نهى الناس عن الكلام بحضرة السلطان، فقال: «أول من فعل ذلك عبد الملك بن مروان وكان الناس قبله يراجعون الخليفة فيما يقول، ويعترضون عليه فيما يفعل، وأكثروا من ذلك على عثمان، ثم على معاوية، وكان يجرى في مجلسه من المنازعات والخصومات ما يجلب وصفه، وكان يحتمل ذلك تحلماً وإبقاءً على ملكه، فلما صار الأمر إلى عبد الملك، أخذ الناس مأخذ ملوك الأعاجم، فنهاهم عن الكلام بحضرتة، والمنازعة في مجلسه»^(٣)، ولكن الملاحظ أن ذلك وإن كان قد خرج عن المعروف سابقاً لا يعد مذمة تقدرح في شخصيته، فهو ضرب من النظام وتنظيم شؤون الحكم يخضع للتقديرات حسب الموقف المناسب، ولذلك أتبع أبو هلال العسكري الخبر بقوله: «قلنا ومن حق مجلس الملك، ألا ترفع فيه الأصوات، إذا كان ذلك زائداً في مهابة الملك وأبهته»^(٤).

لكن ما ذكر في سياق المحمود، لا ينفي أن له صفات ذميمة، فقد ذكر السيوطي في أوليات عبد الملك ما كان له من سبق أشياء حميدة وأخرى ذميمة، ثم قال: «تمت له عشرة أوائل منها خمسة مذمومة»^(٥)، بيد أن القارئ لسيرته يجد ملامح الخصال الكريمة أظهر من غيرها، وتستوقفه الأسس الثقافية والأخلاقية التي

١- أبو هلال العسكري، الأوائل، طنطا، ط١، ١٤٠٨هـ، الصفحات: ٢٥١، ٢٥٢.

٢- ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ط١، ص٣٣١.

٣- أبو هلال العسكري، الأوائل، مرجع سابق، ص٢٥١.

٤- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

٥- السيوطي، تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص٣٦٠.

قامت عليها تلك الشخصية فيجد أثرها إيجابيا فيه، وربما كان لظروف انتقاله من بيئة العلم إلى بيئة الحكم أثر في بعض ما ظهر عنده من خصال تناقض ما عرف عنه بداية، وهذا ما ذهب إليه الدكتور محمد سهيل طقوش حين قال: «ومن هذه الخلفية الدينية يجب أن نفهم سياسته بعد أن أضحي خليفة، وإن كانت ظروف الخلافة قد أجبرته في بعض الأحيان على التصرف تبعاً لما يميله الموقف السياسي، الذي يبدو متناقضاً مع مثله الدينية، ومع ذلك فيجب ألا يبالغ في ذلك»^(١).

فإذا كانت هذه هي الصورة العامة لشخصيته، التي توضح أنه رجل دولة ذو خلفية دينية، وله معرفة بعلوم كثيرة تلتقي جميعها فيما يغذي معرفته بالأدب، وإذا اصطحبنا ما يحيط بحياته من صراعات سياسية واختلافات مذهبية وتنافس حول السلطة، علمنا سبب الاختلاف حوله، ولذا فإن معرفة شخصيته ناقداً متذوقاً يجب ألا تغفل ذلك كله.

وبالنظر إلى الجانب الأدبي في شخصيته، يجد الباحث له عطاءً، أهله له أشياء عدة كانت جزءاً من تكوينه الأدبي والثقافي، وأخرى شكلت المسرح الذي أظهر من خلاله قدراته واهتماماته الأدبية؛ نذكر منها الآتي:

أولاً - القرآن الكريم: القرآن كلام الله الذي بهر العرب ببلاغته، وأعجزهم بآياته، فأصبح فيهم المورد الذي يأخذ منه كل ناشد فصاحة وبلاغة، والمنهل الذي شكّل مصدراً مهماً من مصادر اللغة، ومرجعاً يقاس عليه ويستشهد به، ولذلك فإن حفظه ومعرفته تزودان الناس باللغة وتسهمان في بنائهم الثقافي، وتنميان الذوق عند المستوعب لآياته، المدرك لبعدها الجمالي، وله - كذلك - أثر في الذائقة الأدبية لدى المتلقي، ذلك ما جعل عدو الإسلام الوليد بن المغيرة يقول عنه: «إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه، مغدق

١ - محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ط٧، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٠ م، ص ١٦.

أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته»، فأظهر أثر تذوقه له بعبارة حسية: (إن لقوله الذي يقول حلاوة)، فكأنما ذاقه بلسانه وأحس حلاوته.

لقد حفظ عبد الملك القرآن صغيراً، واشتغل بعلمه فتأثر بذلك معرفةً وسلوكاً، حتى شهد له بذلك من عرفه من علماء ذاك العصر مثل نافع مولى عبد الله بن عمر الذي قال عنه: «أدركت المدينة وما بها شاب أنسك، ولا أشد تشميراً، ولا أكثر صلاة، ولا أطلب للعلم، ولا أفقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان»^(١). وقد كان لمعرفته بالقرآن دور كبير في تنمية ذائقته الأدبية، إذ كان من السهل عليه استدعاء الشاهد القرآني للتعبير عن الموقف المناسب له، ومن ذلك جاء في قصته مع كثير التي ذكرناها سابقاً حيث عرض كثير ببخل عبد الملك شعراً، فأحسن عبد الملك الاحتجاج بالقرآن.

إن من الطبيعي، أن يترك القرآن فيه أثراً، ويرقى بذائقته الأدبية.

ثانياً- السنة النبوية: هي المعين الثاني للثقافة الإسلامية، وفيها تتجلى البلاغة النبوية، فقد حملت الفصاحة، وأغنت العقول بالحكمة، وزودت الألسن بجوامع الكلم، ولذلك قال الجاحظ عن حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم -: «... ثم لم يسمع الناس بكلام قطُّ أعمّ نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقفاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنىً، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلى الله عليه وسلم»^(٢)، وقد كان لعبد الملك بن مروان كسب في السنة النبوية حتى عد من رواة الحديث، وقد روى عن بريرة مولاة عائشة حينما كان بالمدينة قبل أن يتولى الخلافة، وقد ذكر أنها كانت تقول له: «يا عبد الملك إنني لأرى فيك خصالاً، وإنك لخليق أن تولّى أمر هذه الأمة، فإن وليت فاحذر الدماء، فإنني سمعت رسول الله -صلى الله عليه

١- ابن عساکر، تاریخ دمشق، تحقیق عمرو بن غرامة العمري، ج ٣٧، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ص ١١٩.

٢- الجاحظ، البيان والتبيين، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، ج ٢، ٢٠١٠م، ص ١٠.

وسلم- يقول: «إنَّ الرجل ليدفع عن باب الجَنَّة بعد أن ينظر إليها بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق»^(١).

وهكذا فإنَّ هذا المعين الذي نهل منه أعطاه نثراً من جوامع الكلم، وغذاءً بفصيحه، وأمدّه بالمثل، والحكمة، فضلاً عن الآداب العامة المهذبة للسلوك. وكل ذلك مما يرقى الذوق، ويطوّر الحس النقدي، ويجعل صاحبه قادراً على تمييز ما يعرض عليه من نصوص أدبية.

ثالثاً- مجالسته العلماء: مجالسة العلماء ظاهرة لازمت عبد الملك بن مروان، وقد جاء في الخبر الذي ذكرناه سابقاً مجالسته لبريرة مولاة عائشة التي أفاد منها في علم الحديث، كما وردت مجالسته للشعبي، وقد قال عنه الشعبي: «ما جالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان، فإنني ما ذاكرته حديثاً إلا زادني فيه، ولا شعراً إلا زادني فيه»^(٢). وقد ارتبطت بسيرته أسماء عدد من العلماء مروا بمجالسته أخذ عنهم وأفاد منهم غير بريرة والشعبي اللذين مر ذكرهما، منهم الصحابة؛ فقد ذكر أهل المدينة أنه «حفظ عن عثمان، وسمع من أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله وغيرهم من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم-»^(٣).

ومن المتوقع أن تلك المجالسات أفادته كثيراً وأسهمت في بنائه المعرفي، لما في ذلك من تعميق لصلته باللغة وآدابها، وفوائد أخرى.

رابعاً- مجلسه خليفته: كانت مجالس الخلفاء الأمويين من أسباب ازدهار الأدب في العصر الأموي، إذ اهتموا بهذا الجانب بصورة واضحة وجعلوا للشعراء والأدباء مكانة خاصة، وقد حمل لنا التاريخ أن معاوية بن أبي سفيان -

١- ابن كثير، البداية والنهاية مرجع سابق، ص ٣٧٩.

٢- ابن عساکر، تاريخ دمشق، مرجع سابق، ص ١٢٤.

٣- ابن عساکر، المرجع السابق نفسه، ص ١١٤.

مؤسس الدولة الأموية - كان يهتم بهذا الجانب وله مواقف مع الشعراء ظهر فيها متذوقا للشعر ومهتما به، ويروى عنه أنه حث على تعلم الشعر وأوصى بذلك فقال - رضي الله عنه: «على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب، وقال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم، فلقد رأيتني ليلة الهيرير بصفين وقد أتيت بفرس أحجل بعيد البطن من الأرض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى، فما حملني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة:

أبت لي همتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيع
 وإقحامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
 وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تُحمدي أو تستريحي
 لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح^(١)

وتبع معاوية الخلفاء الأمويين فساروا على نهج سلفهم، ففتحوا مجالسهم للشعراء ومدحهم، بل وشجعوا المدح وسيلة دعائية تدعم مواقفهم السياسية والاجتماعية، وفي عهدهم شهدت عاصمتهم وفود الشعراء «حيث ينشدون الخلفاء والأمراء وينالون عطاءهم، وكان أغلب ذلك الشعر مديحا»^(٢)، وقد كان عبد الملك واحدا من هؤلاء الخلفاء الذين شجعوا المدح في مجالسهم واستفاد من الشعراء في هذا الجانب، فعمر مجالسه بالشعر، وكان الشعراء يؤمون مجلسه وينالون العطاء، وكثيرا ما يجدون فيه النقد والتقويم، كما أن مجالسه شهدت حوارات بينه وعدد منهم تظهر ثقافته ومعرفته بالشعر وتوضح ذائقته الأدبية.

١- ابن رشيقي القيرواني، العمدة، تحقيق عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصرية، بيروت، ج ١، ط ١، ٢٠٠١ م، ص ١٩.

٢- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مرجع سابق، ص ١٩٢.

خامساً- تعدد البيئات: عاش عبد الملك في بيئات مختلفة، فهو ابن بيئة المدينة التي ولد وترعرع فيها، فنهل من فيضها العلمي، واختلف إلى علمائها، فتعلم وتأدب على أيديهم، وقد كانت المدينة على العهد الأموي من بيئات الشعر والأدب، وكانت تعج بمجالس الشعر والغناء^(١)، ورغم أن عبد الملك لم يعرف أديباً أو مرتاداً لهذه المجالس، وعرف في ذلك الحين بصلته بالقرآن والسنة، وبالعبادة والتنسك، لكنّ البيئة تلقي بآثرها على من عاش فيها ما يجعلنا نعدّها من المؤثرات في تكوينه الأدبي.

ثمّ عاش عبد الملك في بيئة الشام، وهي من بيئات الشعر العربي في ذاك العصر، وإن كانت أقلّ عطاءً عن غيرها من البيئات، فشعر المديح الذي اشتهرت به وافد عليها من بيئات الحجاز والعراق ونجد، حيث كان الشعراء يفدون للخلفاء مدحهم ونيل عطاياهم^(٢). كما شهد بيئة العراق التي كان طابعها التنافس الشديد بين الشعراء، وكانت أسواقها منابر لتنافسهم لا سيما شعراء النقائض الذين أغنوا الأدب العربي بشعرهم^(٣)، وكذلك تأثر عبد الملك بالبيئات الأخرى مثل: الحجاز وغيرها، وقد «عرفت كل بيئة من هذه البيئات بطابع خاص يميزها عن غيرها، فكانت الحجاز والشام قد اختلفتا بلون من الشعر الغنائي الغزلي حيث اتصلت أسبابها معاً، فكانت الحجاز تمد الشام بشعرائها ومغنيها، وكان المزاج العام فيهما متقاربا، أما نجد والعراق فكانتا أوفر حظا في الشعر وأكثر قربا من روح البداوة حيث استعرت فيهما المنافسات والصراعات»^(٤).

١- ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، دار المعارف، القاهرة، ط٢٣، ١٩٦٣م، الصفحات: ١٣٩، ١٤٠، ١٤١.

٢- ينظر: عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مرجع سابق ص ١٩٣.

٣- ينظر: شوقي ضيف، المرجع السابق، ص ٢٤١.

٤- محمد صالح الشنطي، في الأدب العربي القديم (عصوره وتطوره وفنونه ونماذج مدروسة منه)، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل ن ط١١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ص ٢٣١.

إنّ هذه البيئات أسهمت في بنائه شخصية ذات معرفة بالكلمة ذواقة لها، فالبيئات تؤثر في الإنسان وتسهم في تكوينه الأدبي، وروافدها العلمية والثقافية تبني شخصية الناقد وتطور ملكته الذوقية.

المبحث الثاني: مفهوم التذوق الأدبي وقيّمته النقدية

(ذوق) كلمة واضحة المعاني والدلالات، وقد أخذت بعدها المادي المرتبط بما يقوم به اللسان لمعرفة الطعم، كما أخذت بعدها الآخر الذي يعني الإحساس بالشيء وإدراكه، وحول هذين البعدين دار حديث الباحثين، فنجد الدكتور إبراهيم عوض في حديثه عن كلمة (ذوق)، يقول «الكلمة ذات أصل مادي ككثير من الكلمات الأخرى كما هو واضح، ثم اتسع معناها بحيث لم تختصر على الطعام والشراب فقط، بل أصبحت تتعلق أيضاً على ما يحسّه الإنسان من خلال حواسه الأخرى، ثم ما يدركه بعقله ووجدانه»^(١).

ويظهر أن هذا الاستعمال استقر منذ الجاهلية حيث نجد عنتره مثلاً يقول:

وإذا ظلمتُ فإنّ ظلمي باسلٌ مرُّ مذاقته كطعمِ العلقمِ^(٢)

فهنا عبّر عنتره عن ظلمه بأن جعل له مذاقاً يحسه الإنسان، ولكي يدرك السامع ذاك المذاق قرّبه له بتشبيهه بطعم العلقم المحسوس مادياً.

كذلك نجد القرآن استعمل الكلمة فوضّح المراد منها في الحالتين، فحينما وصف آدم وحواء - عليهما السلام - في الجنة أخبر عن الذوق بمعنى ما يميزه اللسان، فقال تعالى: (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوء أتهما...) (٣) ثم ذكر ذات الكلمة بمعنى الإحساس فقال: (كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم

١- إبراهيم عوض، التذوق الأدبي، مكتبة الثقافة، ٢٠٠٥م، ص ٧.

٢- التبريزي، شرح القصائد العشر، دار الجيل، بيروت، ص ١٩٦.

٣- سورة الأعراف، الآية ٢٢.

ولهم عذابٌ اليمُّ»^(١). ومن هذا المعنى غير المادي، جاء مصطلح (التذوق الأدبي) الذي أخذ بعده من كلمة (ذوق)، وهي كلمة وردت في النقد العربي منذ القدم وقد استعملها ابن طباطبا العلوي في كتابه (عيار الشعر)، حيث قال: «فمن صح طبعه وذوقه لم يحتاج إلى نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحدق به، حتى تتغير معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه»^(٢)، والمعنى عند ابن طباطبا واضح؛ فهو يميل إلى أن الذوق شيء من طبع الإنسان يؤهله لمعرفة الوزن فلا يحتاج لمعرفة العروض ويرى أن تعلم العروض يرقى الذوق.

وقريب من هذا ما ذهب له ابن خلدون في مقدمته إذ يقول: «اعلم أن لفظة (ذوق) يتداولها المعتنون بفنون البيان، ومعناها حصول ملكة الفصاحة والبلاغة للسان»^(٣)، ويذهب إلى أن الملكة حينما تتمكن من صاحبها فإنها تحكمه بالتزام جادة نهج العرب في كلامهم، «فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ إلى وجود النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم، ولو رام صاحب هذه الملكة حيدا عن هذه السبيل المعينة، والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه لسانه لأنه لا يعتاده ولا تهديه إليه ملكته الراسخة عنده»^(٤)، ويسحب ابن خلدون الفكرة لحال الأديب صاحب هذه الملكة حينما يتحول لمتلق، فيرى أنها تزوده بالحس النقدي الراض لكل ما ينبو عنه الذوق، فيقول: «وإذا عرض عليه الكلام حائدا عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم، أعرض عنه ومجه، وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم»^(٥).

١- سورة الحشر، الآية ١٥.

٢- ابن طباطبا، عيار الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣، ص ٩.

٣- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار صادر، بيروت ط ٢، ص ٤٥٤.

٤- المرجع السابق، ص ٤٥٥.

٥- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ويلحظ أن الذوق - بهذا المفهوم - مناسب لوصف حالة الشاعر أو الأديب التي تمثل ملكة من ملكات العطاء عنده، ويمكن أن ينعكس ذات الأمر في حالة الناقد؛ فالناقد الذي لا يملك الذوق طبعاً يكون غير مؤهل لمعرفة العمل الأدبي.

أما التذوق فهو الناتج من إعمال الذوق، ونجدّه يظهر في مرحلتين: مرحلة ما قبل ميلاد العمل الأدبي، ومرحلة ما بعده، فالأديب يمكنه تذوق أشياء كثيرة واستحسانها بذوقه، حتى إذا جاء العمل الأدبي، أصبح تذوقه جزءاً من مكونات نتاجه الأدبي شاعراً كان أم كاتباً، أم ناقداً، فبالتذوق يستطيع الناقد تمييز الجيد من الرديء، إذ يعد التذوق أول مراحل التمييز، ولذا كان النقد في عصر ما قبل الإسلام، ومدة العصر الإسلامي مبنيًا بصورة رئيسة على أحكام عابرة غير مسوغة يتحكم فيها استحسان الناقد للشعر أو عدم استحسانه بمقياس ما أدركه أو أحسه تجاه النص، ما يمكن اختصاره بالقول: (بما تذوقه). ولذا كان التذوق مرحلة من مراحل النقد القديم، وهي مرحلة إن عدت غير مكتملة النضج بمقاييس مراحل ما بعد توسع حقل النقد واتساع مفهوماته ومجالاته وأنواعه واصطلاحاته؛ فإنّها تعد مؤشراً لنضج الذوق عند الأقدمين، وهو نضج تقرّه سجايهم السليمة، ومعرفتهم بلغتهم، وإجادة فنونها، وهذا ما جعلهم لا يهتمون بتفاصيل مكونات النص ويكتفون بأثره في نفوسهم؛ إذ «غاية نقدهم أن يأخذوا الكلام منقطعاً عن كل مؤثر؛ بل منقطعاً عن بقية شعر الشاعر ويتذوقونه وفاقاً لسليقتهم ثم يفصحون عن رأيهم»^(١)، فالنقد عندهم «قائم على الإحساس بأثر الشعر في النفس، وعلى مقدار وقع الكلام على الناقد، فالكم مرتبط بالإحساس قوة وضعفاً، والعربي يحسّ الشعر إحساساً فطرياً لا تعقيد فيه ويتذوقه جبلةً وفطرة، وعماده في الحكم على ذوقه وعلى سليقته»^(٢)، وذلك ما يظهر في شواهد كثيرة حملتها كتب الأدب

١ - طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م، ص ٢٢.

٢ - المرجع السابق، ص ٢٣.

العربي، منها ما جاء في قصة امرئ القيس وعلقمة الفحل اللذين تحاكما لأم جندب - زوجة امرئ القيس - فقضت بتفضيل علقمة على امرئ القيس بمقياس تذوقه، بني على تقديرها وإحساسها بالمفردات، فحينما وصف امرؤ القيس فرسه فقال:

فَللَسَّاقِ أَلْهُوبٌ وَلِلسُّوْطِ دَرَّةٌ وَللزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعٌ أَخْرَجَ مُهْذَبِ
وقال علقمة:

فَأَدْرَكُهُنَّ ثَانِيًا مَنْ عِنَانِهِ يَمْرُّ كَمَرِ الرِّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ
وقد حكمت أم جندب لعلقمة معللة حكمها بقولها لامرئ القيس: «فرسه أجود من فرسك؛ لأنه قد أدرك الخيل ثانيا من عنانه، من غير أن يضربه بسوط أو يحرك ساقيه»^(١).

وواضح أنّ الحكم كان تقديريا، دخل فيه الجانب التذوقي الشخصي أكثر من الجانب المبني على التحليل العميق، ولو كان استعمال السوط عيبا ما ذكره امرؤ القيس الذي يعرف صفات الخيل ويحيد وصفها^(٢) ومثل هذا النقد التذوقي يظهر لنا- أيضا- في قصة طرفة مع المسيّب بن علس التي جاء فيها أنّ المسيّب حينما أنشد قوله:

وَقَدْ أَتَنَسَى الْهَمَّ عِنْدَ ادِّكَارِهِ بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعِرِيَّةَ مَكْدَمِ
قال طرفة: «استنوق الجمل»، أي أصبح الجمل ناقة بقرينة (الصيغريّة) الملازمة للنوق لا الجمال^(٣)، وهذه ملاحظة بنيت على التذوق بعد استيعاب المفردة وما

- ١- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ، الصفحات: ٢١٢، ٢٠١٣.
- ٢- ينظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩ م، الصفحات: من ٤١ إلى ٥٢.
- ٣- ينظر: أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجليل، بيروت، ج ١، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٩٨ م، الصفحات: ٥٤، ٥٥.

يقترن بها، ولو قبل ذوق طرفة تشبيهه الجمل بالناقة بقريته (الصيعرية) لقبل البيت مستقيما بلا خلل، لكن ذوقه لم يقبل ذلك، فاستنكر التشبيه وردّ بيت المسيّب .

ومنها قصة النابغة مع حسان بن ثابت التي تتلخص في أنه حينما قدم الأعشى والخنساء وحسان إلى سوق عكاظ؛ قدّم النابغة الخنساء على حسان، وقدم الأعشى على الخنساء، فلم يرض حسان ذلك، فقال للنابغة: «أنا أشعر منك ومن أبيك»، فرد النابغة: «يا بن أخي أنت لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلتُ أن المتأى عنك واسعُ
خطاطيفُ جنٍ في حبالٍ متينةٍ تمدّ بها أيديّ إليك نوازعُ»^(١)

لتنتهي القصة إلى قول الراوي «فخنس حسان لقوله»، فيقف ذلك شاهدا على أكثر من شيء، مثل: تذوق حسان لشعر النابغة، ومعرفة تقدمه على شعره بالقدر الذي يجعله يخنس أمام حجة النابغة، رغم أنه عرف بكونه أشعر أهل يثرب الذين يعدون أشعر أهل المدر^(٢).

إنّ التذوق الأدبي لم يقتصر على المفهومات المتعلقة بالاستحسان أو عدمه وإنما تجاوز ذلك للجانب المتعلق بالفهم أيضا، يقول الدكتور ماهر شعبان عن التذوق الأدبي: «إنّه نشاط يتكامل فيه الجانب العقلي والجانب الوجداني...»^(٣)، ثم يواصل قوله فيقول: «إنّ الفهم عملية يجب أن تسبق تذوق القصيدة، إنّه جزء منه، وأساس له، وقد يكون الإخفاق في فهم المعنى حائلا قويا دون شعور المرء بالنص وتذوقه إياه»^(٤).

١- أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، مصر، طبعة دار الشعب عن طبعة دار الكتب، (د.ت)، مج ١١، ص ٣٧٩٢.

٢- ينظر: المرجع السابق، ص: ١٣٥٠، ١٣٥١.

٣- ماهر شعبان عبد الباري، التذوق الأدبي النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص ٨٤.

٤- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

إنّ فهم النّص سبب من أسباب التذوق، يفسر لنا عدم حاجة العرب في عصورهم الأولى لنقد تحليلي مسهب في التفاصيل، فهذا أمر مناسب لطبيعة تلك المدة، إذ كانت ملكة النقد عندهم «مبنية على الذوق الفطري لا الفكر التحليلي، فهو نقد ذوقي غير مسبب»^(١)، وذلك بسبب معرفتهم لشعرهم وبيئته وعدم حاجتهم لما احتاجه المتأخرون من عمليات تشرّح النص وتوسعه وتنسج حوله ما يوضحه، بدرجة ربّما تخرجه عن مراد الشاعر.

وارتباط التذوق بالفهم أمر طبيعي، فالتذوق عملية تحتاج لإعمال العقل، ولا يمكن أن يحكم الناقد على عمل لم يكتمل تصوره عنده، فالنّص مثلما يحرك الأحاسيس بموسيقاه، ويبهز الخيال بصوره، لا بُدَّ أن يظهر في مرآة العقل مفهوماً، ولذا عدّ العقل المرجع الأخير في التذوق، يقول الدكتور إحسان عباس: «العقل هو المرجع الأخير في التذوق، ولهذا كان الصدق في الشعر أصلح لأنّه مقبول لدى العقل»^(٢).

ولذا يتضح أن التذوق الأدبي عملية متكاملة الأدوار جامعة بين المشاعر والعقل، تلعب فيها المعرفة دوراً فعالاً إلى جانب الملكة، مع وجود مساحة كبيرة للمران والتطوير عند أصحابها.

مما سبق يمكننا أن نخلص إلى أنّ الذوق الأدبي، ملكة إنسانية تمكن صاحبها من معرفة الأعمال الأدبية، والإحساس بأثرها حسناً وقبحاً، وهي ملكة قابلة للتطوير باكتساب المعرفة الأدبية والإلمام بلوازمها.

أما التذوق، فهو عملية التمييز الناقدة للأعمال التي يستطيع من خلالها صاحب الذوق عرض العمل الأدبي على ذائقته ثم الحكم عليه.

١- عبد العزيز عتيق - تاريخ النقد عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١٠م - ص ٢١.

٢- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مرجع سابق، ص ١٧.

إنّ القيمة النقدية للتذوق الأدبي تظهر في ارتباطه الوثيق بالنقد الذي لا يمكن أن ينفك عنه، فهي عملية أساسية في النقد، ولا يمكن أن تتم عملية نقدية بعيداً عنها، إذ إنها مزيج من الفهم والإدراك للنص، والإحساس به، وبهذه القيمة الواضحة للتذوق يمكننا الحكم على النقد العربي القديم في عصوره الأولى بكونه قام بدوره كاملاً، ومناسباً لما كان عليه العربي الأول من معرفة بلغته وإمام بما يحيط بالقصيدة من أشياء احتاجها الناقد لاحقاً، فأدرجها ضمن معالجته النقدية.

المبحث الثالث: تذوق عبد الملك للشعر

حملت سيرة عبد الملك بن مروان مواقف له مع الشعراء يظهر فيها تذوقه للشعر، فتارة يستحسن القول ويبيدي إعجابه، وأخرى يبيّن ضعف النص، وأحياناً يظهر فهمه لمن ألمح بالشعر أو عرض به، وفي كل تلك المواقف تظهر شخصيته ناقداً، وتظهر التذوق عنده، ومن تلك المواقف ما روي عن أنه سأل الفرزدق وجريراً عن أشعر أهل زمانهم فذكر كل واحد منهما نفسه وذا الرمة، فأحب عبد الملك أن يرى ذا الرمة لقولهما، فطلب ذا الرمة فجاء به إليه، فسأله أن ينشده أجود شعره، فقال:

ما بال عينك منها الماء ينسكبُ كأنه من كلى مفرية سربُ

ولم يراع أن عيني عبد الملك كانتا تسيلان ماءً، فغضب عليه ورده، ولم يقبل منه حتى عاد مرة ثانية بقوله:

ما بال عيني منها الماء ينسكبُ كأنه من كلى مفرية سربُ^(١)

ويلاحظ أن تذوق عبد الملك للبيت جعله يرد الشاعر، فالخطاب المباشر له، الموافق لحال عينه التي كان منها الماء منسكبا، خطاب لم يراع مناسبة المقال للمقام،

١- المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تحقيق حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م الصفحات: ٢٧٨، ٢٧٩.

وجاء يحمل ما ينفر منه الذوق السليم الذي ما قبله ذوق عبد الملك فحمله على رد الشاعر بداية، وقبوله نهاية.

ولعبد الملك مواقف مع شعراء عصره أمثال: جرير، والأخطل وغيرهما، تشير إلى تذوقه الشعر وانفعاله به، وتجاوبه معه، ومن ذلك أنه لما أنشده الأخطل قصيدته التي يقول فيها:

شمسُ العداوةِ حتى يستقادَ لهممٌ وأعظمُ النَّاسِ أحلاماً إذا قَدِروا

قال: «خذ بيده يا غلام فأخرجه، ثم ألق عليه من الخلع ما يعمره، ثم قال: إنَّ لكلِّ قومٍ شاعراً، وإنَّ شاعر بني أمية الأخطل»^(١).

وهنا يظهر متأثراً بالمدح منفعلًا به، رافعا قدر المادح، ومنزلاً له منزلة (شاعر بني أمية)، وهي منزلة رفيعة في عصر حكمهم وسيادتهم، فإذا قرئ الموقف مع نص ما مدح به، فإننا نقف على تذوق رجل يربط بين الأدب والسياسة ويوظف الصوت الشعري في منبر السياسة بما يخدم حكمه ويرفع أيضا منازل الشعراء في مجتمعهم، وهذا أمر يفيد الأدب والسياسة معا.

أما جرير فله مواقف متباينة معه، يستحسن فيها شعره تارة، ويرفض بعضه أخرى، ومن ذلك أنه حينما أنشده قصيدته التي مطلعها:

أتصحو أم فؤادك غيرُ صاحٍ غداة همَّ قومك بالروحِ

التي يقول فيها:

سَأَشْكُرُ أَنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيثِي وَأَثَبْتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحِ

١- السيوطي، تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

قال عبد الملك: «من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت»^(١).

وهنا يظهر متذوقا طروبا، وناقدا مميذا لقيمة الشعر، يهزه الشعر وقتما يرفعه الشاعر وقومه لمنزلة كونهم خير الناس وأكرمهم.

أما حينما سمع قوله مفاخرابه:

هذا ابن عمي في دمشق خليفة
لو شئت ساقكم إلى قطينا

قال: «جعلتني شرطيا لك، أما لو قلت: لو شاء ساقكم إلي قطينا، لسقتهم إليك عن آخرهم»^(٢)، وفي هذا تظهر شخصية الخليفة، لا شخصية الناقد المحايد المنفصل عن مقام الحاكم، ولو أنه نظر بغير عين الخليفة، فربما لا يرى أنه أنزله منزلة الشرطي، فاستجابة الرجل لبني عمومته الذين يمثلون السند والقوة، لا تنقص من منزلته.

ومن الأخبار التي تدل على تذوقه الشعر أنه كان إذا جلس للقضاء أوقف

من ينشده:

إنا إذا نالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل
واضطرع الناس بالبابهم نقضي بحكم عادل فاصل
لا نجعل الباطل حقا ولا نلفظ دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا فنجهل الحق مع الجاهل^(٣)

وهذه الصورة توضح أن الشعر يمثل عنده منبها، يوقظ حسه في وقت القضاء ويذكره بالعدل والتزام نهجه، وهذا مما يشير إلى تذوقه للشعر وتأثره به.

١- ابن عبد ربه، العقد الفريد، مرجع سابق، ص ٣٣١.

٢- المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، مرجع سابق، ص ١٥٨.

٣- ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ص ٣٨٦.

وتذوق الشعر عند عبد الملك يتجاوز الصورة النقدية التقليدية إلى أبعاد أخرى؛ إذ يدفعه لاستعماله إشارات تشبه الرموز السرية لإيصال ما يريد، ومن ذلك أنه كتب ذات مرة للحجاج بن يوسف في شأن قطري بن الفجاءة الذي عظم الحجاج شأنه، فقال: «أوصيك بما أوصى به البكري زيدا»، فنادى الحجاج في الناس مستفسراً عن المراد، فجاءه من أخبره أن ما أوصى به البكري زيدا هو قوله:

فإن وضعوا حرباً فضعها وإن أبوا فشبّ وقود الحرب بالخطب الجزل
فإن عضت الحرب الضروس بنابها فعرضة نار الحرب مثلك أو مثلي

وحينما فهم الحجاج ما قصده عبد الملك واستطاع فك رموز الرسالة، أدرك خطورة الأمر فقال: «صدق أمير المؤمنين وصدق البكري»^(١).

وكذلك يحمله تذوق الشعر على القدرة على بناء صور كثيرة في مخيلته، يستدعيها من حين لآخر، فيجعل منها مجال تنافس بين جلسائه، ومن ذلك أنه سأل من حوله فقال: أي المناديل أفضل؟ فانصرف الناس إلى مناديل مصر ومناديل اليمن التي يبدو أنها أجود المناديل آنذاك، لكنّ عبد الملك كان يخلق في عوالم الشعر متذوقاً ومستحضراً صورة لمناديل أخرى، فقال لهم: «أفضل المناديل ما قال أخو تميم:

لما نزلنا نصبنا ظلّ أخبيةً وفارّ للقوم باللحم المراجيل
وردّ وأشقر ما يؤنيه طابخه ما غير الغلي منه فهو مأكول
ثمت قمنا إلى جرد مسومةً أعرافهن لأيدينا المناديل^(٢)

١- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ط ٣، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ص ٢٠٧م.
٢- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، ج ١، بدون تاريخ، ص ٣٢٧.

فالمناديل التي يتصورها أجود المناديل هي أعراف الخيل، وهي صورة مناديل لا يستحضرها إلا من تذوق مفردات القصيدة وأدرك الصورة التي رسمها الشاعر، فهي مناديل مجازية لا تنافس بجودتها المناديل الحقيقية، وليس من الحسن أن تستعمل أعراف الخيل مناديل، ولكن هذه الأعراف - في تلك اللحظة التي استعملها الشاعر مناديل - تذوق عبد الملك صورتها، فأحس بجمالها، حتى رفع شأنها وجعلها أفضل المناديل، ما يظهره متذوقا قادرا على استدعاء الصورة، متخذاً منها مادة أدبية تحرك مجالس الأنس، بما يحفز الأذهان فيدفعها للتنافس وإخراج المخزون المعرفي.

ويصل التذوق عند عبد الملك درجة أن يتدخل أحيانا لتعديل بيت من الشعر وتحسينه للصورة التي يراها مناسبة، وليصل إلى ذلك فهو يعرضه على جلسائه، فيسمع رأيهم ثم يفصل في الأمر، فقد روى المبرّد أن عبد الملك سأل جلساءه عن بيت الشاعر نصيب الذي يقول فيه:

أهيم بدعدٍ ما حييت وإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي

فعابوه، فسألهم عن قولهم لو كان الأمر إليهم؟ فقال أحدهم:

أهيم بدعدٍ ما حييت وإن أمت فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي

فرد عبد الملك قوله وعده أسوأ من قول نصيب، وحينما سأله جلساؤه عن ماذا يقول في ذلك؟، قال لهم:

أهيم بدعدٍ ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

فقدموه على الشعارين.^(١)

١ - المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص ١٠٦

والقصة تشهد لعبد الملك بذائقة واضحة شهد بها أهل ذاك المجلس فقدموه على نصيب والشاعر الآخر، ورغم أن من الوارد أن يقدمه جلساؤه على الشعراء، احتراماً أو تملقاً، فإن الناظر لبيت عبد الملك يجد أن الحكم كان صادقا، إذ أحسن عبد الملك تعديل البيت بما يظهر حبه لدعد، فالطبيعة البشرية لا تناسب أن يوكل العاشق من يهيم بعشيقته بعده، كما ذكر نصيب، ولا أن يأسى لفقدانها من يهيم بها بعده، كما ذكر الآخر، ولكنها تناسب أن يتمنى العاشق ألا يظفر أحد بعده بمحبوبته، وهذا ما ذهب إليه عبد الملك، فبيّن ذائقته، وقدراته الأدبية.

ومن هذه الشواهد يظهر تذوق عبد الملك للشعر، ويتضح أنه تمثل في أكثر من ملمح، فنجد في موقف رافضاً الشعر وراذلاً صاحبه، وقيماً لا يحسن الشاعر البداية، كما كان في شأن ذي الرمة، أو رافضاً لمعنى وصله من بيت شعر، كما جاء في موقفه من بيت جرير، الذي عدّه إنزالاً له لمقام الشرطي، أو معجباً بشعر رافعاً صاحبه لمقام اجتماعي، كما كان في شأن الأخطل، أو مستحسناً للنص، كما جاء في شعر جرير الذي وصفه بقوله «من أراد أن يمدحنا فليمدحنا بمثل هذا»^(١)، أو جاعلاً الشعر منبها له ليلزم الجادة، مثلما جاء في جعله من يذكره بأبيات من الشعر وقت الحكم، أو متخذاً الشعر رمزا سرياً للتواصل بينه وولائه، كما كان فيما بينه والحجاج بن يوسف الثقفي، أو جاعلاً منه وسيلة لتحريك الأذهان لعرض معارفها في مجالس الأنس، كما في قصة أفضل المناديل، أو معدلاً البيت ليصبح أجود مما كان عليه، كما في بيت نصيب.

وكل تلك الأشياء توضح أنه كان ذواقاً للشعر مجيداً لفهمه ونقده.

١- ابن عبد ربه، العقد الفريد، مرجع سابق، ص ٣٣١.

المبحث الرابع: أثر التذوق في مواقفه السياسية والاجتماعية

ظاهرة تأثير الشعر في المواقف السياسية والاجتماعية ظاهرة قديمة عند العرب، فقد وردت قصص كثيرة غير فيها الشعراء الموقف ووجهوه الوجهة التي يريدون، كما أن الشواهد حملت لنا اعتماد معرفة الشعر وتذوقه في الحكم، حيث تقف قصة الزبرقان بن بدر مع الحطيئة شاهدا على ذلك، فإنه حينما شكى الزبرقان الحطيئة إلى عمر لقوله:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

قال له عمر: ما أراه هجاك، أما ترضى أن تكون طاعما كاسيا؟

فقال: يا أمير المؤمنين إنه لا يكون هجاء أشد من هذا، فبعث عمر إلى حسان بن ثابت فسأله عن ذلك فقال:

يا أمير المؤمنين ما هجاه ولكن سلح عليه، فعند ذلك حبسه عمر وقال: «يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين، ثم شفّع فيه عمرو بن العاص فأخرجه وأخذ عليه العهد أن لا يهجو الناس واستتابه»^(١)، والشاهد أن عمر لم يفهم المراد من وصف الحطيئة للزبرقان بأنه (الطاعم الكاسي) وحمل الوصف على ظاهره، بينما علم حسان المعنى المراد من سياق النص، فوصفه بقوله: «سلح عليه» وهو تعبير مجازي يعبر عن أبشع صورة، فانتقلت تلك الصورة للخليفة عمر، فقضى بحبس الحطيئة، فقدّم نموذجاً لاعتماد رأي أهل الأدب والذائقة الأدبية في الشهادة فيما يلي الأدب، بل وأسهم كذلك في رفع شأن الأدباء في مجالس الخلفاء.

لقد سار على هذا النهج كثير من الخلفاء بعد عمر منهم عبد الملك بن مروان الذي حملت سيرته شواهد كثيرة في هذا الاتجاه؛ تبين أنه تأثر بالشعر فغيّر موقفه

١ - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مرجع سابق، ص ٣١٦.

الذي كان عليه لموقف آخر؛ وقد تعددت صور ذلك التأثر واختلفت المواقف التي ورد فيها، ولكن يمكن تلخيص ذلك في الآتي:

أولاً- المدح: المدح من الوسائل الشعرية القديمة التي تقرب بها الشعراء للسلطان، وقد أقر العرب ذلك، وأصبح سلوكاً مقبولاً عندهم، يسعى له الشعراء والحكام معاً، لأنه يناسب الطبع الإنساني. يقول الرافعي: «والمديح في فطرة الإنسان، لأنه إحساس الكبرياء التي هي عمود الإنسانية فيه، فإن الناس متفاضلون في القوة على الأعمال، وهم كذلك متفاضلون في حسهم لهذه القوة، فالوائق بنفسه الذهاب بها مذهب الغناء والاعتداد يجد في طبعه حركة واهتزازاً متى حققت له أعماله تلك الثقة ولم يكذب وهمه في الاعتداد باطلاً، فذلك الاهتزاز هز إحساس الكبرياء الكامنة فيه، وهو الذي يقصد تصويره بالفخر والمديح»^(١).

ورغم أن سيرة عبد الملك بن مروان حملت ما يشير إلى أنه كان ينهى عن الإطراء^(٢)، لكن ذلك مكن أن يحمل على أنه كان لا يحب الإطراء في غير مقام الشعر المختلف عن غيره من المقامات، فهذا مقام خاص سمحت العرب للشعراء فيه بما لم تسمح به لغيرهم مثل: مخاطبة الملوك بأسمائهم، ونسبتهم لأمهاتهم، ومخاطبتهم بالكاف كما يخاطب العامة، كما قبلوا منهم الكذب^(٣)، ولذلك نجد عبد الملك يقبل منهم المدح ويحثهم عليه، وذلك ما كان في شأن جرير الذي ذكرنا خبره سابقاً، وغيره من الشعراء، وقد شجع عبد الملك الشعراء على مدحه فأقبلوا عليه ومدحوه، فأتاح له ذلك فرصاً لتقدمهم، فقدم بعضهم وأخر آخرين، واستحسن منهم، ورد شعر بعضهم، وله في هذا الجانب مواقف كثيرة مع الشعراء.

١- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٣، ط ٦، ١٤٢٢ هـ، ص ٢٠١، ص ٩٤.

٢- ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ص ٣٦١.

٣- ينظر: ابن رشيق، العمدة، مرجع سابق، ص ١٤.

لقد استطاع بعض الشعراء أن يغيّروا مواقفه بالمدح، حتى في أهم الموضوعات مثل ولاية عهده، التي أراد أن يجعلها لابنه الوليد بدلا من أخيه عبد العزيز، ولكن الأمر لم يكن سهلا إذ رفض عبد العزيز التنازل، وكان بعض الناس يريدونها للوليد، منهم الحجاج بن يوسف الذي كتب لعبد الملك بذلك، وأوفد إليه وفدا عليهم عمران بن عصام العنزي، فلما دخلوا عليه قام عمران خطيبا فتكلم، وتكلم الوفد وحثوا عبد الملك على أن يجعل الولاية لابنه الوليد، وأنشد عمران بن عصام في ذلك، فقال:

أمير المؤمنين إليك نُهدي	على النَّأي التَّحِيَّةَ والسَّلاما
أجني في بنيك يكن جوابي	لهم عاديَّةً ولناقواما
فلو أن الوليد أطاع فيه	جعلت له الخِلافةَ والزماما
شبيهُكَ حولَ قبته قريشٌ	به يستمطرُ الناسُ الغماما
ومثلك في التقى لم يصب يوماً	لذنْ خلعَ القلائدَ والتماما
فإن تُؤثر أخاك بها فإننا	وجدك لا نطيقُ لها اتهاما
ولكننا نحاذرُ من بنيهِ	بني العلات مأثرة سماما
ونخشى إن جعلتَ الملكَ فيهمُ	سحابا أن تعودَ لهم جهاماً
فلا يكُ ما حلبتَ غداً لقومٍ	وبعدَ غدٍ بنوك همُ العياما
فأقسمُ لو تخطاني عصامٌ	بذلك ما عذرتُ به عصاماً
ولو أني حبوتُ أخاً بفضلٍ	أريدُ به المقالةَ والمقاما
لعقبَ في بنيِّ علي بنيه	كذلك أو لرمتُ له مراماً

فمن يك في أقاربه صدوعٌ فصدعُ الملكِ أبطؤه التثامًا
فهاجه ذلك على أن كتب إلى أخيه يستنزله عن الخلافة للوليد^(١).

فهنا عرف الحجاج المدخل المؤثر في عبد الملك، وأدرك بحنكته السياسية أن مدحه ومدح ابنه سيرجع الكفة لصالح الوليد الذي يريده الحجاج، فأرسل هذا الوفد وعلى رأسه هذا الشاعر، الذي قام بدور كبير في هذا الحدث الكبير، يوضحه قول الراوي: «فهاجه ذلك، فكتب إلى عبد العزيز...»، ففي كلمة (هاجه) تعبير واضح عن تأثير تذوق عبد الملك للشعر، وتأثيره في موقفه.

والملاحظ أنه حتى لو كانت القصة مصنوعة ومرتبة بمكيدة سياسية أسهم فيها الحجاج لعلمه بهوى عبد الملك، أو باتفاق بينه وعبد الملك، ففي القصة شاهد على تقبل المجتمع لنتائجها، فهو مجتمع يقبل شفاعات الوفود ويحترم أشعارها، ويقدر ما يصل إليه الحاكم من قرارات من أثر الشعر عليه، حتى في الأمور الكبيرة التي يقوم عليها أمر الأمة.

ثانياً - الاستعطاف: وهو أمر قديم في أدب العرب، فقد كان الشعراء يستعطفون السلطان بشعرهم، مسترحمين، أو مستشفعين، أو معتذرين.

وعلى هذا النهج سار عبد الملك بن مروان الذي شهدت مجالسه مثل هذه المواقف، وقصته مع جرير تشهد بذلك، فقد كان هوى جرير مع عبد الله بن الزبير، وقد ساءت أحواله بعد مقتل ابن الزبير، فاتصل بالحجاج فمدحه ليتقرب منه، فرأى الحجاج أن يقربه من الخليفة، وفي ذلك ذكاء سياسي، إذ كان جرير أحد الأصوات الشعرية القوية آنذاك، وكان الشعراء يمثلون الإعلام المجتمعي المؤثر. وحينما قدم جرير على عبد الملك أعرض عنه بداية لكنه قبله في النهاية،

١ - ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، الصفحات: ٣٦٩، ٣٧٠.

ذلكم أن جريرا استعطفه بشعره؛ فقد روى ابن عبدربه في العقد الفريد أنه «لما مدح جرير بن عطية الخطفي الحجاج بن يوسف بشعره الذي يقول فيه:

أم من يغارُ على النساءِ حفيظةً إذ لا يثقنَ بغيرِ الأزواجِ
وقوله:

دعا الحجاجُ مثلَ دعاءِ نوحٍ فأسمعَ ذا المعارجِ فاستجابا

قال له الحجاج: «إن الطاقة تعجز عن المكافأة ولكني موفدك على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فسر إليه بكتابي هذا»، فسار إليه ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له، فقال: أتصحو أم فؤادك غير صاحي؟

قال له عبد الملك: «بل فؤادك»، فلما انتهى إلى قوله:

تعزّت أم حزرَةَ ثمّ قالتُ رأيتُ الواردينَ ذوي امتياحِ
ثقي باللهِ ليس لهُ شريكُ ومَن عندَ الخليفةِ بالنجاحِ
سأشكرُ إن رددتَ إليّ ريشي وأثبتتَ القوادمَ في جناحي
ألستمُ خيرَ من ركبَ المطايا وأندى العالمينَ بطونَ راحِ

ارتاح عبد الملك وكان متكئاً فاستوى جالساً ثم قال: «من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت»، ثم قال له: «يا جرير أترى أم حزره ترويهامئة ناقة من نعم كلب؟»، قال: «إذا لم تروها يا أمير المؤمنين فلا أروها الله».^(١)

ومن هذا الموقف يتضح النفس الذي بدأ به عبد الملك، فقد كان معرضاً عن الشاعر بسبب الخلاف السياسي حيث رد عليه: «بل فؤادك»، ثم ما لبث أن انتهى الأمر بعد الاستعفاف وتذوق الشعر لقبول الشاعر وجعل شعره نموذجاً للمدح.

١ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، مرجع سابق، الصفحات: ٣٣٠، ٣٣١.

ثالثا- الاعتذار: روى ابن كثير في حديثه عن شبيب الخارجي فقال: «وقد أمسك رجل من أصحابه فحمل إلى عبد الملك بن مروان، فقال له: أأست القائل:

فإن يك منكم كان مروانُ وابنه وعمروُ ومنكم هاشمٌ وحبیبُ
فمنا حُصينُ والبُطينُ وقَعْبُ ومنا أميرُ المؤمنینَ شبيبُ

فقال: «إنما قلت: (ومنا أمير المؤمنين شبيب)، فأعجبه حسن اعتذاره وأطلقه»^(١)، فالشاعر نصب (أمير) على النداء فتغير المعنى من أن منهم شيبا الذي صفته (أمير المؤمنين)، إلى أن منهم شيبا دون صفة مع إثبات إمارة المؤمنين لعبد الملك، فعفا عنه عبد الملك، إذ قدر ذكاه وحسن تخلصه.

والقصة تشهد اهتمام عبد الملك بالشعر واهتمامه بأخباره، كما تشهد على تذوقه له وأثر ذلك التذوق في مواقفه فقد كان الموقف الأول مبنيا على الشعر، وكان العفو عنه مبنيا على الشعر أيضا؛ بعد تغيير المعنى بتغيير حالة الكلمة من الرفع إلى النصب، وهو أمر دقيق يقف عليه من يجيد العربية ويتذوق شعرها، وكان من الممكن أن يعدّ عبد الملك التخلص ضربا من الكذب ويصر على موقفه الأول، لكنه لم يفعل لتذوقه الشعر واحترامه للكلمة.

رابعا- قوة الحجّة: وقد كان عبد الملك يقدر الحجّة والمنطق، ومن ذلك ما يظهر فيما دار بينه وكثير، فقد احتقر عبد الملك كثيرا بداية لما رآه قصير القامة، ولكنه سرعان ما غير نظرتة له بعد سماع شعره وتذوقه، فروي أنه حينما دخل كثير على عبد الملك بن مروان، قال له: «تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه، فأجابه كثير: يا أمير المؤمنين، كل عند محلّه رحب الفناء، شامخ البناء، عالي السناء، ثم أنشأ يقول:

١- ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ص ٢٧٧.

وجرّبتُ الأمورَ وجرّبتني فقد أبدتْ عريكتيَ الأمورُ
وما تُخفي الرجالُ عليَّ إنّي بهم لأخو مثابته خبيرُ
ترى الرجلَ النحيفَ فتزدريةِ وفي أثوابه أسدُ هصورُ
ويعجبُك الطيرُ إذا تراه فيخلفُ ظنك الرجلُ الطيرُ
بغاثِ الطيرِ أطولها رقاباً ولم تطلِ البزاةُ ولا الصقورُ
خشاشِ الطيرِ أكثرها فراخاً وأمّ الصقرِ مقلّاةُ نزورُ
ضعافُ الأسدِ أكثرها زئيراً وأصرمُها اللواتي لا تزيّرُ
وقد عظمَ البعيرُ بغيرِ لبِّ فلم يستغنَ بالعظمِ البعيرُ
يُقوده الصبيُّ بكلِّ أرضٍ وينحره على الترابِ الصغيرُ
فما عظمَ الرجالِ لهم بزِينٍ ولكن زينهم كرمٌ وخيرُ

وقد انتهت تلك القصة بأن احترام عبد الملك كثيراً وغير رأيه فيه، وأقر له بالفضل، وقال: «قاتله الله، ما أفصح لسانه، وأضبط جناحه، وأطول عنانه، والله إنّي لأظنه كما وصف»^(١).

وهكذا يتضح أن تذوق الشعر عند عبد الملك بن مروان لم يقف عند حد المتعة الأدبية أو الرؤى التقويمية، وإنما تحول التذوق عنده لدافع مؤثر في اتخاذ بعض المواقف السياسية والاجتماعية، التي أسهمت في تصحيح بعض مواقفه من الشعراء وخدمت الجانب الإعلامي لحكمه، وحققت له بعض أهدافه السياسية والاجتماعية.

١ - إبراهيم بن علي القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت، الصفحات: ٤٠٨، ٤٠٩.

خاتمة

الباحث في التذوق الشعري عند عبد الملك بن مروان يمر بأشياء كثيرة قبل أن يصل إلى خلاصة ما يريد، فهو يقف على مفهوم التذوق ومباحثه لغة واصطلاحاً، وما كان من شأنه في عصور الأدب العربي الأولى؛ فيجده ظاهرة ممارسة وإن لم تسم بالتذوق، ثم ما ينفك أن يجدها عند النقاد الأوائل مثل ابن طباطبا العلوي، و ابن خلدون في مقدمته، فيدرك أن للموضوع جذوراً عميقة تجعل الأدب العربي ليس بحاجة لاستجلاب مفهوماتها من الآداب الأخرى، ذلك ما لا يعني دعوة لقطع التواصل بين الآداب من حيث الأخذ والعطاء بما يخدم أدبنا العربي ويطوره.

لقد لاحظ الباحث ذهاب بعض الباحثين إلى صعوبة الوصول لتعريف جامع مانع للتذوق، فرأى أن ذلك بسبب الأخذ من مصادر مختلفة دون ترجيح الأمر الذي حمل الباحث على صياغة نص يقرب المفهوم إلى الحد المناسب، لا يعده نهاية المطلب العلمي، فهو جهد المقل، لكنه جهد يبسر الأمر للباحثين في هذا الموضوع.

ومن خلال الدراسة وصل الباحث إلى النتائج الآتية:

- ١- عرف العرب التذوق الشعري منذ عصر الجاهلية وكان أساس النقد آنذاك، ثم استمر عبر الحقب التي تلت العصر الجاهلي، وقد ظهر اللفظ المعبر عن الظاهرة النقدية في عصور متأخرة عن العصر الجاهلي لكنها من عصور الأدب القديمة.
- ٢- أدى التوسع في البحث عن مفهومات التذوق الأدبي إلى عدم الاتفاق على تعريف جامع مانع له.

٣- كان للبناء الديني والثقافي لعبد الملك بن مروان أثر واضح في تذوقه للشعر، لا سيما ثقافته القرآنية وكسبه في العلوم الدينية الأخرى.

٤- أسهمت البيئات المختلفة في التكوين الأدبي للخليفة عبد الملك، إذ أمدته بما أسهم في تكوينه ناقداً متذوقاً، فقد كان ذا ذائقة شعرية أسهمت في نقده للشعر.

٥- أثر تذوق الشعر عند عبد الملك بن مروان في بعض مواقفه السياسية والاجتماعية تأثيراً إيجابياً.

وقد لاحظ الباحث أن موضوع التذوق من الموضوعات التي يشكل فهمها على كثير من الدارسين، لذلك رأى أنه يحتاج لمزيد من البحوث التي توضحه وتجعله من الموضوعات سهلة الفهم والتناول لا سيما للمبتدئين، كما أنه رأى أن ظاهرة الأدباء والنقاد والشعراء من الخلفاء والوزراء في المشرق العربي، تحتاج - كذلك - لمزيد من الدراسات لتقارب ما كان من دراسات حول الأدب المغربي المتمثل في الأدب الأندلسي، فملاحظ أن الظاهرة واضحة في الأدب الأندلسي بفضل ما قدم فيه من دراسات، بينما تقل نسبياً في المشرق، ولذلك يوصي الباحث بالبحث العلمي في هذين الجانبين اللذين يمكن أن يستخرج منهما عدد كبير من الموضوعات المفيدة للنقد الأدبي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- إبراهيم بن علي القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت.
- إبراهيم عوض، التذوق الأدبي، مكتبة الثقافة، ٢٠٠٥ م.
- إحسان عباس، دكتور، تاريخ النقد عند العرب، بيروت، ط ٥، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦.
- التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي، شرح القصائد العشر، دار الجيل، بيروت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، ج ٢، ٢٠١٠ م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار صادر، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٩ م.
- الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مامون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ٤، ط ٢، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢.
- ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، بيروت، ج ١، ط ١، ٢٠٠١ م.
- الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩ م.
- السيوطي، الإمام جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣.
- شوقي ضيف، دكتور، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، دار المعارف، القاهرة، ط ٢٣، ١٩٦٣ م.
- شوقي ضيف، دكتور، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط ٨.
- ابن طباطبا، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م

- الطبري، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ج ٦.
- طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٨ م.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ط ١.
- عبد العزيز عتيق - تاريخ النقد عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١٠ م.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، ج ٣٧، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين الأصبهاني، الأغاني، مصر، طبعة دار الشعب عن طبعة دار الكتب، (ب - ت)، مج ١١.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ج ١٢، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ماهر شعبان عبد الباري، أستاذ دكتور، التذوق الأدبي النظرية والتطبيق، مكتبة المتنبي، الدمام، ط ١، ١٤٣ هـ - ٢٠١٣ م.
- المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، ج ١، بدون تاريخ.
- محمد سهيل طقوس، تاريخ الدولة الأموية، ط ٧، ١٤٣٨ هـ، ٢٠١٠ م.
- محمد صالح الشنطي، أستاذ دكتور، في الأدب العربي القديم (عصوره وتطوره وفنونه ونماذج مدروسة منه)، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، ط ١١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على

- الشعراء، تحقيق حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ١٤١ هـ ١٩٩٥ م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ط ٣، ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م.
 - مصطفى صادق الرافعي - تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٣، - ط ٦، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م.
 - أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجليل، بيروت، ج ١، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٩٨ م.
 - أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله العسكري، الأوائل، طنطا، ط ١، ١٤٠٨ هـ.

Sources and References:

Holy Qur'an

- Ibrahim Ibn Ali Alqairoani, Zahr Al Adab Wa Thamar Al Albab, Dar Al-Jeel, Beirut.
- Ibrahim Wad, Literary Appreciation, Althaqfa Library, 2005.
- Ibn Khaldun, Abd al-Rahman Ibn Muhammad ibn Khaldun, The Muqaddimah, Dar Sader, Beirut, 2nd version, 2009.
- Ibn Tabatba, Muhammad Ahmed ibn Tabatba Al-Alawi, Poet Caliber, investigated by Abbas Abdul Sattar, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 1st version, 1402 AH-1982 AD.
- Ibn Abd Rabo, Ahmed Ibn Muhammad ibn Abd Rabu, Unique Pendant, Dar Al Kotob Al ilmiah, Beirut, 1st vol., 1st version.
- Ibn Rashik, Abu Ali al-Hassan Ibn Rashiq, Al-Omda in the Beauties of Poetry, its Literature and Criticism, investigated by Abdel Hamid Hindawi, Modern Library, Beirut, 1 vol., 1st version, 2001 AD.
- Ibn Asaker, Abu al-Qasim Ali ibn Al Hassan ibn Hebat Allah ibn Asaker, History of Damascus, investigated by Amro ibn Gharama Al-Amrawi, 37 vol., 1415 AH - 1995 AD.
- Ibn Qutaiba, Abu Muhammad Abdullah ibn Abdul Majeed ibn Muslim ibn Qutaiba, Poetry and Poets, Dar Al-Hadith, Cairo, 1423 AH.
- Abu Al-Faraj al-Asbhani, Ali Ibn Al-Husayn Al-Asbhani, A Collection of Songs, Egypt, Dar Al-Sha`b Edition, Edition of Dar Al-Kutub, (B-T), 11 vol.
- Ibn Katheer, Abu Al-Fida'a Ismail ibn Omar ibn Kathir, From the Beginning to the End, investigated of Abdullah ibn Abdul Mohsen Al-Turki, Dar Hajar, 12th Vol., 1st version, 1417 AH-1997 AD.
- Abu Hilal Al-Askari, Al-Hassan Ibn Abdullah Al-Askari, A collection of proverbs Jamharat, Investigated by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim and Abdul Majeed Qatamesh, Dar Al-Jeel, Beirut, 1st Vol., 1st version, 1408 AH - 1998 AD.
- Abu Hilal Al-Askari, Al-Hassan Ibn Abdullah Al-Askari, The Differences, Tanta, 1st version, 1408 AH.
- Dr: Ehsan Abbas, History of Arab Criticism, Beirut, 5th version, 1406 AH-1986AD.

- Al-Tabrizi, Abu Zakaria Yahya ibn Ali Al-Tabrizi, Explanation of the Ten Poems, Dar Al-Jeel, Beirut.
- Al-Jahiz, Abu Othman Amr ibn Bahr Al-Jahiz, Al-Bayan wa Al-Tabyin, Ibn Sina Library for Publishing and Distribution, Cairo, 2nd vol., 2010 AD.
- Al- Dhahabi, Imam Shams Al-Din Muhammad ibn Ahmed ibn Othman Al-Dhahabi, Siyar A 'lam Al-Nubala', investigated by Mamoun Al-Sagherji, Al-Risala Foundation, Beirut, 4th Vol., I 2nd version, 1402 AH, 1982AD.
- Al-Zuzni, Abu Abdullah Al-Hussein Ibn Ahmed Al-Zuzni, Explanation of the Seven Penda, investigated by Muhammad Mohiuddin Abdul Hamid, Dar Al-Talei for Publishing and Distribution, Cairo, 2009 AD.
- Al-Suyuti, Imam Jalaluddin ibn Abdul Rahman Al-Suyuti, History of the Caliphs (Tarikh al-Khalifa') [Al-ImâmJalâl al-Dîn al-Suyûtî], Dar Al-Minhaj for Publishing and Distribution, Beirut, 2nd version, 1434 AH, 2013.
- Dr. Shawqi Deif, Doctor, History of Arabic literature (Islamic era), Dar Al-Maarif, Cairo, 23rd version, 1963 AD.
- Dr. Shawky Deif, In Literature Criticism, Dar Al-Maaref, Cairo, 8th version.
- Al-Tabari, Imam Abu Ja`far Muhammad ibn Jarir al-Tabari, History of al-Tabari, investigated by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar Suwaidan, Beirut, 6th vol.
- Taha Ahmed Ibrahim, The History of Criticism in Arabic Literature from the Pre-Islamic Era to the Fourth Century AH, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 3rd version, 2008 AD.
- Abdel Aziz Atiq - History of Criticism in Arabic Literature, Dar Alnahda Alarabia, Beirut, 2010.
- Ali Muhammad Muhammad al-Salabi, The Succession of Abdul-Malik Ibn Marwan and his Role in the Islamic Conquests, The Modern Library, Beirut, 1st version, 2010 AD- 1431 AH.
- Prof. Maher Shaaban Abdel-Bari, Literary Appreciation Theory & Applying, Al-Mutanabi Library, Dammam, 1st version, 143 AH-2013AD.
- Al-Mubarrad, Abu al-Abbas Muhammad ibn Yazid Al-Mubarrad, A Comprehensive in Language and Literature, Knowledge Foundation, Beirut, 1st vol., without history.
- Muhammad Suhail Taqus, the History of the Umayyad Dynasty, Dar Al-Nafees, 7th version, 1438 AH, 2010 AD.

-
- Prof. Muhammad Salih Al-Shanti, Old Arabic Literature (eras, development, arts, and varied models), Dar Al-Andalus for Publishing and Distribution, Hail, version 1413 AH - 1992 AD.
 - Marzabani, Abu Abdullah Muhammad ibn Imran ibn Musa Al-Marzabani, Al-Muwashah in the Defects of Scholars on Poets, investigated by Hussein Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Alam, 141 AH - 1995 AD.
 - Al-Masoudi, Abu Al-Hassan Ali ibn Al-Hussein Ibn Ali Al-Masoudi, Meadows of Gold and Mines of Gems (Murūjad-Dahabwa-Ma'ādin Al-Jawhar), Dar Al Kotob Al ilmiyah, Beirut, 3rd vol., 3rd version, 1433 AH - 2012 AD.
 - Mustafa Sadiq Al-Rafei - History of Arab Literature, Dar AlKitab Al Arabi, Beirut, 3rd vol., 6th version, 1422 AH - 2001 AD.

التكثيف الشعري في قصيدة (العراق)،
لعدنان الصائغ – دراسة أسلوبية

**A Stylestec Study: Poetic Condensation
In the Poem (Iraq)
By Adnan Al-Sayegh**

د. دوش بنت فلاح الدوسري

أستاذ الأدب والنقد المشارك – قسم اللغة العربية – كلية الآداب
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن – الرياض

Dr. Doosh Falah Aldosary

Associate Professor of literature and criticism - Dept. of Arabic language
Princess Nora Bint Abdul Rahman University - Riyadh

<https://doi.org/10.47798/awuj.2023.i67.05>

تاريخ تسلم البحث 2020/12/09 - وصدر خطاب القبول 2021/03/25



Abstract

This study clarifies and analyzes the condensation phenomenon Adnan Al-sayegh used in his poem (Iraq) as poetic condensation is a critical issue that deserves studying. This study examines the condensation concept linguistically and idiomatically and clarifies its concept in the ancient and recent Arab criticism. The study, also, illustrates condensation's technical styles and indications that are embedded in the poem in several places such as in title, imagery, and creative science and in the poem's rhythmic structure.

The study also examines how those styles were co-utilized to convey the deep meaning aesthetically through stylistic approach that suits the study's objectives about the aesthetics of condensation.

The results highlighted condensation in the Arabic critical heritage and its significance in communicating the meaning technically to enrich poetry with beauty and depth.

Keywords: Stylization, Condensation, Title, Rhythm, Imagery, Creative Silence.

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى استجلاء ظاهرة التكثيف في قصيدة (العراق) للشاعر العراقي عدنان الصائغ، بوصفه مصطلحاً يُشكل مشكلة نقدية جديدة بالبحث.

وذلك وفق خطة تهتم بالكشف عن مفهوم مصطلح التكثيف لغة واصطلاحاً، وتلمس مفهومه في النقد العربي القديم، والحديث.

ودراسة أساليبه الفنية ودلالاتها التي تجسدت في النص: في العنوان، والصورة بثتى أنواعها، وأسلوب الصمت الإبداعي، والبنية الإيقاعية.

ومدى تآزر هذه الأساليب من أجل إيصال المعنى للمتلقي بإيحائية جمالية مؤثرة، وبعث في الرؤية، باستخدام المنهج الأسلوبى الذي يناسب أهداف هذه الدراسة المعنية بجماليات التكثيف.

وقد خرج هذا البحث بنتائج مهمة، تبين حضور مصطلح التكثيف في التراث النقدي العربي، وأهمية التكثيف الشعري في الإيحاء بالمعنى، وتشكله في أساليب فنية تزيد الشعر جمالاً وعمقاً.

الكلمات المفتاحية: الأسلوبية، التكثيف، العنوان، الإيقاع، الصورة، الصمت الإبداعي.

مقدمة

للشعر خصوصيته، وملامحه المتميزة، وألقه، وتفردته الذي يجعله مميزاً عن النصوص العادية، ويصنع في روح متلقيه دهشة كبيرة. وللغة الشعر أهميتها في هذا، فهي تختلف عن اللغة العادية؛ بما لها من خصائص مختلفة متوهجة.

ومن أهم هذه السمات: سمة التكثيف الذي يجعل من كلمة واحدة في القصيدة، أو جملة، أو صورة، أو بيتاً شعرياً، أو قصيدة، ملأى بحمولات دلالية عديدة وعميقة لم تُقل صراحة، وبتفاصيل كثيرة، بل بتركيز وإيجاز ولماحية وإيحاء.

وتتفاوت النصوص الشعرية في حظها من هذه السمة، فتبدو النصوص المتوهجة في تكثيفها، كالغيمة التي تسكب أمطارها في لحظة، أو كالبرق الخاطف الذي ينبىء بما بعده. حيث تتكثف الرؤى والمعاني والدلالات في مساحات شعرية محدودة، بطريقة فيها من الإيحاء واللماحة الشيء الكثير.

ومن النصوص التي لفت انتباهي قصيدة (العراق)، لعدنان الصائغ؛ إذ رأيت فيها هذه الظاهرة بوضوح؛ حيث تجسّد التكثيف في أساليب فنية متعدّدة، حملت معها رؤى ومعاني بلا حدود، في نص قصير.

ومن هنا، كان البحث؛ وكانت أهميته التي تتمثل فيما يلي:

- ١- إضاءة مفهوم (التكثيف) في الشعر، الذي لم يُعط حقه في الدرس النقدي.
- ٢- تطبيق مفهوم التكثيف على نصّ توفرت فيه مقوماته.
- ٣- تحليل الأساليب التي تجسّد فيها هذا التكثيف؛ من خلال النص.
- ٤- بيان قيمة التكثيف رؤيةً وفناً.

منهج البحث:

رأيت أن أستخدم المنهج الأسلوبية، في دراسة هذا النص؛ كون هذا المنهج معنياً بجماليات النص؛ فالأسلوبية «تدرس الظاهرة الأدبية ومميزاتها اللغوية ومقوماتها الجمالية»^(١).

وسوف أعطي للمتلقي مساحة من الاهتمام، وفقاً لبعض اتجاهات الأسلوبية التي تهتم بالمتلقي، بوصفه «الذي يميز بين الخواص الأسلوبية، ويدركها، عن طريق ما تحدثه من أثر»^(٢). وفق هذه المساحة فقط، غير متجاوزة إلى مناهج أخرى اهتمت بالمتلقي.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة خاصة بقصيدة العراق لعبدان الصائغ من جهة أسلوب التكثيف الشعري. ولكن هناك بعض الأبحاث والمقالات التي تناولت موضوع التكثيف الشعري على نصوص أخرى لأدباء آخرين، منها:

- ١- بحث: التكثيف في الشعر العباسي، شيماء نجم عبد الله^(٣).
- ٢- مقالة: أنظمة التكثيف في النص الشعري - محمد صالح وصيد الفراشات لعبد الله السمطي^(٤).
- ٣- مقالة: وأكتفي بالسحاب - شعرية التكثيف والإدهاش، عماد الدين موسى^(٥).

- ١- صالح رمضان، الخطاب الأدبي وتحديات المنهج، نادي أبها الأدبي، أبها، ٢٠١٠م، ص ٢٥٧.
- ٢- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٠٨.
- ٣- انظر: شيماء نجم، التكثيف في الشعر العباسي، مجلة كلية التربية للبنات، العراق، العدد (٤)، ٢٠١٢م.
- ٤- انظر: عبد الله السمطي، أنظمة التكثيف في النص الشعري، (محمد صالح وصيد الفراشات)، مجلة نزوى، عُمان، ١٩٩٩م.
- ٥- انظر: عماد الدين موسى، وأكتفي بالسحاب (شعرية التكثيف والإدهاش)، مجلة جيرون، سوريا، ٢٠١٨م.

وهذه الدراسات تشترك مع موضوع بحثي في الموضوع العام فقط، وتختلف في التفاصيل الأخرى (مدونة البحث، المباحث الداخلية، والعناوين الجزئية، وآلية التحليل).

كما أن أغلبها مقالات قصيرة، لا تفي بالتحليل النقدي المعمق، وهذا ما أحاوله في هذا البحث بإذن الله.

تمهيد

أ- التعريف بالشاعر:

عدنان فاضل الصائغ، شاعر عراقي، وُلد عام ١٩٥٥ م في الكوفة، وقد غادر العراق عام ١٩٩٣ م، ثم انتقل إلى بيروت عام ١٩٩٦ م، حتى استقرَّ في السويد. اشترك في الكثير من المهرجانات الشعرية العربية والأوروبية، وترجمت بعض نصوصه إلى لغات متعددة؛ وقد حصل على بعض الجوائز، مثل جائزة (مهرجان الشعر العالمي) في روتردام عام ١٩٩٧ م.

وله الكثير من الدواوين الشعرية؛ جمعت في الأعمال الكاملة؛ منها: تأبط منفى، تكوينات، تحت سماء غربية، مرايا لشعرها الطويل، العصافير لا تحب الرصاص... وغيرها^(١).

ب- مفهوم (التكثيف):

١- التكثيف لغةً:

لابن فارس تعريف لغوي جميل ودقيق ولمَّاح لهذه المادة، حيث يقول:

١- انظر: عدنان الصائغ، الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤ م، ص ٧٣٣ - ٧٣٥، هيئة المعجم، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين، ١٩٩٥ م، (٣/ ٤٧٤).

«الكاف والشاء والفاء أصل صحيح يدل على تراكب شيء على شيء، وتجمع، يقال: هذا شيء كثيف، وسحاب كثيف، وشجر كثيف»^(١).

وقد ورد في معاجم اللغة الأخرى اللاحقة؛ ما يؤازر هذا المعنى، وإن لم يأت بالرهافة اللغوية ذاتها:

الكثافة: الكثرة والالتفاف، والكثيف: الكثير المتراكب، الملتف من كل شيء، والكثيف اسم كثرته يوصف به الماء والسحاب، وكثفه: جعله كثيفاً^(٢).

إن وجه الرهافة اللغوية، هو ذلك الربط بين القصيدة والسحابة، فحين تُوصف السحابة بأنها كثيفة؛ فإن هذا إلماح لما تحمله من مطر غزير وهي سحابة وحيدة، وحين تتسم القصيدة بالكثافة؛ تغدو كالسحابة، تحمل مطر المعنى والرؤى التي لا تُحد في كلمات وجمل محدودة.

ولنلاحظ معاني مثل: تراكب الشيء على الشيء، والتجمع، والكثرة، والالتفاف، كل هذا نقبض عليه في القصيدة المكثفة، حيث تتراكب الرؤى، وتتجمع الدلالات، وتكثر المعاني، وتلتف في بناء القصيدة الواحدة؛ وعبر أساليب فنية مختلفة.

٢- مصطلح (التكثيف):

٢-١ في التراث النقدي:

لم يرد هذا المصطلح بلفظه في كتب التراث النقدي، لكن هذه الكتب حفلت بمفاهيم قريبة من التكثيف.

١- انظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، (ك ث ف)، ١٩٨١م، (١٦١/٥).

٢- انظر: محمد بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د. ت)، (ك ث ف)، (٢٩٦/٩). الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م، (ك ث ف)، ص ٨٤٨.

ومنها: الإيجاز، الذي وَجَدَ مساحاتٍ واسعة من الاهتمام، فأبو هلال العسكري، ينقل بعض المقولات الدالة على قيمة الإيجاز، إلى حَدِّ قَرْنِهِ بالبلاغة «وقد قيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز قيل: وما الإيجاز؟ قال: حذف الفضول وتقريب البعيد»^(١).

وتحدّث (ابن رشيق) أيضاً عن الإيجاز وقيّمته؛ حيث يقول: «وسئل بعض البلغاء: ما البلاغة؟ فقال: قليلٌ يُفهم، وكثير لا يُسأم. وقال آخر: البلاغة: إجماع اللفظ، وإشباع المعنى، وسئل آخر، فقال: معانٍ كثيرة في ألفاظ قليلة»^(٢).

ورغم أن مصطلح (التكثيف) أكثر عمقاً وشمولية من (الإيجاز)؛ فإن ما ورد من إيضاح لمفهوم الإيجاز وقيّمته مؤشّر قوي على وجود إدراك واع لأهميته في الكلام، والإبداع خاصّة: (حذف الفضول، إجماع اللفظ، وإشباع المعنى...) كلها عبارات ذكية لمّاحة مكثفة (أيضاً)، فالتكثيف يحمل هذه الدلالات - ضمن ما يحمل - ففضول الكلام محذوف، والألفاظ جائعة، والرؤى مكتنزة.

إلا أن هناك مصطلحاً شاع في كتب التراث النقدي أراه أقرب إلى طبيعة (التكثيف)؛ وهو مصطلح (الإشارة). ويُعرّفه (أبو هلال العسكري) بقوله: «الإشارة: أن يكون اللفظ القليل مُشارّاً به إلى معانٍ كثيرة، بإيماء إليها، ولمحة تدل عليها»^(٣).

ويقول (ابن رشيق) عن الإشارة بأنها من غرائب الشعر، وأنه «ليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز، والحاذق الماهر، وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة،

١- الحسن العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: علي البجاوي ومحمد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٧٣.

٢- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م، (١ / ٢٤٢).

٣- الحسن العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٣٤٨.

واختصار وتلويح يعرف مجملًا، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه»^(١).

إن مصطلح (الإشارة)؛ لهو الأقرب إلى (التكثيف) دلالة وعمقًا وقيمة؛ ففيه إيجاز، وتلميح، وإيحاء، وإيماء، ولا يجيد هذا سوى الشاعر المبدع؛ كما أشار (ابن رشيق): ولنلاحظ أنه قصر الإشارة على الشعر، بخلاف (أبو هلال العسكري)، الذي وصف بها نماذج شعرية ونثرية.

٢-٢ مصطلح (التكثيف) في النقد الحديث:

لم أجد لهذا المصطلح في الدراسات المعنية بالشعر كبير اهتمام؛ للأسف؛ ولكنه شائع في الدراسات التي تهتم بـ(قصيدة النثر)، و(القصة القصيرة جدًا).

ولذلك كانت مراجعي فيه من هذه الدراسات أكثر، ومن المهم - في هذا السياق - إدراك أن هذا المصطلح أت من الشعر في أصوله؛ بالنظر إلى أن (قصيدة النثر، والقصة القصيرة جدًا)، تستمدان من الشعر الكثير من التقنيات، ومنها سمة (التكثيف).

حيث إن «لغة الشعر شديدة التكثيف والإيجاز، تنضغط فيها مدلولات الجمل الطويلة والعبارات الفضفاضة الواسعة في عبارة موجزة قصيرة، تحمل مدلولاً عميقاً ثراً»^(٢).

واشترطت (سوزان برنار) للتكثيف في النص تلافياً للاستطرادات، والتفصيلات التفسيرية الأخرى، وكل ما قد يضر بوحدة وكثافة النص، ليكون تركيباً مضيئاً^(٣).

١- ابن رشيق القيرواني، العمدة، (١/ ٣٠٢).

٢- محمد حُور، وآخرون، في الأدب والنقد واللغة، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٦م، ص ٢٨٢.

٣- انظر: سوزان برنار، قصيدة النثر، ترجمة: زهير مغامس، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٩.

إن هذا (التركيب المضيء) الذي تصف به سوزان برنار (قصيدة النثر)؛ حين تتسم بالتكثيف، هو سمة للنص الشعري المكثف أيضاً، حيث يتوفر على وصفه بالبرق الخاطف الذي ينبئ بما بعده، وهذه الإضاءة الخاطفة، واللمحة، هي سمة شعرية بلا شك.

ومن المهم أن ندرك أن مصطلح التكثيف، لا ينحصر فقط في الإيجاز اللغوي، وإن انطلق منه، فهو «يحمل دلالة لا تتوفر في الاقتصاد اللغوي الذي يحيل إلى حقل اللغة، في حين أن التكثيف يمتد ويستطيل»^(١).

فالتكثيف إذاً ليس اقتصاداً لغوياً، بل إن التكثيف هو الطين الذي يمكس مداميك البناء»^(٢). ما يدل على إسهام كل عناصر بناء النص في هذا التكثيف.

فإن التكثيف يفترض بحضوره عدداً من العناصر والتقنيات على مستوى اللغة: في التركيب والمفردة والجملة، والاستفادة من الضمائر، ومن الرموز، ومن الأنسنة، ومن الصورة، والروابط... وغيرها^(٣). فالتكثيف «دعوة لاستثمار كل شيء بطاقاته المختلفة، وهو مجلى العناصر ومرآتها التي تزيدها خصباً وبعداً»^(٤).

وكما وصفت سوزان برنار قصيدة النثر بأنها الموجزة «المكتوبة بأكبر اقتصاد في الوسائل»^(٥). كذلك نقول عن النص الشعري المكثف، هو الذي يكتب باستثمار كل الوسائل والعناصر والأدوات والتقنيات التي تُسهم في هذا التكثيف، حيث توحى بالكثير من الدلالات، والإيحاءات، بدون كلام كثير، وبدون تفاصيل مملة، كالكلمة المشعة، والتركيب الدال، والحذف، والصورة الموحية، والرموز... وغيرها.

١- أحمد الحسين، القصة القصيرة جداً، دار التكوين، دمشق، ٢٠١٠م، ص ٥١.

٢- المرجع نفسه، ص ٥٣.

٣- انظر: المرجع نفسه، ص ٥٢ - ٥٣.

٤- انظر: المرجع نفسه، ص ٥٣.

٥- سوزان برنار، قصيدة النثر، ص ١٩.

إن سمة (الإيحاء) هي سمة شعرية، حيث «إن وظيفة النثر هي المطابقة، ووظيفة الشعر هي الإيحاء»^(١). وحين تكون وظيفة النثر المطابقة؛ فإن مهمته قول الحقيقة، والاستدراج إلى التفاصيل الكثيرة، والتحليل المنطقي. في حين أن الشعر يوحى ويومئ، ويشير، دون إفصاح، ودون تفاصيل، ودون إسهاب.

وبما أن المضمون الشعري يُقدّم في النص الشعري الحديث بطريقة إيحائية «فإن القصيدة الحديثة لا تحمل معنى واحداً متفقاً عليه»^(٢).

حيث إن امتلاء نص واحد، أو بيت واحد، أو جملة، أو كلمة في النص، بدلالات عديدة؛ هو نوع من التكتيف.

فالصورة المدهشة المصوغة في جملة واحدة مقتضبة، نقف أمامها مندهشين مفسرين، تلتقي آراؤنا أو تختلف، ولكنها تتعدّد بتعدّد توجهاتنا في التلقي، هذه الرؤى المتعددة التي أوحى بها الصورة، هي تكتيف أيضاً.

وذلك الصوت الموسيقي الذي يهزنا في حرف الروى مثلاً؛ نهاية كل بيت، ويوحى بما يوازي دلالاته التي تتداعى واحدة تلو الأخرى؛ لهو تكتيف أيضاً.

فالتكتيف يجعل من القصيدة؛ تلك الغيمة المكتنزة بالمطر، تبدو قصيرة، محدودة، إلا أنها مملأى بتقنيات خصبة، تظن رؤى وأفكاراً ومعاني؛ بلا حدود.

التكتيف يعني تلك الكثرة والوفرة التي تميز نتاج القصيدة؛ إلا أنها في صورة البرق الخاطف، والضوء المشع المتوهج.

التكتيف إذًا: أن تقدّم القصيدة كل وهجها من معنى ورؤى، في شعرية أخذة، وإيحائية مدهشة، دون تفاصيل أو إسهاب، في كلمات محدودة، معتمدة

١- جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٦م، ص ١٩٦.

٢- علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٣٥.

على أساليب وأدوات وتقنيات متعددة، بطريقة شعرية مكثفة.
وبعد توضيح مفهوم (التكثيف) أنتقل إلى المقاربة النقدية؛ حيث التحليل
الجمالي والدلالي لأساليب التكثيف الشعري في القصيدة.

العراق

العراقُ الذي يبتعدُ

كلما اتسعت في المنافي خطاهُ

والعراق الذي يتنَدُّ

كلما انفتحت نصف نافذة ..

قلتُ: آه

والعراق الذي يرتعدُ

كلما مرَّ ظلُّ

تخيلتُ فوهةً تترصدني،

أو متاهُ

والعراق الذي نفتقدُ

نصف تاريخه أغانٍ وكحلٍ ..

ونصف طغاةً^(١)

١ - التكثيف في العنوان/ (العراق):

علينا بدءاً أن نفهم فلسفة التكثيف الموجودة في العنوان أساساً؛ فهو يوصف
بأنه (النص الموازي). العنوان - إذاً - نص مواز للنص الأصلي، ومن هنا كان
التكثيف، حيث يتشكل لدينا نص (مواز) من كلمة أو جملة أو عبارة قصيرة، إذ

١ - عدنان الصائغ، الأعمال الشعرية، ص ١٥.

تتجمع الرؤى والدلالات في مساحة مضغوطة جداً. فالعنوان «مرجع يتضمّن بداخله العلامة والرمز، وتكثيف المعنى»^(١).

ثم إذا انتقلنا إلى العنوان (العراق)؛ يتأكد هذا التكثيف حضوراً وقيمة؛ حيث حُصر (العراق) في كلمة واحدة مفردة، العراق هذا الكيان الكبير العظيم تاريخياً وجغرافياً وثقافياً، يتداعى بذكر اسمه الكثير من المعاني العظيمة، والتفاصيل الكبيرة والصغيرة، التي تحفز المتلقي على إنتاج المعاني - بوصفه العتبة الأولى للنص - حيث التفكير والتحليل والتوقع، ومن ثم غنى المضمون الشعري، وهنا قيمة التكثيف؛ انهمار كل هذه المعاني والرؤى من كلمة واحدة (العراق).

فالتكثيف الشعري أتى بدءاً من هذا العنوان الذي يقف بعيداً ووحيداً، دون تركيب يسنده، ودون تصوير يقربه، ومع هذا فهو مكتنز بكل تلك الدلالات، محفزاً المتلقي على اقتحام النص للقبض عليها.

ومن هنا ننطلق إلى متابعة الحوار بين العنوان والنص؛ فالعنوان (العراق) يحيل إلى مضمون النص؛ فإن العنوان يعين «مضمون المؤلف، باعتباره نواة ومركزاً لمجموع الأفكار وعليه؛ فالعنوان مرآة مصغرة لكل ذلك النسيج النصي، تعكس الأفكار والخلجات المتخلقة»^(٢).

وبلغة أخرى؛ يبدو العنوان كأنه المبتدأ، وما في النص كله هو الخبر «وغالبًا ما قام عنوان الخطاب بهذه الوظيفة، إنه يمثل المسند إليه، أو الموضوع العام، وتكون كل الأفكار الواردة في الخطاب مسندات له، إنه الكل الذي تكوّن هذه الأفكار أجزاءه»^(٣).

١- شعيب حليفي، هوية العلامات (في العتبات وبناء التأويل)، دار محاكاة، دمشق، ٢٠١٣م، ص ١٤.

٢- المرجع السابق، ص ١٦.

٣- جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ص ١٦١.

ولكن الإشكالية في متابعة هذا الحوار، تأتي من المفارقة بين العنوان (العراق) بإفراديته وعموميته، وهذا النص القصير. كيف لعنوان مثل هذا أن يتجلى في نص قصير! وهذا بحد ذاته مفارقة، فقد درج الشعر التقليدي على أن يحيط الأوطان بنصوص طويلة ضخمة.

وكل هذا انزياح عن المؤلف، وإسهام في التكثيف، عنوان مكثف لنص مكثف، سيأخذ بالقارئ بعيداً في غيمات التأويل وبروق المعاني. ليتحفز القارئ للدخول في النص؛ مفتشاً عن (العراق) بسعته وأبعاده وألقه وعمقه في هذا النص القصير.

٢- التكثيف في الصورة:

يمكن تعريف الصورة بأنها الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية مستخدماً طاقات اللغة في الدلالة والتركيب والحقيقة والمجاز والتضاد وغيرها من الوسائل^(١)، بكل ما في هذا التعريف من اكتناز الصورة بالرؤية والأدوات الفنية، مسهمة في التعبير المكثف في الشعر.

وتشكل الصورة أساساً متيناً في القصيدة؛ لا يمكن أن تستغني عنها؛ ورغم كل حركات التجديد؛ فإن الصورة «هي الشيء الثابت في الشعر كله، وكل قصيدة إنما هي في ذاتها صورة»^(٢)؛ لأنها وجه الاختلاف الكبير بين الشعر والفنون الأخرى، هي عالم الشاعر الجميل والممتع، الذي يحمل دهشة المعنى، ورهافة الرؤية.

١- انظر: عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١، ص ٣٩٢.

٢- ميدلتون موري وآخرون، اللغة الفنية، ترجمة: محمد حسن عبد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٤٥.

إنَّ الصورة في حدِّ ذاتها تقنية مكثفة، فهي توحى بالرؤى من خلال أساليب تشكيلها، ولا تقولها بتفاصيلها.

ولذلك جعل التراث النقدي الصورة ضمن مفهوم (الإشارة) الذي تطرقتُ إليه سابقاً، حين عدَّ وسائل الصورة، كالتشبيه والكنية؛ من أنواع الإشارات^(١).

وقد استثمر الشاعر الحديث الصورة؛ بوصفها وسيلة إيحاء ثرية؛ فهي «ثري اللغة وتوسع طاقاتها، وتكسبها دلالات جديدة؛ تجعلها أقدر على التعبير، وعلى الإثارة والإيحاء»^(٢).

وفضلاً عن الإيحاء؛ فإن تركيب الصورة في حدِّ ذاته، يحمل ملامح تكثيفها؛ فتشكيل الصورة «ينبذ الزوائد والاستطالات في العلائق الحسية للصورة؛ حتى لا تقع حائلاً دون النفاذ إلى التركيب الحقيقي للانفعال، أو تقطيع خيوط الإيحاء المركزية للصورة؛ لئلا يضيع الجوهرى، وسط ما هو طارئ»^(٣).

وهذه القصيدة التي بين أيدينا، مُترعة بالصور الموحية، التي تحمل بين طياتها المزيد من المعاني والرؤى في تشكيل شعري مختلف، لا ينتهي أمام حدِّ أو مدى؛ فإن «الصور أشياء مراوغة، تستعصي على التحديد الجافي»^(٤).

ونستطيع تصنيف الصور في النص؛ وفق الأبعاد التالية:

١-٢ صورة المكان/إيقاع المسافات:

في هذه الصورة التي تشكل مطلع النص مجسدة المكان: العراق والمنافي والمسافات بينهما:

- ١- انظر: ابن رشيق، العمدة، (١/ ٣٠٣ - ٣٠٥).
- ٢- محمد حور وآخرون، في الأدب والنقد واللغة، ص ٢٨٧.
- ٣- بشرى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ص ١٧٠.
- ٤- ميدلتون موري وآخرون، اللغة الفنية، ص ٦٥.

العراق الذي يتعدُّ كلما اتسعت في المنافي خطاهُ

يحمل هذا المطلع مفاجأة وصدمة، على صعيد النظرة الشعرية التقليدية، فمن المعتاد أن يكون مطلع القصائد المعنونة باسم الوطن، جيَّاشاً بالحب، حماسياً، مليئاً بالعاطفة الوطنية، ولكنه هنا حمل معنى البعد مباشرة (العراق الذي يتعد).

وإذا تعمقنا في الشطر الثاني (كلما اتسعت في المنافي خطاه)، تبين لنا معنى (العراق) الذي يتعد، انطلاقاً من ضمير الغائب في (خطاه)؛ إن العراق (الوطن، وأبناء الوطن)، تشكلا في كلمة واحدة (العراق)؛ دلالة على الاتحاد والتماهي الكامل؛ فإذا ابتعد العراقيون عن وطنهم وتشتتوا في المنافي، ابتعد العراق. وهو إشارة أخرى إلى أن العراقيين يحملون هذا الوطن في أرواحهم؛ مهما شتتتهم المنافي.

ففي المعنى حب وشغف بالوطن؛ تشكل في صورة أخرى، وهو حبٌ يحمل داخله معنى عتب خفي، وفيه إفضاء وشكوى. حيث تثير فينا هذه الصورة حاسة البصر، فنرى حشود العراقيين في المنافي، وتثير فينا حاسة السمع؛ فنسمع صوت خطاهم.

وتبرز لنا صورة (المنافي)، هكذا بصيغة الجمع، لتسهم في التكثيف أيضاً. فالعراق يتعد ويغيب كلما اتسعت خطى أبنائه في المنافي، هنا حيث إيقاع المسافات الممتدة الواسعة بين العراق وأبنائه.

إن هذه الصورة تحمل حديث الذاكرة، ذاكرة الشاعر؛ إذ كتب النص في منفاه؛ ومن ثم تحمل ذاكرة العراقيين وذاكرة العراق، مجملة في صورة مكثفة.

فإن الصورة «موضوع ينتمي إلى علم النفس؛ كما ينتمي للدراسة الأدبية، ففي علم النفس تعني كلمة (صورة Image)، الاسترجاع الذهني (mental)

(reproduction)، تذكر خبرة حسية أو إدراكية ماضية»^(١).

وقد حمل هذا المطلع شحنة انفعالية مؤثرة، بإضاءة تجربة المنافي التي خاضها كثير من العراقيين، وهذه الشحنة العاطفية، تجسد (الوظيفة الانفعالية) في النص؛ حيث «تهدف الوظيفة المسماة (تعبيرية) أو (انفعالية) المركزة على المرسل إلى أن تعبر بصفة مباشرة عن موقف المتكلم، تجاه ما يتحدث عنه»^(٢).

إذا؛ فنحن إزاء رؤى عميقة ومتعددة: الكشف عن إيقاع المسافات، أماكن المنافي والشتات، حديث الذاكرة، المفاجأة والإدهاش في الدلالة، الحشد العاطفي... كل هذا حملته صورة واحدة؛ اتكأت على جملة واحدة (العراق الذي يبتعد.. كلما اتسعت في المنافي خطاه).

هذه الصورة - إذا - هي الغيمة الثانية في النص، التي تحمل داخلها المطر، مطر الرؤى، والدلالات، والإيحاءات التي لا تنتهي.

٢-٢ صورة الخوف:

والعراق الذي يرتعدُ
كلما مرَّ ظلُّ
تخيلتُ فوهةً تترصدني،
أو متاهُ

تجسّد الصورة جانبًا من عذابات الإنسان في العراق، تتجسّد في انغماسه في الحروب والمعارك؛ حتى تعمقت في (لا شعوره)، فصار يتخيّل فوهة المدافع، لمجرد مرور ظلّ بجانبه، أو يعود لتخيل متاهات الحروب والنفي والتشرّد.

١- رنيه وليك وأوستن وآرن، نظرية الأدب، ترجمة: عادل سلامة، دار المريح، الرياض، ١٩٩٢م، ص ٢٥٤.

٢- رومان ياكيسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٨م، ص ٢٨.

ولتأمل المفردات داخل تركيب الصورة، ومدى إشعاعها: كلمة (يرتعد)، وهي تفيد النفضة من الفزع، والارتعاد، والاضطراب، والارتجاف من الخوف^(١). ولنلاحظ التعبير بـ(ظل)، الذي يستدعي إلى ذاكرتنا العبارة المتداولة (يخاف من ظله)؛ تعبيراً عن مدى الخوف والفزع والضعف.

وكلمة (ترصدني) التي تفيد معنى المراقبة^(٢) بكل ما فيها من تعمق في تصوير ما آل إليه الإنسان العراقي نتيجة معاناة الحروب، لترتسم صورة الإنسان المذعور الذي يشعر بفوهات الأسلحة تترصده.

إن هذه الكلمات عناصر مُهمّة داخل الصورة، وقد أسهمت في تجسيد المشهد بكل دقة، لتتخيل الإنسان العراقي تحت وطأة الوجد:

الظل / الفزع، الرعدة / الاضطراب، التردد / الارتباب، فوهة المدفع / اللاشعور، وهنا قيمة هذه الصورة في تعمقها داخل روح الإنسان العراقي الذي يحمل إرثاً من التجارب القاسية، فهذا الانسلاخ داخل أعماق الروح الإنسانية هو عمق وقيمة أخرى للصورة؛ إذ «توصل إلى خيالنا شيئاً هو أكثر من مجرد الانعكاس الدقيق للواقع الخارجي»^(٣).

ومن ثم، فإن هذه الصورة تستثير الحس الإنساني أكثر مما عداها؛ وهذا ما يؤكد أهمية استخدام «التصوير لتحريك العاطفة»^(٤).

١- انظر: ابن منظور، لسان العرب، (ر ع د)، (٣ / ١٧٩).

٢- انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (ر ص د)، ص ٢٨٢.

٣- ميدلتون موري وآخرون، اللغة الفنية، ص ٤٦.

٤- المرجع نفسه، ص ٨١.

٣-٢ صورة الزمان/إيقاع القرون:

بدأ النص بصورة المكان؛ ليُختَم بصورة الزمان، وكأن الشاعر أراد أن يحيط
نصّه ببعدي الحياة العميقين:

والعراق الذي نفتقدُ
نصف تاريخه أغانٍ وكحلٍ..
ونصف طغاةً

هكذا في صورة واحدة، في جملة واحدة، في لحظة واحدة، يجمل تاريخ
العراق على مرّ القرون، فنصف تاريخه الأجمَل في (الأغاني والكحل)، في
صورة رمزية تشير إلى الإبداع والشعر والحضارة والجمال، وكل ما يعني الحياة،
وما يلهم بالحياة.

ونصف تاريخ العراق الأسوأ في هذا الظلم الذي تجرعه العراقيون كثيراً؛
في هذا التاريخ المأساوي الذي عرفه العراق، في الحروب، والثورات، وعدم
الاستقرار... ما ألجأ العراقيين إلى المنافي.

وعلينا ألا نستغرب من هذه الصور المترعة بالألم؛ فقد تجاوز الطغيان في
العراق، في كثير من فترات الزمنية العراق نفسه؛ إلى جيرانه؛ كما نعرف في
التاريخ.

إنَّ مكوّنات هذه الصورة؛ قامت بدور كبير في الإيحاء، ومنها هذان
الرمزان: أغانٍ، وكحلٍ، اللذان يرمزان إلى حضارة العراق، ومعالم الحياة فيها؛
من إبداعٍ وشعر، وموسيقى، وجمال.

فالعراق أرض الحضارات؛ حيث قامت فيه الحضارات البابلية والآشورية^(١). فضلاً عن ازدهاره في أثناء الحكم العربي والإسلامي، وخصوصاً العباسي.

والعراق أرض (الأغنيات) أرض الشعر والأدب؛ فقد ظهرت فيه ملحمة (جلجامش) البابلية التي تعود إلى عام (٢٠٠٠ ق. م)^(٢).

ومن المعروف عن العراق في العصور العربية كثرة الشعر والشعراء، فقد كان البيئة الأولى للشعر والشعراء^(٣).

وقد عُرفت العراق بالأغاني والموسيقى بمفهومها الصريح، حيث كان «لآلات الموسيقى في بلاد ما بين النهرين تاريخ عريق، وأصل يرجع إلى آلاف السنين»^(٤). ومن المعروف أيضاً شهرة الغناء في العراق في العصر العباسي، وبروز بعض المغنين؛ كإسحاق الموصلي؛ وغيرهم^(٥).

وخلاصة الأمر «أن المجتمع في بلاد الرافدين، كان ولا يزال، حياً قلبه، نابضاً بالحياة، وصاحب ذوق فريد، اتخذ من الموسيقى والغناء والأناشيد أساساً للتعبير عن مشاعره بصورة مباشرة»^(٦).

-
- ١- انظر: عبد الرزاق الحسيني، العراق قديماً وحديثاً، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٨م، ص ١٢ - ١٤.
 - ٢- انظر: ليليان هيرلاندر وآخرون، دليل القارئ إلى الأدب العالمي، ترجمة: محمد الجورا، دار الحقائق، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٤٢٩.
 - ٣- انظر: شوقي ضيف، التطور والتجديد في العصر الأموي، دار المعارف، القاهرة، ٧، (د. ت)، ص ٤٢.
 - ٤- شيماة البلداوي، وحسن محمد، الموسيقى والطرب في العراق القديم، مجلة مركز دراسات الكوفة، الكوفة، العدد (٤٦)، ٢٠١٧م، ص ٩٧.
 - ٥- انظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ٩، (د. ت)، ص ٥٩.
 - ٦- شيماة البلداوي، وحسن محمد، الموسيقى والطرب في العراق القديم، ص ١١٤.

وكلمة (الكحل) هي رمز آخر لأحد مكوّنات العراق (المرأة)، التي عُرفت بمكاتها وفضلها؛ وفضلاً عن ذلك؛ فثمة إشارة إلى معاني الجمال والحب والحياة والغزل. فقد كان للعراق نصيبه الكبير من شعر الحب والغزل، على مدى التاريخ^(١).

وفي ذكر كلمة (الكحل)، تداع لكلمة (العيون) التي تغنى بها الشعراء، وشهدت العراق بأماكنها، على هذا الجمال، كقول (علي بن الجهم):

عيونُ المها بين الرُّصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولأدري^(٢)

وهكذا نرى هذين الرمزین (أغان، كحل)، أسهما في بناء الصورة، وتكریس دلالاتها، وهما رمزان جزئيان، فالرمز الجزئي «يوشي ببعد واحد من أبعاد الرؤية الشعرية المتعددة، ويتآزر مع بقية الأدوات الأخرى في القصيدة»^(٣).

ونشهد في هذه الصورة مفارقة، بين نصف تاريخ العراق الأجل، حيث الحياة والجمال، ونصفه الأسوأ التعيس.

فقد اتكأت الصورة على (المفارقة التصويرية)، وهي «تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر؛ لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين؛ بينهما نوع من التناقض»^(٤).

فإن الصورة الحديثة لم تعد «تشكل من علم البيان والبديع فقط، بل أصبحت تحتوي على بعث الفوارق والمتناقضات...»^(٥).

وهكذا نرى مدى سخاء هذه الصورة؛ واكتنازها بالدلالات، فقد حملت

١- انظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٣٧٥، ٤٤٨.

٢- علي بن الجهم، ديوان علي بن الجهم، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، (د. ت)، ص ٢٥٢.

٣- علي زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص ١١٨.

٤- المرجع نفسه، ص ١٣٠.

٥- عبد الحميد جيه، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٣٦٤.

بكل مفرداتها ومكوّناتها تكثيفاً زمانياً عميقاً، ذهب بنا قرونًا قديمة في العراق، وصنعت مفارقة بين زمنين فيه، بين (الحياة والموت). فالصورة تعتمد «على تكثيف الزمن وخطفه وإمحاته»^(١).

وقد قدّم لنا الشاعر كل تلك الأحداث والأفكار والوقائع التي كانت في العراق؛ في إمحاة خاطفة، ولحظة قصيرة؛ بطريقة شعرية؛ لا يمكن أن يحملها غير الشعر «ففي الأدب لا نكون أبدًا بإزاء أحداث أو وقائع خام، وإنما بإزاء أحداث تقدم لنا على نحو معين»^(٢).

حيث تتجمع كل العناصر والمكوّنات في بناء مكثف خاطف مضغوط، لتتأزر كلها، وتقدم رؤية شعرية مكنزة بالدلالات؛ عن العراق عبر القرون؛ كيف كان، وكيف أصبح؟! كيف تناوبته قوى الحياة والموت، وقوى الجمال والقبح؟! في إمحاة خاطفة.

هذا هو قانون اللغة الشعرية المختلف عن اللغة العادية، حيث «يعتمد قانون اللغة العادية على التجربة الخارجية، في حين أن قانون اللغة الشعرية يقوم عكس ذلك على التجربة الباطنية. إنه يختصر المشابهات أو التعارضات الكيفية الثلاثية؛ كما تبرزها إحساساتنا»^(٣).

إن كل هذه الصور بألوانها، تجاوبت معًا، وانسجمت، وليست العلاقة بينها حرف العطف (الواو) فقط، إنما يجمع بينها هذه الوحدة الشعورية المشعة في أرجاء النص.

إذ عبّرتُ بصور جمعية عن العراق (وطناً وإنساناً)، واستثارتُ بعدي المكان

١- محمد عبيد، عضوية الأداة الشعرية، دار مجدلاوي، الأردن، ٢٠٠٧م، ص ٩٩.

٢- تزفيتان تودوروف، الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت، رجا بن سلامة، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٠م، ص ٥١.

٣- جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ص ٢٠٢.

والزمان، وأضاءت لحظات الضعف الإنساني؛ موحية بإيحاءات عميقة متناغمة، متماهية في إحداث تأثير وجداني عميق على المتلقين.

وهذا من طبيعة الصورة الشعرية، حيث تتجاوب أصدائها في كل مكان من القصيدة، فإذا تساندت أكسبها هذا الحيوية والخصب^(١).

٣- التكثيف بالصمت:

والمقصود بالصمت؛ الصمت الإبداعي، الناتج «عن اختيار وتعمد؛ فالصامت يختار السكوت والبياض، بديلاً من الصوت والحرف، وبذلك يرمي إلى مرامٍ قد يدركها من يتقبل هذا الصمت...»^(٢).

وهذا الصمت الإبداعي؛ يحمل إيحاءاته وحمولاته الدلالية؛ فهو «لا يُعدُّ نقيض الإبانة والتعبير، بل هو ذو طاقات بلاغية وإبلاغية تقوم ما للكلام من طاقات»^(٣).

ومن هذا الصمت: الحذف، الحذف الموحى، الذي يحمل معه تأويلاته، ويُسهّم في بناء الدلالة، وتكثيف النص.

وقد ذكر (ابن رشيق) الحذف ضمن أساليب الإشارة^(٤). تلك الأساليب المترعة بالدلالات، لكنها تشير لها، وتوحي بها.

١- انظر: عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار غريب، القاهرة، ط٤، (د.ت)، ص٩٢.
٢- محمد الشيباني، وآخرون، كتاب في الصمت، منشورات جامعة صفاقس، صفاقس، ٢٠٠٨م، ص١١٤ - ١١٥.
٣- المرجع نفسه، ص٨٣.
٤- انظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة، (١/ ٣١٠).

ويتمثل هذا الصمت هنا:

والعراق الذي يتندُّ
كلما انفتحت نصفُ نافذة ..
قلتُ: آه

ينفتح النص على صورة جديدة، تخفي أكثر مما تقول، تأتي تاليةً صورة تفرُّق العراقيين في المنافي؛ تصور حركة جديدة، تخترق هذه الرتابة؛ حيث نشهد فتح نافذة، النوافذ التي توحى عادة بالأمل والإشراق والجدة والتغيير، والإطلالة على عوالم جديدة.

لكنَّ النوافذ لا تنفتح كلَّها، بل نافذة واحدة فقط، وهذه النافذة لا تنفتح كاملة، بل نصفها فقط، ولنلاحظ علامات الحذف بعدها (كلما انفتحت نصف نافذة...)، ثم يأتي الجواب: قلتُ آه.

لتنفتح التأويلات عند المتلقي؛ ما الذي رآه الشاعر من نصف النافذة المفتوح؛ ليعلن هذه الآهة العميقة؟! ليرحل المتلقي مع خياله: رأى الشاعر المآسي، والمنافي، والحروب، والضياع، والتشرد، والفقر والجهل، في وطن كان عظيمًا. ويمكن أن نقرأ في هذا الحذف أيضًا صمت الضعف والقهر، حين لا يستطيع الإنسان تغيير واقع بالغ السوء.

هذه الإيحاءات المتعددة التي لا تنتهي، نتجت عن هذا الصمت الإبداعي؛ المتمثل في الحذف؛ فإن «الإيحاء الذي يهدف إليه بناء القصيدة الحديثة، يتطلب من الشاعر ألاَّ يُصرِّح بكل شيء؛ بل إنه يلجأ أحياناً إلى إسقاط بعض عناصر البناء اللغوي؛ مما يثري الإيحاء ويقويه من ناحية، وينشط خيال المتلقي من ناحية أخرى؛ لتأويل هذه الجوانب المضمرة»^(١).

١- علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص ٥٥.

إن غياب المرئي من خلال نصف النافذة المفتوح، قد أثبت حضوره، وكرّسه. فللغياب أحياناً في النص قيمة تفوق الحضور، إذ صار جزءاً جوهرياً في النص، وفي تكوين دلالاته وتأثيراته^(١).

إذاً؛ فهذا الصمتُ الإبداعي، حَمَلَ معه معاني ودلالات متعددة وعميقة، لم ينطق النص بتفاصيلها، بل أوحى بها الحذف، وهذا هو وجه التكثيف هنا.

٤ - التكثيف الإيقاعي:

من المهم أن ندرك بالأنا انفعال بين الشكل والمضمون في النص الإبداعي المتميز، فكل الأدوات والتقنيات التي تشكّلها؛ تحمل معها إحياءاتها، ودلالاتها.

ومن هذه الأدوات: الإيقاع؛ فلا يمكن أن نتعامل معه، بوصفه أداة خارج النص، بل هو جزء من نسيج النص.

والإيقاع - بشكل عام - هو «تتابع منتظم لمجموعة من العناصر»^(٢). «وهذه العناصر قد تكون أصواتاً، مثل دقات الساعة، وقد تكون حركات مثل نبضات القلب، وفي الفنون يتكوّن الإيقاع من حركات الرقص أو أصوات الموسيقى، أو ألفاظ الشعر»^(٣).

ومن المهم أن نتمييز بين هذين النوعين، فالنوع الثاني، ومنه موسيقى الشعر أكثر تركيباً، كما أن العلاقات فيه تتسامى عن الحسية الخالصة الموجودة في النوع الأول، فهي عقلية حسية لا تكفي الحواس لإدراكها؛ بل تحتاج إلى الفكر كذلك،

١- انظر: عبد الله الغدامي، القصيدة والنص المضاد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٤م، ص ٩٨.

٢- علي يونس، نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٣م، ص ١٧.

٣- المرجع نفسه، ص ١٧ - ١٨.

ولذلك؛ لا بد من توفر درجة من النضج العقلي والثقافي في متلقيها^(١).

والإيقاع - على وجه أكثر تحديداً - عندما نتحدث عن الشعر هو «تأليف بين مجموعة من العناصر، يجمع بين النسق، والخروج على النسق، ويقيم بين هذه العناصر علاقة أو علاقات، فإذا خلت العناصر من النسق، ومن العلاقات، فهي كذلك خالية من الإيقاع»^(٢).

إذن؛ فنحن أمام نوعين من الإيقاع في القصيدة:

الموسيقى الخارجية: (الوزن والقافية).

الموسيقى الداخلية: وهي النغم الذي يجمع بين الألفاظ والصورة، كتردد بعض حروف الهمس، أو التكرار... وغيرها^(٣).

وكلا هذين النوعين يجمعان بين النسق والخروج عليه، وقيمان بين عناصرهما علاقات؛ كما سنرى لاحقاً.

وفي هذا المبحث، أحاول تحليل عنصر الإيقاع في النص، وكيف أسهم في هذا التكثيف، وكيف أسهم في بناء دلالات هذه القصيدة، تلك الغيمة المضغوطة التي تنهمر بالمعاني العميقة الواسعة.

١-٤ الموسيقى الخارجية (الوزن والقافية):

أ- القصيدة القصيرة (المقطوعة):

إن البناء الموسيقي الذي حلَّ فيه هذا النص، هو قصيدة قصيرة من بحر (المتدارك)، وجاء على الشعر الحر.

١- انظر: المرجع نفسه، ص ١٨.

٢- انظر: المرجع نفسه، ص ١٩.

٣- انظر: عبد الحميد جيه، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، ص ٣٥٢ - ٣٥٤.

ويتألف هذا النص من اثني عشر شطرًا، ولنلاحظ أن قصيدة التفعيلة؛ تعتمد على نظام الشطر الواحد؛ لا البيت، ومن ثم يكون حسابها بالأبيات أقل بكثير؛ يصل إلى أربعة أبيات فقط؛ وهذه وجهة تأويلية تقريبية فقط، تنقلنا إلى المفهوم التالي.

يبين (ابن رشيق) مفهوم القصيدة - عددًا - بقوله: «وقيل: إذا بلغت الأبيات سبعة؛ فهي قصيدة.. ومن الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ العشرة، وجاوزها، ولو بيت واحد»^(١).

ومن ثم، فنحن بحاجة إلى مصطلح رديف؛ لما جاء أقل من ذلك، وهذا نجدّه في (القصيدة القصيرة أو المقطوعة).

فالمقطوعة هي «قصيدة صغيرة، قليلة الأبيات دون سبعة أبيات، أو تسعة أبيات»^(٢).

إذًا؛ فنحن إزاء بناء موسيقي محدود يتشكل من قصيدة قصيرة، أو مقطوعة. وهذه القصيدة القصيرة هي أول الأدوات الإيقاعية التي أسهمت في هذا التكثيف.

كما أن هذا ينقلنا إلى مصطلح آخر وهو (الومضة الشعرية)، حيث إن هذا النص القصير هو ومضة شعرية؛ ليس لأنه قصير فقط، بل لأنه قد توفرت فيه سمات الومضة.

فالومضة نص يعتمد على التركيز العالي والكثافة الشديدة، مردها انطباع كامل واحد مستخلص من حالة شعورية عميقة، وتتسم بالتركيز والغنى الواضح

١- ابن رشيق القيرواني، العمدة، ص ١٨٨ - ١٨٩.

٢- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢٦٢.

بالإيحاءات والرموز^(١).

كيف استطاع هذا البناء الموسيقي المحدود حَمَلَ كل هذه الدلالات والرؤى؟.. هنا نقطة الانطلاق في التكثيف الإيقاعي، التي تؤكد قصديّة الشاعر في هذا البناء المكثف؛ ليتحدّث عن وطن، بكل هذه السعة والامتداد.

ب- الزحافات والعلل (الخروج على النسق):

إنَّ تأمَلَ هذا النص؛ الذي هو من بحر المتدارك (فاعلن فاعلن فاعلن)، يشير إلى وقوع بعض الزحافات والعلل، منها على سبيل المثال:

كلما اتسعتُ في المنافي خطاهُ

فاعلن / فَعَلن / فاعلن / فاعلانُ

فالتفعيلة الثانية (فَعَلن) فيها زحاف الخبن، والتفعيلة الأخيرة (فاعلن)، فيها علة بالزيادة.

وإذا ما تجاوزنا الجانب السلبي الذي تؤدي إليه الزحافات والعلل؛ وخصوصاً حين تكثُر في النص الشعري، إلى فكرة إيقاعية أخرى، سنجد أن هذه الزحافات والعلل هي خروج على النسق، وهذا جزء من الإيقاع، كما أشرتُ سابقاً؛ إذ إنَّ من طرق الخروج عن النسق «بعض أنواع الزحاف والعلل الجارية مجرى الزحاف»^(٢).

ويمكن القول إن هذا الخروج على النسق؛ يبين عن توتر لدى الشاعر في الكتابة؛ كما أنه يتوجه إلى المتلقي مثيراً، منبهاً، موقظاً، كاسراً حدّة الرتابة،

١- انظر: حسين كياني، سيد فضل الله قادري، الومضة الشعرية وسماتها، المجلة الثقافية الجزائرية، ٢٠١٨/٩/٢٠م. وانظر: أحمد المراغي، بناء قصيدة الأبيجراما في الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢، ص ١٤ ومابعدھا.

٢- علي يونس، نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي، ص ١٧٢.

فالخروج على النسق «يقاوم ذلك الخدر الناشئ من التكرار المنتظم، فيشير الانتباه واليقظة، ويدعم الجانب الفكري في مواجهة الجانب الحسي، ويجعل العمل الفني أقدر على التعبير»^(١). وهذه التأثيرات الانفعالية على المتلقي جزء من التكثيف في النص.

المهم ألا يؤدي هذا النوع من الخروج على النسق إلى ضعف إيقاعي، يؤثر سلباً على النص، وهذا ما ابتعد عنه الشاعر؛ إذ انثال النص بإيقاع المتدارك، بكل خفة ومرونة.

ج- القافية:

في تعريف القافية شيء من الاختلاف؛ إلا أنه اختلاف ثري فنياً، سنفيد منه في التحليل.

فقد عرفها الخليل بن أحمد على أنها «من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن»^(٢)، وهذه نظرة ذكية للقافية، نظرت إليها بوصفها تكويناً موسيقياً. أمّا الأخفش؛ فقد عرفها على أنها «آخر كلمة في البيت أجمع»^(٣). «ومنهم من يجعل حرف الروي هو القافية»^(٤).

إن هذه القصيدة بين أيدينا من الشعر الحر، ومن المعروف أن (القافية) في الشعر الحر غير مُلزمة، ولكن الشاعر اختار أن يعطيها مزيداً من الاهتمام والعناية، وأراها تداخلت في نسيج النص، وأثرت في دلالاته، ما يدعو إلى دراستها، وتحليل دورها في (التكثيف).

١- المرجع نفسه، ص ١٧٢.

٢- يحيى التبريزي، الوافي في العروض والقوافي، تحقيق: فخر الدين قباوة، سوريا، ١٩٨٦م، ص ١٩٩.

٣- المرجع نفسه، ص ١٩٩.

٤- المرجع نفسه، ص ١٩٩.

حين نتوقف عند القافية بوصفها (كلمة)، سنجد أنها تمثلت في كلمة (آه)؛
سواءً أكانت بصورة واضحة:

قلتُ: آه

أو جاءت مضمنة بشكل ذكي في الكلمات الأخرى التي انتهت بها الأشرطة:
خطاهُ .. متاهُ .. طغاهُ

فنحن نلتقط (آه) في نهاية كل شطر، ونكررها بألم، نتماهى مع الشاعر الذي
ضمَّنَها هذه الكلمات؛ مبيِّناً عن شدة توجعه.

فإن (آه): كلمة تقال عند الشكوى، والتوجُّع، والكآبة^(١). إنها كلمة يساوي
صوتها معناها ودلالاتها، وتجسّد حسياً صوت الكئيب الحزين، فتجعلنا ننصت
لآلام الشاعر، ونتصوّر المشهد العراقي، وكأننا في حضرته، وهذا فيه تأثير
وجداني انفعالي على المتلقي.

وهذه الكلمة مكتنزة بالأصوات الموحية بهذا الألم: المد الذي يساعد على
الإفضاء والشكوى، والهاء الهامسة التي تصوّر جَوَّ الشجن والضعف، حتى أن
الشاعر لم يعد قادراً إلا على الهمس.

فالقافية قامت بدور كبير - هنا - في تكثيف الدلالات بصوتها، وأغنت المشهد
بالإيحاءات المتماهية مع شعور المنفي المتعرب المتوجِّع المتأوه، وأضفت المزيد من
التأثير على المتلقي صوتياً ودلالياً؛ ليغرق في هذا الشجن والحزن الطويل الممتد.

فإن «القافية ليست أداة، أو وسيلة تابعة لشيء آخر، بل هي عامل مستقل،
صورة تضاف إلى غيرها، وهي كغيرها من الصور، لا تظهر وظيفتها الحقيقية إلا
في علاقتها بالمعنى»^(٢).

١ - انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (أوه)، ص ١٢٤٢.

٢ - جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ص ٧٤.

٢-٤ الموسيقى الداخلية:

إن النظر إلى الموسيقى الداخلية في النص، هو نظر في الأصوات التي تشكل النص؛ فإن «من الخصائص الصوتية التي تمتاز بها اللغة العربية أن هناك قيمة بيانية وتعبيرية لكل صوت من أصواتها، فكل حرف من حروفها يفيد معنى»^(١). وهذه القيمة التعبيرية للأصوات؛ تأتيها من خصائصها الفيزيائية الطبيعية والسمعية^(٢).

وأول ما نلاحظه في الأصوات هو سيطرة السكون كثيراً: يتعد، يتعد، يرتعد، نفتقد، خطأ، آه، متاه، طغاة. إنه السكون المعبر عن الصمت، عن الضعف، عن عدم القدرة على التغيير، عن الجمود، عن الموت في المنافي، عن توقف الحياة. إن هذا السكون المبين عن تلك الدلالات العميقة والممتدة، يقوم بدوره في التكثيف الإيقاعي، في صورة صوتية مكررة.

من الملحوظ أيضاً سيطرة الأصوات الهامسة في النص (ف - ت - ه - ص - خ - ح - ك - س)، وكذلك سيطرة الحروف الضعيفة (هـ، ح، خ، ك، س، ت، ف).

تسهم هذه الأصوات بحمولاتها الدلالية؛ في الإبانة عن صوت الضعفاء المنفيين، عن عذابات المتغربين، عن حنين العراقيين لأوطانهم.

هذه الأصوات الهامسة، وتلك الحروف الضعيفة؛ تتماهى مع حالة الشجن، ومع مدّ الحزن الطاغى في النص؛ وحالة الضعف والخوف والأسى، فالمحزون صوته خافت هامس ضعيف.

هذه الأصوات الهامسة الضعيفة، يجلبها الشعر ويؤججها، ويجعلها أكثر

١- هادي نهر، الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها، الأردن، ٢٠٠٢م، ص ١٢٦.

٢- انظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٦م، ص ٣٥.

وهجاً. فالشعر «هو المنطقة التي تتحوّل فيها العلاقة بين الصوت والمعنى؛ من علاقة خفية إلى علاقة جلية، وتتمظهر بالطريقة الملموسة جداً، والأكثر قوة»^(١).

إذاً، كل هذا الاحتشاد الوجداني، برز من هذه الأصوات، ولذلك كان لها قيمتها في التكثيف عن طريق الإيقاع.

وهكذا كان للبنية الإيقاعية، بما حملت من دلالات عميقة، دورها في التكثيف الشعري في النص، فقد أغنت عن تفاصيل كثيرة، وأسهمت في تركيز النص وتوجهه.

١ - رومان ياكيسون، قضايا الشعرية، ص ٥٤.

الخاتمة

نخلص في نهاية هذا البحث إلى قيمة (التكثيف) في الشعر، وإسهامه في إيحاءيته، وعمقه، واكتنازه بالمعاني والرؤى.

وأن هذا ما يتلاءم مع طبيعة الشعر القائمة على الاختزال والتركيز، ويتوافق مع أساليبه الفنية، فهي تتسم بالإشعاع، ولا تلتزم بالتفاصيل مثل النثر.

ويتضح من تتبع المصطلح أن كتب التراث النقدي تحثني به تحت أسماء أخرى مثل الإشارة والإيجاز، بينما هو بحاجة لبحث أكثر عمقاً في النقد العربي الحديث.

ويتضح من خلال نص (العراق)، هذه القيمة فنياً ودلائياً، حيث تجسّد التكثيف في أساليب، هي:

١- العنوان، حيث أسهم العنوان في هذا التكثيف؛ إذ تشكل من كلمة واحدة مفردة: (العراق)، لكنها حملت دلالات شاسعة.

٢- الصورة، إذ أسهمت الصورة بأنواعها المختلفة في حمل المعاني والدلالات الكثيرة في صورة موحية، سواء أكانت تعبر عن المكان أو الزمان أو عن مشاعر الخوف والقلق.

٣- التكثيف بالصمت، فالصمت الإبداعي يحرض المتلقي على إنتاج المعاني المختزلة داخل نسيج النص.

٤- التكثيف الإيقاعي، فموسيقى القصيدة الخارجية (الوزن والقافية) والموسيقى الداخلية: (دلالات الحروف والأصوات المهيمنة على النص)، وماتتسم به من سمات إيقاعية أسهمت كذلك في هذا التكثيف؛ إذ حملت

دلالات القصيدة عبر هذا الاختزال والتكثيف، دون حاجة لتفاصيل كثيرة .
وقد كان لكل أسلوب منها قيمته في تكثيف الدلالات والإيحاء بها، وجعل
النص مكتنزاً بالرؤى العميقة بإيجاز وتركيز وملاحية شديدة .
وختاماً، أدعو الله العلي القدير أن يجعل بحثي مباركاً موفقاً؛ فيه المتعة
والفائدة .

فهرس المصادر والمراجع

- أحمد الحسين، القصة القصيرة جداً، دار التكوين، دمشق، ٢٠١٠م.
- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨١م.
- أحمد المراغي، بناء قصيدة الأبيجراما في الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م
- بشرى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
- تزفتيان تودوروف، الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت، رجاء بن سلامة، دار توبقال، المغرب، ١٩٩٠م.
- جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.
- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- الحسن بن عبد الله العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م.
- حسين كياني، سيد فضل الله قادري، الومضة الشعرية وسماتها، المجلة الثقافية الجزائرية، ٢٠١٨/٩/٢٠م.
- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.
- رنيه وليك وأوستن وآرن، نظرية الأدب، ترجمة: عادل سلامة، دار المريخ، الرياض، ١٩٩٢م.
- رومان ياكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، المغرب، ١٩٨٨م.
- سوزان برنار، قصيدة النثر، ترجمة: زهير مغامس، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٩م.

- شعيب حليفي، هوية العلامات (في العتبات وبناء التأويل)، دار محاكاة، دمشق، ٢٠١٣ م.
- شوقي ضيف، التطور والتجديد في العصر الأموي، دار المعارف، القاهرة، ط٧، (د. ت).
- شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط٩، (د. ت).
- شيماء البلداوي، وحسن محمد، «الموسيقى والطرب في العراق القديم»، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد (٤٦)، ٢٠١٧ م.
- شيماء عبد الله، التكثيف في الشعر العباسي، مجلة كلية التربية للبنات، العراق، العدد (٤)، ٢٠١٢ م.
- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٧ م.
- صالح رمضان، الخطاب الأدبي وتحديات المنهج، نادي أبها الأدبي، أبها، ٢٠١٠ م.
- عبد الحميد جوده، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٠ م.
- عبد الرزاق الحسيني، العراق قديماً وحديثاً، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٨ م.
- عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١ م.
- عبد الله السمطي، أنظمة التكثيف في النص الشعري محمد صالح وصيد الفراشات، مجلة نزوى، عُمان، ١٩٩٩ م.
- عبد الله الغدامي، القصيدة والنص المضاد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٤ م.
- عدنان الصائغ، الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤ م.
- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار غريب، القاهرة، ط٤، (د. ت).
- علي ابن الجهم، ديوان (علي بن الجهم)، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، (د. ت).

- علي زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
- علي يونس، نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٣ م.
- عماد الدين موسى، وأكتفي بالسحاب - شعرية التكثيف والإدهاش، مجلة جيرون، سوريا، ٢٠١٨ م.
- ليليان هيرلاندر وآخرون، دليل القارئ إلى الأدب العالمي، ترجمة: محمد الجورا، دار الحقائق، بيروت، ١٩٨٦ م.
- محمد الشيباني، وآخرون، كتاب في الصمت، منشورات جامعة صفاقس، صفاقس، ٢٠٠٨ م.
- محمد الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨ م.
- محمد بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- محمد حور، وآخرون، في الأدب والنقد واللغة، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٦ م.
- محمد عبيد، عضوية الأداة الشعرية، دار مجدلاوي، الأردن، ٢٠٠٧ م.
- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٦ م.
- موري ميدلتون وآخرون، اللغة الفنية، ترجمة: محمد حسن عبد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤ م.
- هادي نهر، الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها، الأردن، ٢٠٠٢ م.
- هيئة المعجم، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، الكويت، ١٩٩٥ م.
- يحيى التبريزي، الوافي في العروض والقوافي، تحقيق: فخر الدين قباوة، سوريا، ١٩٨٦ م.

References and Sources:

- Al-Qayrawani, Ibn Rasheeq, The mayor of Beauties and criticism of Poetry, verified by: Muhammad Mohiuddin Abdul Hamid, Dar Al-Jeel, Beirut, 1972.
- Al-Hussein, Ahmad, The Very Short Story, Dar Al-Takween, Damascus, 2010.
- Ahmed bin Faris, Language Standards, verified by: Abd al-Salam Haroun, Al-Khanji Library, Egypt, 1981 AD.
- Almuraghi, Ahmed, Constructing An Epigrama Poem in Contemporary Arabic Poetry, Egyptian General Book Authority, 2012.
- Saleh, Bushra, The Poetic Image in Modern Arab Criticism, Arab Cultural Center, Beirut, 1994 AD.
- Todorov, Tzfatian, Poetry, translated by: Shukri Al-Mabhout, Raja Ben Salama, Dar Toubkal, Morocco, 1990.
- Jean Cohen, The Structure of the Poetic Language, translated by: Muhammad Al-Wali and Muhammad Al-Omari, Dar Toubkal, Casablanca, 1986.
- Abdel Nour, Jabbour, The Literary Dictionary, Dar Al-Alam for Millions, Beirut, 1979.
- Al-Hussein Bin Al-Askari, The Two Industries Book (Writing and Poetry), verified by Ali Al-Bedjawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, The Modern Library, Beirut, 1986 AD.
- Kayani, Hussain; Qadri, Sayed, The Poetic Imagination and its characteristics, Algerian Cultural Journal 20.09.2018
- Renee, Lake, Austin, and Arin, The Theory of Literature, translated by: Adel Salama, Dar Al-Marikh, Riyadh, 1992.
- Roman Jakobson, Issues of Poetry, translated by: Muhammad Al-Wali and Mubarak Hanoun, Dar Toubgal, Morocco, 1988 AD.
- Susan Bernard, The Prose Poem, translated by: Zuhair Maghamis, Al-Ahram Foundation, Cairo, 1999 AD.
- Halifi, Shuaib, Identity of the Famous people (In threds and Building Interpretation), Muhakat House, Damascus, 2013 AD.
- Shawky Dhaif, Development and Restoration in the Umayyad Era, Dar Al Maaref, Cairo, 9th Edition.

- Shawky Dhaif, The First Abbasid Era, Dar Al Maaref, Cairo, 9th floor.
- Al-Baldawi, Shaima and Muhammad, Hassan, Music in Ancient Iraq, Journal of Kufa studies center, Kufa, Issue (46), 2017 AD.
- Abdullah, Shaima Intensification in Abbasid Poetry, Journal of the College of Education - females section, Iraq, Issue (4) 2012
- Fadl, Salah, Contemporary Criticism Curricula, Dar Al-afaq Al-Arabiya, Cairo, 1997 AD.
- Ramadan, Saleh, Literary Discourse and the Challenges of the Curriculum, Abha Literary Club, Abha, 2010.
- Jaydah, Abdel-Hamid, Recent Trends in Contemporary Arabic Poetry, Nofal Foundation, Beirut, 1980.
- Al-Husseini, Abdul Razzaq, Iraq Anciently and Recently, Al-Irfan Press, Sieda, 1958 AD.
- Alqit, Abdulkader-Sentimental Approach in Contemporary Arabic Poetry-Dar annahdha-Beirut- Second Edition 1401/1981
- Al-Samti, Abdullah, Condensation Systems in the Poetic Text, Muhammad Saleh and the Hunting of Butterflies, Nizwa Magazine, Oman, 1999 AD.
- Al-Ghadhami, Abdullah, The Poem and the Counter Text, The Arab Cultural Center, Casablanca, 1994 AD.
- Al-Sayegh, Adnan, Poetic Works, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2004.
- Ismail, Ezz El-Din, The Psychological Interpretation of Literature, Dar Gharib, Cairo, 4th Edition.
- Ibn Al-Jahm, the works of (Ali Ibn Al-Jahm), Ministry of Education, Kingdom of Saudi Arabia.
- Zayed, Ali, Constructing Recent Arabic Poem, Ibn Sina Library, Cairo, 2002 AD.
- Yunus, Ali, A New overview on the Music of Arabic Poetry, The Egyptian General Book Authority, Egypt, 1993.
- Musa, Imad al-Din, I am content with the clouds - Poetics of Intensification and Surprise, Jeroun Magazine, Syria, 2018.
- Herlands, Lillian et al, A Reader's Guide to World Literature, translated by: Al-Jura, Muhammad, Facts House, Beirut, 1986.

- Al-Shaibani, Muhammad et al, A Book on Silence, Sfax University Press, Sfax, 2008 AD.
- Al-Fayrouz, Muhammad abadi, The Dictionary of the Ocean, The Resala Foundation, Beirut, 1998 AD.
- Bin Manzur, Muhammad, The tongue of Arabs, Dar Sader, Beirut.
- Hawwar, Muhammad et al, Literature, Criticism and Language, Kuwait, Al-Falah Library, 1986 AD.
- Obeid, Muhammad, The Membership of Poetic Tool, Majdalawi House, Jordan, 2007.
- Moftah, Muhammad, Poetic Discourse Analysis (Intertextuality Strategy), Arab Cultural Center, Casablanca, 1986 AD.
- Middleton, Morey et al, Technical Language, translated by: Muhammad Hassan Abdullah, Dar Al Ma'arif, Cairo, 1984 AD.
- Nahr, Hadi, The Basis for Arabic Philology and Its Origins, Jordan, 2002 AD.
- The Lexicon Authority, Al-Babtain Dictionary of Contemporary Arab Poets, The Prize of Abdul Aziz Saud Al-Babtain Foundation, Kuwait, 1995.
- Al-Tabrizi, Yahya, Al-Wafi in Prosody and Rhymes, verified by Qabawa, Fakhr Al-Din, Syria, 1986 AD.

التنمية المُستدامة في
السنة النبوية الشريفة
غزوة حُنين نموذجًا

**Sustainable Development in the
Noble Prophet's Sunnah
The Battle of Hunayn as a Model**

د. هناء أبوبكر محمد بابطين
جامعة طيبة - فرع ينبع - المملكة العربية السعودية

Dr. Hanaa Abu Baker Babateen
Taibah University, Yanbu, Kingdom of Saudi Arabia

<https://doi.org/10.47798/awuj.2023.i67.06>

تاريخ تسلم البحث 2020/11/09 - وصدر خطاب القبول 2021/06/14



Abstract

The research deals with Sustainable Development in the Noble Prophet's Sunnah, the Battle of Hunayn as a Model. The research problem statement rises from the fact that sustainable development is a renewed demand that keeps pace with man's aspirations for present and future prosperity, particularly in the Hunayn battle. In the research, the inductive analysis approach was used. The study came up with a number of findings: sustainable development from the Islamic perspective is the regulation of human interaction with the components of the environment around him in order to pass it on to future generations. The features of sustainable development appeared in the Prophet's Sunnah in general, and in the Hunayn battle in particular.

Keywords: (development, sustainable, resources, prophet's Sunnah, Hunayn battle).

ملخص البحث

يتناول البحث التنمية المُستدامة في السنة النبوية الشريفة، غزوة حنين نموذجًا، وتبرز مشكلة البحث في كون التنمية المُستدامة مطلبًا متجددًا يواكب تطلع الإنسان إلى الرفاهية الحاضرة والمستقبلية، ويهدفُ البحثُ إلى فهم حقيقية التنمية المُستدامة في الواقع المعاصر والمنظور الإسلامي، وتجليات هذه التنمية في السنة الشريفة، وفي غزوة حنين على وجه الخصوص، وقد استُخدم في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وخلصَ البحثُ إلى نتائج أهمها: أن التنمية المُستدامة في المنظور الإسلامي هي تنظيم تفاعل الإنسان مع مكونات البيئة حوله؛ ليستثمرها ويسلمها للأجيال القادمة أتم وأكمل مما كانت عليه، وقد ظهرت ملامح التنمية المُستدامة في السنة النبوية بصفةٍ عامة، وفي غزوة حنين بصفةٍ خاصة.

الكلمات المفتاحية: (التنمية، المُستدامة، الموارد، السنة النبوية، غزوة حنين).

المقدمة

فرضت التنمية المستدامة نفسها على ساحة المؤتمرات والندوات الدوليّة -البيئية منها والتنمويّة- وأصبحت غاية ترنو الدول إلى تحقيقها، وتتسابق في ميدانها؛ لأنها الضمان في كفاية وكفاءة الموارد البيئية للأجيال الحالية واللاحقة، من خلال تنمية الإنسان وتنظيم تفاعله مع ما حوله من الموارد، وذلك لكثرة التفاعل بين الإنسان وما حوله من مكونات حيوية على سطح الأرض، وما ينتج عن هذا التفاعل من تأثير مباشر على هذه المكونات والموارد، وكان أول ظهور لهذا المصطلح سنة ١٩٨٧م، حينما عُقد مؤتمر خاص من قبل الأمم المتحدة وصدر عنه ما يعرف بتقرير بروتلاند حول التنمية المستدامة^(١)، والذي ركز على تحقيق الثراء الحالي، وضمان مثيله لأجيال المستقبل، وفي قمة الأرض الأولى التي عقدت في ريودي جانيرو بالبرازيل في عام ١٩٩٢م، وهي القمة التي حضرها معظم ملوك دول العالم ورؤسائه، تم تبني مفهوم التنمية المستدامة باعتباره قيمة حضارية^(٢)، وهدفًا تتمحور حوله الجهود الدوليّة، وتهفو إلى تحقيقه الدول المتقدمة، وذلك نابع من استشعار الخطر المستقبلي المتمثل في تآكل الموارد البيئية وعدم كفايتها للأجيال القادمة، لسوء استهلاكها الحالي، ونحن إذ ننطلق في طريق التنمية المستدامة نجدها من الجوانب التي أولاهها الإسلام اهتمامًا كبيرًا في نصوصه الشرعية وسننه العملية، لهذا بذلت الباحثة وسعها لتقديم بحث مختصر عن التنمية المستدامة في السنة النبوية الشريفة مع تقديم النموذج العملي على

١- الخرمان، بكر عبد الله، آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية، بحث منشور في المؤتمر الدولي «آليات حماية البيئة» طرابلس، لبنان، ٢٦-٢٧/ ٢٠١٧. ص: ٢٠٠.

٢- حسن، خليل رحمة علي، دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، بحث منشور في المؤتمر الكشفي العربي التاسع والعشرين، شرم الشيخ، مصر، «الكشفية وأهداف التنمية المستدامة»، ص: ٤.

التنمية المستدامة من غزوة حنين^(١)؛ لما استقرَّته الباحثةُ فيها من التنمية المستدامة وتطبيقاتها، ولما ظهر فيها من البعد الأخلاقي المعنوي الذي تميز به الإسلام وجعله الأساس في كل تنمية - متكاملة أو مستدامة، وفي هذا حثٌّ للمسلمين على اعتماد التنمية المستدامة ووضع الخطط والبرامج التي تساعد على القيام بها لتنمو مجتمعاتنا المسلمة في الحاضر والمستقبل جميعاً.

والله حسبي ونعم الوكيل، وهو وحده صاحب الفضل واليسير، ومنه المعونة والتسهيل والحمد لله رب العالمين.

أهمية البحث

تظهر أهمية الموضوع في إظهار اهتمام السنة الشريفة بالتنمية المستدامة وأنها ركيزة إسلامية تجلت نظرياً وعملياً في سنة النبي ﷺ عموماً وفي غزوة حنين على وجه الخصوص؛ إذ تجلت فيها التنمية المستدامة بصورة أكثر من غيرها من الغزوات - فيما يراه الباحث -، وفي هذا حثٌّ للمسلمين على السبق في مجالات التنمية المستدامة، وتطبيق ذلك في جوانب الحياة كلها.

إشكالية البحث

استقرت التنمية المستدامة ركيزة حضارية تسعى إليها الدول جميعاً في العصر الحاضر، وغاب عن الواقع العالمي أنها قيمة إسلامية أصيلة تستقي دلائلها من الكتاب والسنة؛ حتى بدى المسلمون فيها عالة على غيرهم، مما دفع الباحث أن يؤصل للتنمية المستدامة وفق المنظور الإسلامي للتنمية المستدامة مع التركيز على الجانب العملي الذي تجلّى لنا من خلال النصوص الشرعية والتطبيقات العملية النبوية.

١ - لا يعني اختيار غزوة حنين تخصيصاً لها ولا تمييزاً عن غيرها من الغزوات، ولكنها كانت من آخر الغزوات النبوية فليس بعدها إلا غزوة الطائف وغزوة تبوك، أما غزوة الطائف فهي جزء مكمل لأحداث غزوة حنين غير منفصل عنها، وأما غزوة تبوك فلم يحدث فيها قتال وكأنها كانت لوضع اللمسات الأخيرة في التنمية البشرية على المنهج النبوي.

أسئلة البحث

- ما مدى اهتمام السنة النبوية الشريفة بالتنمية المستدامة؟
- ما أهم مظاهر ومبادئ التنمية المستدامة التي تجلت في غزوة حنين؟

أهداف البحث

- بيان مدى اهتمام السنة النبوية الشريفة بالتنمية المستدامة.
- معرفة أهم مظاهر التنمية المستدامة في غزوة حنين، وأهم مبادئها التي تجلت في غزوة حنين.

منهج البحث

استُخدِمَ في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي لاستقراء وتحليل ما يتعلق بالتنمية المستدامة في السنة النبوية الشريفة لا سيما غزوة حنين.

حدود البحث

ينحصرُ البحثُ فيما يتعلق بموضوع التنمية المستدامة من الكتب، والدراسات، والدوريات، وأما كتبُ السنة والسيرة فقد اقتصر الباحثُ على ما جاء في الصحيحين وفي سيرة ابن هشام، لتحليل ما يتعلق بالتنمية المستدامة في السنة النبوية عموماً، وفي غزوة حنين على وجه الخصوص.

الدراسات السابقة

- هناك دراساتٌ عديدةٌ أفادَ منها الباحثُ في هذا البحث؛ نذكر منها ما يأتي:
- جمعة، مصطفى عطية، الإسلام والتنمية المستدامة، دراسة تأصيل في ضوء الفقه وأصوله، ناشر: دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، (٢٠١٨م)، ٢٦٥ صفحة.

- الخرمان، بكر عبد الله، التنمية المستدامة في السنة النبوية دراسة تأصيلية، ماجستير، كلية الشريعة، جامعة آل البيت، (٢٠١٧-٢٠١٨م)، ١٥٦ صفحة.
- الفقهي، محمد عبد القادر، ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، بحث محكم ومقدم إلى الندوة العلمية الدولية الثالثة للحديث الشريف حول القيم الحضارية في السنة النبوية، المنعقد في كلية الدراسات العربية والإسلامية بدبي، في تاريخ ٤-٧ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ، ٢٢-٢٥ أبريل ٢٠٠٧م، ونشر في الجزء الثالث من الكتاب الذي أصدرته الأمانة العامة للحديث الشريف لجمع بحوث وأعمال هذه الندوة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، (ص: ٥-٦٤).

وقد استفدتُ من مجموع هذه الدراسات في بيان ماهية التنمية المستدامة في الفكر الغربي والمنظور الإسلامي، وكذلك في اهتمام السنة النبوية الشريفة بالتنمية المستدامة ومظاهر التنمية المستدامة في السنة النبوية، وتختلف دراستي عما ذكرتُ من دراسات في أن دراستي ركزت على الجانب التطبيقي الميداني للتنمية المستدامة بالمنظور الإسلامي الذي ظهر في غزوة حنين، ويزيد من قيمة دراستي اختياري الجانب التطبيقي في ميدان الغزوات النبوية - والحروب أبعد ما تكون عن التنمية- فكان إظهار البعد التنموي في غزوة حنين خطوة مفتاحية لدراسات تحليلية تنموية في الغزوات النبوية.

هيكل البحث

يتكوّنُ البحثُ من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، كما يأتي:

المبحث الأول: ماهية التنمية المستدامة، واهتمام السنة النبوية الشريفة بها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التنمية المستدامة في الفكر الغربي المعاصر.

المطلب الثاني: مفهوم التنمية المستدامة في المنظور الإسلاميّ.

المطلب الثالث: اهتمام السنة النبوية الشريفة بالتنمية المستدامة.

المبحث الثاني: التنمية المستدامة في غزوة حنين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مظاهر التنمية المستدامة في غزوة حنين.

المطلب الثاني: أهم مبادئ التنمية المستدامة التي تجلت يوم حنين.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: ماهية التنمية المستدامة واهتمام السنة النبوية الشريفة بها، وفيه ثلاثة مطالب:

صَارَ مصطلحُ التنميةِ المستدامةِ من أهم المصطلحات العالمية وأوسعها انتشاراً، ويتكون اصطلاح التنمية المستدامة من لفظتين، هما: التنمية، والمستدامة، والتنمية في اللغة مصدر من الفعل (نمى). يقال: «أنميت الشيء ونمّيته: جعلته نامياً»^(١)، أما كلمة (المستدامة) فمأخوذة من استدامة الشيء، أي: طلب دوامه^(٢)، وسوف يعرضُ الباحثُ ماهية التنمية المستدامة واهتمام السنة النبوية الشريفة بها في المطلب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم التنمية المستدامة في الفكر الغربي المعاصر

ظهرت التنمية المستدامة في الفكر الغربي المعاصر إثر عددٍ من التطورات التنموية التي مهدت الطريق لظهورها، وكشفت عن ميسر الحاجة إليها، ولم يدخل مصطلح التنمية ساحة الأدبيات الدولية إلا عندما تبنت منظمة الأمم المتحدة الاستراتيجية الدولية للتنمية وأعلنت عقد الستينيات من القرن العشرين كعقد للأمم المتحدة من أجل التنمية^(٣)، وبذلك أصبح مصطلح التنمية من أهم مميزات العالم المعاصر مما دفع البعض إلى تسمية القرن العشرين بعصر التنمية^(٤).

وقد بدأت فكرة التنمية قاصرة على المفهوم الاقتصادي، حيث تعني التنمية «النمو الاقتصادي وأنه يدفع تلقائياً الفقر ويرفع مستوى المعيشة، وأن الخير

- ١- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقي (ت: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، (١٥ / ٣٤١).
- ٢- ابن منظور، لمرجع السابق، (١٢ / ٢١٣).
- ٣- عبد الخالق، عبد الله، العالم المعاصر والصراعات الدولية، سلسلة عالم المعرفة ١٣٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩، ص ٢٨.
- ٤- عبد الخالق عبد الله، العالم المعاصر والصراعات الدولية، مرجع سابق، صفحة ٢٨.

سيتساقط على الجميع»^(١).

ثم تطور مفهوم التنمية ليشمل البعد الاجتماعي والسياسي مع البعد الاقتصادي، وأصبحت التنمية ذات مفهوم واسع تشمل «العملية المجتمعية الواعية المتوجهة نحو إيجاد تحولات في البناء الاقتصادي والاجتماعي... وفي الوقت نفسه تكون موجهة نحو تنمية علاقات اجتماعية سياسية»^(٢).

وارتقت التنمية لتنظر إلى البعد الإنساني لتصبح التنمية «ليست مجرد تنمية الأشياء ولكنها تنمية الإنسان قبل كل شيء»^(٣).

لاسيما بعد سنة ١٩٩٠م، حيث اعتمد برنامج الأمم المتحدة الإنمائي التنمية البشرية، وخصص لها تقريراً سنوياً، وأكدت مواثيق الأمم المتحدة وتقارير برامجها الإنمائية أنه لا تنمية دون إنسان، وقد عرفت بأنها «تنمية الناس من أجل الناس بواسطة الناس»^(٤).

تحول مفهوم التنمية إلى التنمية المستدامة:

تجاوز مفهوم التنمية تلك المراحل السابقة يضم بعضها إلى بعض ليوكب مطالب الإنسان في نمو دائم في الحاضر والمستقبل، فاتجهت الأنظار إلى المستقبل القادم وكيف يضمن الإنسان تنميةً تلبي احتياجات الأجيال القادمة، من هنا ظهر

١- علي، مصطفى حسن، نقد مفاهيم المنظمات الدولية للتنمية والنظام الاقتصادي الدولي الجديد، مجلة دراسات عربية، العدد ٦، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ١٩٨٣، صفحة ١١.

٢- الكواري، علي خليفة، ماهية التنمية الاقتصادية الاجتماعية، وجهة نظر حول التنمية في أقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط، نقلاً عن: الجلال، عبد العزيز عبد الله، تربية اليسر وتخلف التربية، مدخل إلى دراسة النظام التربوي في أقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط، عالم المعرفة، المجلس الوطني الثقافي الكويتي، ١٩٨٥، ص ١٣.

٣- علي، مصطفى حسن، نقد مفاهيم المنظمات الدولية للتنمية، مرجع سابق، ص ٢٣.

٤- الأمم المتحدة، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٣، ص ٣. وقد ورد في تقرير التنمية ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ أن التنمية البشرية تتعلق بالناس.

مصطلح التنمية المستدامة سنة ١٩٨٧ م، عندما قام كاتبو تقرير لجنة «برونتلاند» المعنون: «مستقبلنا المشترك»، مصطلح (التنمية المستدامة) للدلالة على التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون أن تؤثر في قدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها، أي أن التنمية المستدامة في الفكر المعاصر هي «الأعمال التي تهدف إلى استثمار الموارد البيئية بالقدر الذي يحقق التنمية، ويحد من التلوث، ويصون الموارد الطبيعية ويطورها، بدلاً من استنزافها ومحاولة السيطرة عليها، وهي تنمية تراعي حق الأجيال القادمة في الثروات الطبيعية للمجال الحيوي لكوكب الأرض، كما أنها تضع الاحتياجات الأساسية للإنسان في المقام الأول، فأولوياتها هي تلبية احتياجات المرء من الغذاء والمسكن والملبس وحق العمل والتعليم والحصول على الخدمات الصحية وكل ما يتصل بتحسين نوعية حياته المادية والاجتماعية، وهي تنمية تشترط ألا نأخذ من الأرض أكثر مما نعطي»^(١)، أي أن التنمية المستدامة تركز على ترشيد التعامل مع الموارد البيئية بما يحقق رفاهية الإنسان في الحاضر ويضمن نفس الرفاهية لأجيال المستقبل، وهذه الفلسفة تضع البشر «على مستوى متكافئ مع جميع الكائنات الحية الأخرى»^(٢)، وتحتم عليه الحفاظ على التنوع الحيوي الموجود، أي أن غاية التنمية المستدامة تحقيق التوافق بين الإنسان والموارد البيئية المحيطة به بما يحقق الرفاهية لإنسان الحاضر والمستقبل، وهذا التوافق يتضمن ما يأتي:

صيانة الموارد البيئية من الماء والهواء والتربة والنبات والغذاء وغيرها.

المحافظة على التنوع الحيوي الذي خلقه في الأرض، لأن الإخلال به يؤدي إلى فساد النظم البيئية بما ينعكس سلباً على الموارد البيئية الأخرى التي يتعامل معها الإنسان تعاملًا مباشرًا.

١- العوضي، سعاد عبد الله، البيئة والتنمية المستدامة، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، الكويت، (ص: ٧).
٢- جيدنز، أنطوني، بعيداً عن اليسار واليمين، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، الكتاب رقم ٢٨٦، (ص: ٢٦٩).

ترشيد الاستخدام والاستهلاك والتواصل بين الإنسان وجميع عناصر البيئة المحيطة به، وهذا يتطلب من الإنسان التوسط في الاستخدام وعدم الإسراف، وكذلك استثمار الموجود منها والاستفادة من عوائد استثمارها وترك أصولها للأجيال القادمة.

المطلب الثاني: مفهوم التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي.

التنمية في الإسلام ليست مصطلحاً تدور حوله المفاهيم، بل هو مفهوم أساسي ومطلب شرعي قد تعدد حوله المسميات والمصطلحات، وتنبثق فلسفة التنمية في الإسلام من ركيزتين أساسيتين، هما:

أ: التكريم: خلق الله تعالى الإنسان وكرمه بين سائر خلقه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء ٧٠]، قال القرطبي: «وَالصَّحِيحُ الَّذِي يُعَوَّلُ عَلَيْهِ أَنَّ التَّفْضِيلَ إِنَّمَا كَانَ بِالْعَقْلِ الَّذِي هُوَ عُمْدَةُ التَّكْلِيفِ»^(١)، فالإنسان مكرم بين المخلوقات بما وهبه الله من العقل، الذي يمثل الأساس في عمارة الأرض، والأداة الفاعلة في الاستخلاف فيها، لهذا كان لابد للعقل من رياضة ورعاية وتنمية لتظهر حكمة تفضيل الإنسان به؛ لأن الإنسان هو صانع الحدث والمؤثر فيه، وهو محور التنمية والمسئول عن عمارة الأرض.

ب: الاستخلاف: جعل الله الإنسان خليفة في الأرض دون غيره من سائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، اختاره الله ﷻ لمهمة الاستخلاف في الأرض؛ والقيام بهذه المهمة العظيمة يحتاج إلى التمكين أي القدرة على الاختيار والفعل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

١- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ / ١٩٦٤، دار الكتب العلمية، ت: أحمد الردوني، وإبراهيم أطفيش، (١٠ / ٢٩٤).

مَكَّنَكُم فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿[الأعراف: ١٠]﴾، قال الإمام الرازي: «أي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارًا ومكانكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم معيش»^(١)، فالأرض هي البيئة الأساس لعمليات التنمية والإعمار عن طريق اتخاذ الانسان القرار الصحيح والتحكم في مواردها، وهذا يستلزم العلم والمعرفة الكافية، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، ذكر الله تعليم آدم الأسماء بعد ذكر استخلافه في الأرض، لأن الخلافة في الأرض تستوجب تنميتها وتطويرها واستثمار ما فيها، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والمعرفة المستمرة الدائمة التي تؤهل العقل البشري بالقيام بما يتطلبه دوره في خلافة الأرض من التنمية، والتطوير، والإبداع، والإنتاج.

ومن التكريم بالعقل والاستخلاف في الأرض وتزويد الإنسان بلوازم ذلك من المعرفة والعلم يتضح مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام، فالتنمية المستدامة في الإسلام هي «التفاعل الإيجابي للإنسان مع مكونات البيئة واستثمارها بما يضمن استمراريته تبعًا للمبادئ والضوابط الإسلامية»^(٢)، ونفهم من ذلك أن التنمية المستدامة في الإسلام تهتم بصناعة الإنسان الرشيد أو الإنسان الأخلاقي المتمكن من عمارة الأرض وصيانة مواردها، واستثمارها وفق الضوابط والمبادئ الشرعية التي تكفل سعادة الحاضر والمستقبل^(٣)، والتنمية المستدامة في المنظور الإسلامي تعني تنظيم تفاعل الإنسان مع مكونات البيئة حوله؛ ليستثمرها استثمارًا صحيحًا حتى يحقق الاستخلاف، الذي يفرض عليه تسليم الموارد حوله للأجيال القادمة أتم وأكمل مما كانت عليه، وبذلك فإن التنمية المستدامة في الإسلام تعتمد

١- الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، (١٤ / ٢٠٤).

٢- الخرمان، آليات تحقيق الاستدامة البيئية، مرجع سابق، (ص: ٢٠٤).

٣- جمعة، مصطفى عطية، الإسلام والتنمية المستدامة، دراسة تأصيل في ضوء الفقه وأصوله، ناشر: دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، (٢٠١٨م)، (ص: ١٨٥)، بتصرف.

على: المحافظة على البيئة ومواردها عن طريق ترشيد استهلاكها والإحسان في التعامل معها، ولا يتم ذلك إلا بتنمية الإنسان وجعله مهياً لحمل أمانة الاستخلاف في الأرض.

والتنمية المتكاملة والمستدامة بهذا المفهوم أمانة ومسئولية تتطلب التخطيط الصحيح والعمل الجاد، ليتمكن الإنسان من الإصلاح في الأرض التي سخرها الله له واستخلفه فيها، فهي واجب على الإنسان كما أنها حق من حقوقه، إذ لا يستطيع المسلم القيام بعمارة الأرض وتحقيق الاستخلاف فيها إلا إذا داوم على تطوير ذاته، وتنمية إمكاناته، وترشيد تعاملاته، وتسليم أمانة الأرض ومواردها إلى من يكمل العمارة في الأرض من الأجيال القادمة.

المطلب الثالث: اهتمام السنة النبوية الشريفة بالتنمية المستدامة.

لم يأت لفظ التنمية صريحاً في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، إنما وردت آيات وأحاديث تؤكد اهتمام الإسلام بالتنمية، وسوف أكتفي بما يوضح اهتمام السنة النبوية الشريفة بالتنمية المستدامة فيما يأتي^(١):

بناء الشخصية المسؤولة: اهتمت السنة الشريفة ببناء الإنسان الواعي المكلف المسئول عن تصرفاته، وتعد المسؤولية من الأسس التي تقوم عليها التنمية المستدامة؛ بل هي الدافع القوي للتنمية؛ لأنها تشمل مسؤولية الجميع أمام الله تعالى، وكذلك مسؤولية الحاكم والمحكوم أمام بعضهما لتكامل البناء وتتابع العطاء، وعلاج الخلل فكل له حقوق وعليه واجبات، وقد أكدت السنة الشريفة على المسؤولية المجتمعية فقد قال ﷺ «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم

١- انظر: الفقي، محمد عبد القادر، ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، بحث مقدم إلى الندوة العلمية الدولية الثالثة للحديث الشريف حول القيم الحضارية في السنة النبوية، وتم نشره في موقع نبي الرحمة دوت كوم، (٢٣- ٣٨)، بتصرف كبير.

يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»^(١)، وهذا الحديث يشمل الجميع الأفراد ويدخل فيه الحكام والولاة للولايات العامة من باب أولى، ولا شك أن هذه المسؤولية تحمل الإنسان على حماية الموارد وعدم إهدارها، أو إفسادها، وذلك أساس التنمية المستدامة في أرقى صورها.

الدعوة إلى الإحسان مع الموارد البيئية، وجعل ذلك من علامات الإيمان وأسباب المغفرة: جمع رسول الله ﷺ مفاتيح التنمية المستدامة كلها، في قوله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ...»^(٢)، وهذا خبر بمعنى الأمر يدل على وجوب تقديم الإحسان في كل تعامل، بما في ذلك الموارد البيئية الحيوانية منها والنباتية، ويعطي الحفاظ عليها قيمة تعبدية، مما يزيد المسلم حرصاً عليها، وحباً في فعلها والتقرب إلى الله تعالى بها، ولهذا قال رسول الله ﷺ «في كل ذات كبد رطبة أجر»^(٣)، وأعطى الرسول ﷺ أمثلة تدل على أن الإحسان مع الموارد البيئية والحيوانية سبب المغفرة، كما في حديث أبي هريرة ت قال: قال النبي ﷺ «بينما كلب يطيف بركية، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها، فسقته فغفر لها به»^(٤)، قال رسول الله ﷺ «عُدَّتْ امرأة في هرة، سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»^(٥)، وهذا دليل صريح على أن الجناية على

- ١- أخرجه مسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، برقم (٢٨٠)، (٨٧/١).
- ٢- أخرجه مسلم، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، برقم ١٩٥٥، أبو داود في مسنده، باب النهي عن المثلة، برقم ٢٦٦٧، أبو عوانة: ٦٢٢٩.
- ٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب: الآبار على الطرق إذا لم يتأذ بها، الحديث (برقم ٢٤٦٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها، الحديث (برقم: ٢٢٤٤).
- ٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) الكهف / ٩، (برقم ٣٢٦٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها، (برقم: ٢٢٤٥)، الجزء السابع، صفحة ٤٠٨.
- ٥- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، برقم (٣٤٨٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: تحريم قتل الهرة، الحديث (برقم: ٢٢٤٢).

الموارد البيئية بغير حق نوع من كبائر الذنوب التي يستوجب فعلها دخول النار، وفي هذا تقويم شرعي لتعامل المسلم مع البيئة وتغيير نظرتة إلى الموارد المحيطة به، وأنها جعلت للاستفادة منها، والمحافظة عليها، وليس لإفسادها، أو الإضرار بها.

الأمر بإحياء الأرض الموات أو التي لا تزرع: أمر الرسول ﷺ بإصلاح الأرض واستصلاحها، وحفز النفوس إلى ذلك بقوله ﷺ «من أعمار أرضاً ليست لأحد فهو أحق»^(١)، وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ت: «من أحيأ أرضاً ميتة فهي له»^(٢)، وهذا التحفيز بالتمليك مقابل استصلاح الأرض، وإحيائها بالزرع؛ باب واسع للتنمية لأنه يحافظ على التربة، ويزيد الانتاج، ويدفع العمل، ويقلل البطالة والحاجة، وإذا عجز المسلم عن زراعة أرضه ورعايتها لا يجوز له خرابها، بل جاء الأمر بمشاركة غيره لزراعتها، كما في حديث جابر رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا، أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيَمْسِكْ أَرْضَهُ»^(٣)، وقد صالح الرسول ﷺ يهود خيبر على زراعة أرضها مقابل شطر الثمر، وقال لهم رسول الله ﷺ «نقركم بها على ذلك ما شئنا»، فقرؤوا بها حتى أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء»^(٤)، وهذا دليل قوي على أهمية عمارة الأرض واستصلاحها، وجواز استعمال غير المسلم في ذلك، قال ابن حجر: «لا فرق في جواز هذه المعاملة بين المسلمين وأهل الذمة»^(٥).

- ١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحث والمزراعة، باب: من أحيأ أرضاً مواتاً، (برقم: ٢٣٣٦).
- ٢- انظر: صحيح البخاري، باب: من أحيأ أرضاً مواتاً، بترقيم فتح الباري، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٧ / ١٩٨٧، (٣ / ١٣٩).
- ٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحث والمزراعة، باب: ما كان أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمرة، (برقم: ٢٣٤٢)، ومسلم في صحيحه كتاب البيوع، باب: كراء الأرض، (برقم: ١٥٥٣).
- ٤- صحيح البخاري، كتاب الحث والمزراعة، باب: إذا قال رب الأرض: اترك ما أقرك الله ولم يذكر أجلاً معلوماً فهما على تراضيهما، (برقم: ٢٣٣٨).
- ٥- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد القادر الحمد، (ط ١) ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، (٥ / ١٥).

الأمر بالزراعة حتى قيام الساعة: لم تقف السنة على مجرد التحفيز في استصلاح الأرض، بل جعلت ذلك أمراً يلزمه المسلم إلى قيام الساعة، كما في حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها»^(١)، هذا الحديث عظيم القدر لأن الإنسان يعمل إلى آخر وقت الدنيا، أو إلى آخر لحظاته وحضور أجله وساعته، وهذا أعلى دليل على التنمية المستدامة والنظرة المستقبلية، لأنه قطعاً لن يأكل مما زرعه بعد يقينه بقرب ساعته، ومع ذلك يعمل ويزرع لعل أحداً يأكل من غرسه في يوم من الأيام، وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن كل غرس صدقة، كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلا كان له به صدقة»^(٢).

الحث على حفر الأنهار والقنوات: دعت السنة الشريفة إلى حفر الأنهار والقنوات لأن الزراعة تعتمد على توافر المياه، فكان من لوازم الزراعة حفر الأنهار والقنوات، وقد جعل النبي ﷺ هذا العمل من الصدقة الجارية التي يلحق أجرها صاحبها بعد موته، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما علمه ونشره، وولدا صالحا تركه، ومصحفا ورثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته»^(٣).

١- أخرجه البخاري في الأدب المفرد، (برقم: ٤٧٩)، أخرجه أحمد في مسنده، باب مسند أنس بن مالك، (برقم: ١٢٩٨١)، وعبد بن حميد في مسنده، باب مسند أنس بن مالك، (برقم: ١٢١٤)، وصححه الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة)، حديث رقم (٩). والفسيلة: الصغيرة من النخل، والفسل: قضبان الكرم للغرس، وهو ما أخذ من أمهاته ثم غرس، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ابن منظور، (٥١٩/١١).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، (برقم: ٢٣٢٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، (برقم: ١٥٤٣).

٣- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب اتباع السنة، باب: ثواب معلم الناس الخير، (برقم: ٣٦٠٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، باب في الزكاة، فصل: في الاختيار في صدقة التطوع، (برقم: ٣٤٤٩)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب، (برقم: ١٢٣، ٤٢٣)، وقال: وإسناده حسن، وحسنه أيضاً الألباني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب ١/١٤٢، ١٥٦، ٢٢٩.

حماية الموارد البيئية وصيانتها: تعتمد التنمية المستدامة على حماية البيئة وترشيد استخدامها لتحقيق احتياجات الإنسان في الحاضر مع ضمان حيوية الموارد ووفرته بما يكفي أجيال المستقبل، وقد ربطت السنة النبوية الشريفة بين التنمية المستدامة والمحافظة على البيئة ورعايتها، ومن معالم الاهتمام بالموارد البيئية في السنة الشريفة، ما يلي:

أ- الأمر بترشيد الاستهلاك وعدم الإسراف: أمر الإسلام بالتوسط والاعتدال وعدم الإسراف في كل شيء، وذلك يفيد في التنمية المستدامة بطريق مباشر لأنه يدعو إلى ترشيد الاستهلاك، وعدم التفريط في مورد من الموارد المتاحة للإنسان، ففي باب الطعام والشراب قال رسول الله ﷺ «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا، ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة»^(١)، وفي ترشيد استخدام الماء ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل والقدوة كما في حديث أنس رضي الله عنه قال «كان النبي ﷺ يغسل - أو كان يغتسل - بالصاع إلى خمسة أمداد، ويتوضأ بالمد»^(٢)، «وقد استقر عند الفقهاء عدم جواز الإسراف وأنه دائر بين التحريم والكرهية»^(٣)، والأمر بالتوسط وعدم الإسراف في التعامل مع الموارد المحيطة بالإنسان جزء من مقومات التنمية المستدامة، وضمان الحفاظ على الموارد، وصيانتها، والاهتمام في استثمارها؛ بدلاً من إهدارها.

ب- التحذير من التعدي على الموارد النباتية: حفلت السنة النبوية بكثير من الأحاديث التي تعالج تعدي الإنسان على الموارد وتمنعه من ذلك منعاً شديداً، ومن ذلك قول النبي ﷺ «من اقتطع شبراً من الأرض ظلما طوقه الله

١- أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب اللباس، باب: الصفرة للرجال، (برقم: ٣٦٠٥، الجزء الثاني، صفحة ١١٩٢). قال الألباني: حديث حسن، انظر: صحيح الترغيب والترهيب ٢ / ٥٠٤.
٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: الوضوء بالمد، (برقم: ٢٠١).
٣- الشوكاني، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، (١ / ٢٥٠).

إياه يوم القيامة من سبع أرضين»^(١)، هذا تحذير قوي للهجة من الرسول ﷺ يستفاد منه حرمة التعدي غير المشروع على أي مورد من الموارد بما في ذلك الأرض الفضاء وطريق الناس وغير ذلك، وعن عبد الله بن حُبشي أن رسول الله ﷺ قال: «من قطع سدره صوب الله رأسه في النار»^(٢)، ونبات السدر صحراوي يستفيد المسافر من ظله، وثماره، وقطعه فساد بيئي، ومشقة على المسافر القادم مستقبلاً، وهذا الوعيد الشديد بالنار دليل على الاهتمام بالموارد النباتية وحرمة التعدي عليها أو إفسادها.

ج- المحافظة على الموارد المائية: الماء خلقه الله تعالى وجعل به قوام كل شيء حي، من الإنسان والحيوان والنبات، والطيور، وغيرها، قال الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، لهذا حرم رسول الله ﷺ احتكار الماء في الزراعة لما يترتب عليه من الضرر بالآخرين، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلاء»^(٣)، ونهى رسول الله د عن بيع الماء، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله د عن بيع فضل الماء»^(٤)، ولم تقف السنة الشريفة عند هذا بل حرمت تلويث الماء تحريماً شديداً، فعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله د أنه (نهى أن يُبال في الماء الراكد)^(٥). وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: لقد سمعت رسول

- ١- أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، (برقم: ٤٢١٧).
- ٢- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب: في قطع السدر، (برقم: ٥٢٣٩). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٧٤ / ٢.
- ٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة (الشرب)، باب: من قال: إن صاحب الماء أحق بالماء حتى يروى، لقول النبي د: (لا يمنع فضل الماء)، (برقم: ٢٢٥٣).
- ٤- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب تحريم بيع فضل الماء الذي يكون بالفلاة ويحتاج إليه لرعى الكلاء وتحريم منع بذله وتحريم بيع ضراب الفحل، (برقم: ١٥٦٥)، قال المباركفوري «وقد خصص من عموم أحاديث المنع من البيع للماء ما كان منه محرراً في الآنية لأنه يجوز بيعه قياساً». انظر: المباركفوري، أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الرابع، صفحة ٤٠١: ٤٠٢.
- ٥- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، (برقم: ٢٨١).

الله ﷺ يقول: (اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل)^(١)، وهذا التحذير قوي اللهجة دليل على أهمية الموارد البيئية عموماً، «لأنَّ التبول أو التبرز في الماء الراكد يجعله بيئة خصبة لتكاثر الميكروبات والفيروسات التي تساعد على انتشار الأمراض المعدية»^(٢).

د- حماية الهواء والفضاء وما يتعلق به: حرصت الشريعة على سلامة البيئة التي يعيش فيها الإنسان، وأن تكون نظيفة خالية من كل أذى، لهذا منع الرسول ﷺ أذية الناس ولو برائحة كريهة، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، وَلَا يُؤْذِينَا بِرِيحِ الثُّومِ»^(٣).

ه- الحرص على بقاء التنوع بين الكائنات الحية: وهذا من أهم متطلبات التنمية المستدامة، لأن كل نوع من الكائنات الحية له أهمية وأثر في التوازن البيئي المطلوب، لهذا كثرت الأحاديث التي تفيد ضرورة بقاء التنوع بين الكائنات، وتحرم التسبب في انقراضها، منها: ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار، فأوحى الله إليه: فهلا نملة واحدة؟»^(٤)، وقول الرسول الله ﷺ «لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّمِ لَأَمَرْتُ

١- أخرجه ابن ماجة في سننه، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، (برقم: ٣٢٨). وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (برقم: ٥٩٤)، وقال: حديث صحيح الإسناد ١ / ٢٧٣. ووافقه الذهبي في التلخيص.

٢- البار، عدنان أحمد، وجنتق ليو، المبادئ الإسلامية المتعلقة بالتحكم في الأمراض السارية وأثرها في الوقاية من هذه الأمراض، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد الحادي عشر، السنة الثالثة، ربيع الآخر - جمادى الأولى - جمادى الآخرة ١٤١٢هـ / أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر ١٩٩١م، (ص: ١٠٤-١٠٥).

٣- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: نهى من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها، (برقم: ٥٦٢).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب: خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، (برقم: ٣٣١٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه د، (برقم: ٢٢٤١).

بِقَتْلِهَا فَاقْتُلُوا مِنْهَا الْأَسْوَدَ الْبَيْهِيمَ»^(١)، إن قتل الكلاب عامة إن تحققت منه مصالح لكنه يؤدي إلى مفسد أكبر تكمن في اختلال التوازن البيئي القائم، وانعدام التنوع الحيوي المطلوب، لهذا قصر النبي ﷺ الأمر على ما يدرأ به الضرر «فَاقْتُلُوا مِنْهَا الْأَسْوَدَ الْبَيْهِيمَ» وذلك دفعاً لضرره الناتج عن كونه شيطاناً أو عقوراً، قال الخطابي: «معنى هذا الكلام أنه ذكره إفناء أمة من الأمم وإعدام جيل من الخلق، لأنه ما من خلق لله إلا وفيه نوع من الحكمة وضرب من المصلحة»^(٢)، وما ينطبق على أمتي الكلاب والنمل ينطبق على غيرهما من سائر المخلوقات والكائنات الحية التي تشارك الإنسان الأرض والحياة عليها، مما يدل على اهتمام السنة بالتنوع الحيوي وأن بقاء التنوع الحيوي مطلب شرعي، وأساس تنموي لا تستقيم الحياة إلا به كما خلقها الله تعالى.

المبحث الثاني: التنمية المستدامة في غزوة حنين، وفيه مطلبان:

أعطت السنة الشريفة التنمية المستدامة حظاً وافراً من التأصيل؛ لغرسها في النفوس، وتحويلها من التنظير والتأصيل إلى حالة عملية أخلاقية يلتزمها المجتمع المسلم كله، وحياء الرسول ﷺ خير مثال للتنمية المستدامة قولاً وعملاً - حتى الغزوات والسرايا- مع أن الحروب عادة تخرج عن دائرة القوانين والضوابط؛ إلا الإسلام فإنه جاء لضبط الحياة كلها بجميع شئونها على مستوى الأفراد والدول وفق المنهج الذي ارتضاه الله تعالى لعباده.

١- أخرجه أحمد في مسنده، باب حديث عبد الله بن مغفل المزني عن النبي ﷺ، (برقم: ١٦٧٨٨). وأبو داود في مسنده، باب اتخاذ الكلب للصيد وغيره، (برقم: ٢٨٤٦). وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود»، (٦ / ٣٤٥).
٢- الأحمدي، المباركفوري، الجزء الخامس، صفحة ٣١، ٣٣، ٣٤.

ومن الغزوات التي استقرأ الباحث أحداثها ليستنبط ما تضمنته من التنمية المستدامة «غزوة حنين»^(١)، وفي هذا المبحث يسطر الباحث مظاهر التنمية المستدامة ومبادئها التي تجلت في غزوة حنين؛ فيما يأتي:

المطلب الأول: مظاهر التنمية المستدامة في غزوة حنين.

ظهرت معالم التنمية المستدامة وتطبيقاتها في غزوة حنين، ولست أزعم أنها اختصت بذلك دون غيرها من الغزوات، غير أن الباحث اختارها وعاءً زمنيًا تطبيقياً للتنمية المستدامة لما استقرأ فيها من مظاهر التنمية المستدامة أكثر من غيرها، ومن أهم مظاهر التنمية المستدامة في غزوة حنين؛ ما يأتي:

أولاً: الاهتمام بالجانب الأخلاقي في الإنسان: لا تؤتي أي تنمية ثمرتها ما لم تكن في حماية الأخلاق؛ لأن التنمية بلا أخلاق تجني على صاحبها وعلى من حوله؛ ودليل ذلك ارتفاع نسبة الطلاق والانتحار في دول تحقق معدلات عالية في التنمية المستدامة المعاصرة، بعيدة عن منظورها الإسلامي بما يحمل من هدي أخلاقي، وفي غزوة حنين أكدت السنة النبوية الشريفة على التزكية الخلقية، وعلاج الانحرافات السلوكية، وأخذ «الرسول ﷺ» يراقب المسلمين ويقوم ما يظهر من انحرافات في التصور والسلوك، حتى في أخطر ظروف المواجهة مع خصومه العتاة»^(٢).

١- علم النبي ﷺ استعداد هوازن لحرب المسلمين بعد فتح مكة، فبادر الرسول ﷺ بالخروج إليهم، الخامس من شوال للعام الثامن من الهجرة، ووصل إلى حنين في اليوم العاشر من شوال، وكان عدد المسلمين اثنا عشر ألفاً، عشرة آلاف قوام الجيش الذي فتح مكة، وألفان هم الطلقاء من أهل مكة، وكان عدد المشركين من هوازن وثقيف ضعف عدد المسلمين، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٣ / ٢٨٤.

٢- انظر: العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة السادسة، ١٤١٥-١٩٩٤، ٢ / ٤٩٨.

ومن ملامح التنمية الأخلاقية في غزوة حنين:

أ- التحكم في النفس: نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والأجراء ممن لا يشتركون في القتال ضد المسلمين: ذكر ابن كثير أن رسول الله مر يوم حنين بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون عليها، فقال رسول الله ﷺ: «ما كانت هذه لتقاتل» وقال لأحدهم: «الحق خالدًا فقل له لا يقتلن ذرية ولا عسيًا»^(١).

ب- علاج العجب: العجب طريق الكبر، وإذا حلَّ الكبر في قلب الإنسان عاش إلى الوحدة أقرب من الجماعة، ومن كان كذلك لا يكون نافعًا أو مساعدًا في التنمية، ولا مشاركًا في المسؤولية الاجتماعية العامة، لذلك لما دخل العجب قلوب بعض من أسلموا حديثًا وقع اختلال، وتزلزل الأبطال، ونزل القرآن يعلمنا أن القوة والمعونة والنصرة من الله تعالى وحده، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ عَلَيْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَابَّتْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، وقد وضع الرسول ﷺ ذلك بطريقة عملية، حيث لهج لسانه د في أرض المعركة بقوله «اللهم بك أحول وبك أصول، وبك أقاتل»^(٢).

من خلال هذه التربية الأخلاقية فإن الرسول ﷺ يُعد الإنسان المسئول عن تحقيق التنمية المستدامة في جميع جوانبها وتطبيقاتها.

ثانيًا: حماية الموارد البيئية: التنمية المستدامة تقوم على ضبط التفاعل بين الإنسان والبيئة التي حوله؛ بما فيها من موارد طبيعية ومائية وحيوانية وغيرها؛

١- أخرجه أحمد في مسنده، من حديث رباح بن الربيع ؓ، (برقم: ١٥٩٩٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢ / ٣١٤، وصححه الشيخ شعيب الأنثووط في تعليقه على مسند أحمد، (٢٥ / ٣٧١) طبعة مؤسسة الرسالة.

٢- أخرجه أحمد في مسنده، باب حديث صهيب، (برقم: ٢٣٩٢٨)، وصححه الشيخ شعيب الأنثووط في تعليقه على مسند أحمد، (٣٩ / ٣٥٠).

ليحقق الرفاء لإنسان الحاضر والمستقبل.

وفي غزوة حنين جاء ما يؤكد منهج السنة النبوية في حماية الموارد على اختلافها وتنوعها، ليكون شاهداً على تحقيق التنمية المستدامة في غزوة حنين، ومن ذلك:

الحفاظ على الموارد المالية: ومن ذلك ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «أخذ النبي ﷺ يوم حنين وبرة من سنام بعير من الغنائم، فجعلها بين إصبعيه ثم قال: «أيها الناس إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه، إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخياط والمخيط، وإياكم والغلول، فإن الغلول عار، ونار، وشنار على أهله في الدنيا والآخرة»^(١)، إن هذا التحذير القوي يمنع المسلم من أخذ شيء إلا بحقه، وأخذ الشيء بحقه، ووضعه وإعطائه لمستحقه طريق المحافظة على الموارد التنموية العامة؛ ولهذا جاء أنصاري بكبة خيط من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله: أخذت هذه الوبرة لأخيط بها برذعة بعير لي دبر، فقال له ﷺ: «أما حقي منها لك»، فقال أنصاري: أما إذا بلغ الأمر فيها ذلك فلا حاجة لي بها، فرمى بها من يده^(٢)، وفي التزام الأفراد بالحفاظ على الموارد المالية العامة وعدم المساس بها جزء من التنمية المستدامة التي تسعى الدول الحديثة إلى تحقيقها، وإذا وجدت الخيانة في المال فلن تظهر أية آثار إيجابية للتنمية المستدامة.

الحفاظ على الموارد النباتية والطبيعية: كان النبي ﷺ يعلمنا رعاية الموارد النباتية والطبيعية وأن في رعايتها أو غرسها صدقة، كما في أنس بن مالك -

- ١- أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب ذكر الإخبار بأن الغال يكون غلوله في القيامة عارا عليه (برقم: ٤٨٥٥) والحاكم في المستدرک (برقم: ٤٣٧٠). قال الألباني: حسن صحيح.
- ٢- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب التسوية في قسم الغنيمة، (برقم: ١٢٩٣٣)، ولم أقف على بيان درجته في شيء من كتب الحديث مما اطلعت عليه، وانظر: ابن هشام، جمال الدين عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، (٤/١٤٥).

- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرسُ غرسًا أو يزرعُ زرعًا فيأكلُ منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلاَّ كان له به صدقةٌ»^(١)، وفي غزوة حنين ظهر واضحًا عدم التساهل في الموارد النباتية لذلك لم يقطع الرسول ﷺ ذات أنواط رغم ما بها من أثر الشرك، عن أبي واقد الليثي: أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين قال وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فمررنا بسدرة خضراء عظيمة قال فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ «قلتم - والذي نفسي بيده - كما قال قوم موسى ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِنْهَاءَ كَمَا لَهُمْ آلهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٨)، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة»^(٢)، ولم يقطع الرسول ﷺ الشجرة التي اعترضت طريقه وخطفت ثيابه، كما جاء في حديث جبير بن مطعم «بينما أسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفلة من حنين، فعلمت الناس يسألونه، حتى اضطروه إلى سمرّة، فخطفت رداءه فوقف النبي ﷺ فقال: «أعطوني ردائي! لو كان عدد هذه العضاة نعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذوبًا ولا جبانًا»^(٣)، ومن ذلك نعلم أن رسول الله ﷺ كان يحافظ على الموارد النباتية والطبيعية لأهمية هذه الموارد في الحاضر والمستقبل، وكان يطبق ذلك عمليًا ﷺ ليكون للمسلمين قدوة في التنمية المستدامة حتى في الحروب والغزوات.

حماية الموارد الحيوانية: رغم تسخير الحيوان لخدمة الإنسان، إلا أن الشريعة الغراء وضعت ضوابط في تعامل الإنسان مع هذه الموارد الحيوانية، وذلك انطلاقًا من الإحسان الذي أمرنا به في كل شيء، ثم لكي لا يؤثر استهلاكها أو سوء

- ١- أخرجه البخاري، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، برقم ٢٤٢٠، ومسلم، باب فضل الغرس والزرع، برقم ١٥٥٢، وغيرهما.
- ٢- أخرجه أحمد في مسنده، باب حديث أبي واقد الليثي، (برقم ٢١٨٩٧). قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٣٦ / ٢٢٦.
- ٣- أخرجه البخاري، باب الشجاعة في الحرب والجن، برقم ٢٨٢١، وأحمد في مسنده، باب حديث جبير بن مطعم، برقم ١٦٧٥٧، والطبراني في المعجم الكبير: ١٥٣٢.

استخدامها على كفاءتها لخدمة الأجيال الحالية، أو كفايتها للأجيال القادمة، وفي غزوة حنين تمثل هذا المشهد الذي رواه ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: كَنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمْرَةً مَعَهَا فَرْخَانٌ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمْرَةُ فَجَعَلَتْ تَعْرُشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدَهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا»^(١). هكذا يعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن التسخير لنا لا يعني الحرية المطلقة للامسؤولية، بل كل معروف في أي مورد من الموارد - حيوان أو طير أو ماء أو نبات - سبب في الأجر، وسبيل للتقوى.

وتظهر أهمية المحافظة على جميع الموارد البيئية في التنمية المستدامة أنها سبب في بقاء التوازن الحيوي بين المكونات الأيكولوجية، التي تقوم عليها النظم البيئية، كما أن الإخلال بها بصورة عشوائية يؤدي إلى اختلال النظم البيئية وتقليل فرص الاستفادة من تلك الموارد.

المطلب الثاني: أهم مبادئ التنمية المستدامة التي تجلت يوم حنين

تستند التنمية المستدامة المعاصرة على عدد من المبادئ العامة التي تتميز بها، أما في المنظور الإسلامي فإن التنمية المستدامة تنطلق من القواعد الفقهية التي هي بمثابة المبادئ الدستورية الواجب مراعاتها وتنظيم العمل التطبيقي في إطارها، ومن هذه المبادئ والقواعد الفقهية العامة التي ظهر تطبيقها في غزوة حنين في صورة مترابطة مع مظاهر التنمية المستدامة ما يلي:

الضرر يُزال: إن التنمية التي تهدف إلى تحقيق الرفاه والسعادة تتنافى مع وجود الضرر، فإذا وُجد ضرر وجبت إزالته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا ضرر ولا

١ - أخرجه أبو داود في سننه، باب في كراهية حرق العدو بالنار، (برقم: ٢٦٧٥)، والطبراني في المعجم الأوسط، باب: من اسمه علي، (برقم: ٤١٤٣). وصححه الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود»، (١٧٥/٦).

ضرار»^(١)، وفي غزوة حنين ظهر تطبيق هذا المبدأ في مواطن كثيرة منها:

١- أزال رسول الله ﷺ الضرر الواقع على المسلمين من سهام ثقيف بحرق بعض نخيلهم، قال ابن إسحاق: حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الشَّدْحَةِ عِنْدَ جِدَارِ الطَّائِفِ، دَخَلَ نَفْرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - تَحْتَ دَبَّابَةٍ، ثُمَّ دَخَلُوا بِهَا إِلَى جِدَارِ الطَّائِفِ لِيُحْرِقُوهُ، فَأَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفٌ سَكَكَ الْحَدِيدِ مُحَمَّامَةً بِالنَّارِ، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِهَا، فَرَمْتَهُمْ ثَقِيفٌ بِالنَّبْلِ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ رَجَالًا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِقَطْعِ أَعْنَابِ ثَقِيفٍ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِيهَا يَقْطَعُونَ، قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: فَسَأَلُوهُ أَنْ يَدْعَهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : «فَإِنِّي أَدْعُهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ»^(٢)، في هذا الحديث لم يستبح الرسول ﷺ قطع أعناب ثقيف إلا للضرورة، وتوقف بعدما أزال الضرر الواقع على المسلمين منهم، وبعدهما أمن مكرهم وضررهم.

٢- أقر رسول الله ﷺ قتل دريد بن الصمة- دفعاً لضرره- وكان دريد ابن الصمة حين قتل ابن عشرين ومئة سنة، وقيل ابن ستين ومئة سنة، وإنما جاز ذلك دفعاً لضرره وأمثاله فيما يعطي قومه من نصيحة ضد المسلمين مشوبة بالخبرة التي تجمعت في حياته، وهو محمول على حديث سمرة بن جندب مرفوعاً: «اقتلوا شيوخ المشركين واستبقوا شرخهم»^(٣)، وفي الحديث «فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ - لَمَّا فَرَّغَ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشِ أَوْطَاسٍ فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ وَقَدْ كَانَ نَيْفَ عَلَى الْمِائَةِ وَقَدْ أَحْضَرُوهُ لِيُدْبِرَ لَهُمُ الْحَرْبَ، فَقَتَلَهُ أَبُو

١- أخرجه مالك في الموطأ، باب القضاء في المرافق، (برقم: ٢٧٥٨ / ٦٠٠). بتحقيق الأعظمي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١ / ٤٩٨.

٢- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧، ١٥٤١٥، ١٩٩٤م، (٣ / ٤٣٥).

٣- أخرجه أبو داود، باب في قتل النساء، (برقم: ٢٦٧٢)، والبيهقي في السنن الكبرى، باب قتل من لا قتال فيه من الكفار، (برقم: ١٨١٦٤). ضعفه الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود»، (٦ / ١٧٠). وفي «ضعيف الجامع الصغير» (١٠٦٣).

عَامِرٍ وَلَمْ يُنْكِرِ النَّبِيُّ - ﷺ - ذَلِكَ عَلَيْهِ^(١).

من واقع هذين المثالين يتضح لنا تطبيق الرسول ﷺ قاعدة الضرر يزال في الحرب على الموارد النباتية والبشرية وكلاهما متعلق بجوهر التنمية المستدامة.

درء المفسد مقدم على جلب المنافع^(٢): هذا مبدأ لا يتجزأ عن سابقه، ولا يقل أهمية عنه، فإن إزالة الضرر نوع من درء المفسد، لكن الأمر هنا يحتاج لفقهاء أكثر، وحكمة أعمق، لتبين المفسدة الكامنة من طلائع المصلحة الظاهرة، قال الشوكاني في قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٦] «وَقَدَّمَ سُبْحَانَهُ الضَّرَّ عَلَى النَّفْعِ لِأَنَّ دَفْعَ الْمَفْسَدِ أَهَمُّ مِنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ»^(٣).

وأصلها من السنة قول النبي ﷺ عن عائشة أم المؤمنين أن النبي ﷺ قال: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله، ولجعلت بابها بالأرض، ولأدخلت فيها الحجر»^(٤)، وفي غزوة حنين تجلّى تطبيق هذا المبدأ في توزيع الغنائم على من تألفهم النبي ﷺ ولم يُعطِ الأنصار شيئاً؛ لأن حماية حديثي الإسلام من غوائل نفوسهم أن ترجع للكفر أو تركز إلى النفاق أهم وأعظم من المصالح التي قد تتحقق للأنصار إذا أعطوا من ذلك المال، كما أن المصلحة التي تتحقق للأنصار بعطاء المال مصلحة دنيوية لا يتأثر إيمانهم بعطاء ولا منع^(٥)، قال ابن القيم «فإنه وإن كان في الحرمان مفسدة؛ فالمفسدة المتوقعة من

١- الشوكاني، نيل الأوطار، الناشر: دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ، ٢٩٢/٧.

٢- انظر: زكريا بن غلام قادر الباكستاني، أصول الفقه على منهج أهل الحديث، الناشر: دار الخراز، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، (ص: ١٣٥، وما بعدها).

٣- الشوكاني، فتح القدير، ٧٢/٢.

٤- أخرجه مسلم في صحيحه، باب نقض الكعبة وبنائها، (برقم: ٣٣٠٧).

٥- ينبغي أن يعلم أن هذه العطايا التي تألف بها رسول الله أقواماً إلى الإسلام كانت من خُمسِه د وليس من أسهم الجند والمجاهدين، انظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٤٢٤).

فوات تأليف هذا العدو أعظم، ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدين باحتمال أدناهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما»^(١).

ويرتبط هذا الموقف النبوي العظيم في علاج نفوس الأنصار بالتنمية المستدامة ارتباطاً وثيقاً؛ وذلك لأن التنمية الأخلاقية البشرية هي الأساس في كل أنواع التنمية من المنظور الإسلامي.

الضرورة تقدر بقدرها: من المبادئ والقواعد التي تجري عليها التنمية المستدامة في الإسلام أن الضرورة التي تقضي فعل ضرر أصغر وتحمله دفعاً لضرر أكبر منه ليست موافقة مفتوحة بتعاطي الضرر الأصغر وقبوله، بل هي رخصة مؤقتة تنتهي بانتهاء الحاجة إليها، لهذا عندما دعت الضرورة لحرق بعض الغطاء النباتي، دفعاً للضرر الواقع على المسلمين من سهام ثقيف، أمر الرسول ﷺ الصحابة أن يفعلوا ذلك لدفع الضرر، فلما حدث ما يريده النبي ﷺ وانكفت سهام ثقيف عن المسلمين أمر الرسول ﷺ بوقف هذا العمل الذي دعت إليه الضرورة.

وبهذا يتقرر أن التنمية المستدامة في الإسلام لها أسس مرجعية تدور في فلكها وهي النصوص الشرعية وما يؤخذ منها من أحكام أو قواعد وضوابط تنظم السلوك الإنساني وتضبط تفاعله مع البيئة من حوله ليكون إيجابياً في تعامله مع الموارد التي سخرها الله تعالى للإنسان، وتلك هي التنمية المستدامة التي يحاول العالم الحديث تحقيقها.

١ - ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/ ٤٨٦، بتصرف يسير.

الخاتمة

في ختام هذا البحث أسطر بين يدي القارئ الكريم عددًا من النتائج والتوصيات، التي أسفر عنها البحث:

أولاً النتائج:

- التنمية المستدامة في الفكر المعاصر ظهرت نتيجة تطورات في محاولات تنموية متعددة، بينما في المنظور الإسلامي فإن التنمية المستدامة تمثل أساساً ثابتاً يناسب عالمية الإسلام في الزمان والمكان.
- التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي هي تنظيم تفاعل الإنسان مع مكونات البيئة حوله؛ ليستثمرها استثماراً صحيحاً ليحقق الاستخلاف، الذي يفرض عليه تسليم الموارد حوله للأجيال القادمة أتم وأكمل مما كانت عليه.
- تركز التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي على منحة تكريم الله تعالى للإنسان، وتكليف استخلافه في الأرض لعمارتها، وبذلك فالتنمية في الإسلام حق وواجب، وأمانة ومسئولية.
- تتميز التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي بما فيها من بُعد أخلاقي وتعبدي، فالتنمية معلم من معالم الاستخلاف في الأرض، وطريق الوصول الصحيح إليه.
- تعتمد التنمية المستدامة على ترشيد التعامل مع الموارد المتنوعة وصيانتها، والمحافظة على التنوع الحيوي القائم، ولا يتم شيء من هذا إلا في ظلال التنمية البشرية وتقويم ذات الإنسان أولاً.
- اهتمت السنة النبوية بالتنمية المستدامة كثيراً من خلال: بناء الشخصية

المسئولة، الدعوة إلى الإحسان مع الموارد البيئية، وجعل ذلك من علامات الإيمان وأسباب المغفرة، وأمر بالزراعة وإحياء الأرض، وحفر القنوات والأنهار، وحماية الموارد وصيانتها، والحرص على بقاء التنوع الحيوي.

- أظهرت غزوة حنين التنمية المستدامة بصورة تطبيقية من خلال: التنمية الأخلاقية للإنسان، وحماية الموارد البيئية وتشمل: الموارد المائية، والمائية، والنباتية، والطبيعية، والحيوانية، والهواء، وغير ذلك.

- من أهم مبادئ التنمية المستدامة التي تجلت يوم حنين قاعدة الضرر يزال، وقاعدة درء المفسد مقدم على جلب المنافع، وقاعدة الضرورة تقدر بقدرها.

- تمثل غزوة حنين نموذجاً من الغزوات النبوية التي تعكس لنا التنمية المستدامة وتوضح لنا معالمها، مما يدفع الباحثين لاستقراء أحداث باقي الغزوات وجوانب السنة والسيرة النبوية لبيان التطبيقات النبوية في التنمية المستدامة.

ثانياً التوصيات:

- أوصي الباحثين بضرورة التأصيل الشرعي لوسائل وآليات التنمية المستدامة في الفكر المعاصر.

- أوصي المراكز البحثية بتخصيص لجان بحثية للقيام بدراسة تحليلية تنموية للسيرة النبوية الشريفة.

- أوصي الهيئات الأكاديمية بعمل مؤتمرات تنموية تهدف إلى ترسيخ روح التنمية المستدامة بالمنظور الإسلامي الشامل الذي يجعل الإنسان مسئولاً أميناً ومحاسباً عن جميع الموارد المحيطة به.

قائمة المصادر والمراجع

- البار، عدنان أحمد، وجنق ليو، المبادئ الإسلامية المتعلقة بالتحكم في الأمراض السارية وأثرها في الوقاية من هذه الأمراض، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد الحادي عشر، السنة الثالثة، ربيع الآخر - جمادى الأولى، جمادى الآخرة ١٤١٢هـ / أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر ١٩٩١ م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م.
- الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م.
- جيدنز، أنطوني، بعيدا عن اليسار واليمين، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، الكتاب رقم ٢٨٦.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد القادر الحمد، (ط١) ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.
- حسن، خليل رحمة علي، دور الحركة الكشفية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، بحث منشور في المؤتمر الكشفي العربي التاسع والعشرين، شرم الشيخ، مصر، «الكشفية وأهداف التنمية المستدامة».
- عبد الخالق، عبد الله، العالم المعاصر والصراعات الدوليّة، سلسلة عالم المعرفة ١٣٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩.
- الخرمان، بكر عبد الله، آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية، بحث منشور في المؤتمر الدولي «آليات حماية البيئة» طرابلس، لبنان، ٢٦-٢٧ / ٢٠١٧ م.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي سَنَ أَبِي دَاوُدَ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- زكريا بن غلام قادر الباكستاني، أصول الفقه على منهج أهل الحديث، دار الخراز، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- الشوكاني، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط ١. ١٤٢١هـ - ٢٠٠١.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥.
- عرجون، محمد الصادق، محمد رسول الله، دمشق، دون رقم طبعة ولا تاريخ.
- علي، مصطفى حسن، نقد مفاهيم المنظمات الدولية للتنمية والنظام الاقتصادي الدولي الجديد، مجلة دراسات عربية، العدد ٦، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ١٩٨٣.
- العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة السادسة، ١٤١٥ - ١٩٩٤.
- العوضي، سعاد عبد الله، البيئة والتنمية المستدامة، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، الكويت.
- الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ / ١٩٦٤، دار الكتب العلمية، ت: أحمد الردوني، وإبراهيم أطفيش.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة ٢٧، ١٤١٥ - ١٩٩٤.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، ت: ٧٧٤هـ: - البداية والنهاية، ١٤٠٧-١٩٨٦.
- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.
- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقي (ت: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- ابن هشام، جمال الدين عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

References and Sources:

- Al-b'ar, Adnan, waJunqliyu, Al-mabad' Al-Islamiyah Al-Mut'aliqahbiltahkum fi Al-amradh Al-Ssariyahwa'atharaha fi Al-wiqayah min hadhih Al-amradh, Majalat Al-Buhwth Al-Fiqhiyah Al-Mu'asirah, Al-'adadAl-ahadi 'ashar, Al-ssana-hAlthalithah, Rayi'a al-awwal- Jumada Al-'akhirah 1412h/ October-Novem-bar- December 1991m.
- Albukhari, Mohammed bin Ismail Abu Abdullah Al-Ja'fi, daralghd, Al-jami'a Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhatsr min Om'orRsaoul Allah wasunanihwaaiyamih sahih Al-Bukhari, tahqiq: Mohammed Zohir bin Nasir Al-Nnasir, darthawq Al-nnajat, alttab'ahaloqla, 1422h.
- Al-Bihaqi, Abu Bakr Ahmed Al-Husain bin Ali bin Mousa Al-Khusrawjiridi Al-Khurasani, Abu bakr Al-Bihaqi (384-458h), Al-Sunan Al-Kubra', tahqiq: alduktor Abdullah bin Abdul Mohsin Al-Turki, Markaz hajrlilbuh'uthwaddirasat Al-a'rabiah walislamiyah, alttab'ahaloqla, 1432h-2011m.
- At-Tirmidhi Abu 'Issa, Mohammed bin 'Issa bin Sawrt bin Mousa bin Al-Dha-hak, sunan At-Tirmidhi, tahqiq: Bashar AwwadMa'ruf, dar Al-gharb Al-'Islami-Byrut, 1998m.
- Jidnz, 'Antuni, Ba'idn 'An al-yasarwalyamin, tarjamt: Shawqi Jalal, Al-majlis Al-watanililthaqafahwalfununwal'adab, Al-Kuwait, silsilat 'Alam Al-Ma'rifah, Al-katibraqm 286.
- Ibn al-Qayyim, Mohammed bin Abi Bakr bin Saad Shams al-Ddyin bin Qayyim Al-Jawziyya, Zad Al-Ma'ad fi khayr hudi al'ibad, mua'ssatalrrisalah, Bayrut, taba'ah 27, 1415-1994.
- Abn Hajr, Ala'sqalani, Ahmed bin Ali bin HajrAla'sqalani, Fatah al-Bari sharh sahih al-Bukhari, tahqiq: Abdul Qadir Al-Hamad, (ta 1) 1421h-2001m.
- Abn Kathir, abuAlfida' Ismail bin Amr bin KathirAlqorashiAlbsriAlddimishqi: ta: 774, Al-bidayahwannihayah, 1407-1986.
- Abn Kathir, Al-seerah Al-nnabawyyiah, tahqiq: Mustaf'a Abdul wahid, dar Al-marif'ahliltiba'ahwalnnashrwattawzi'aBayru, 1395h-1976m.
- Abu Dawud, Suliman bin Al-ash'ath bin Ishaq bin Bashir bin Shaddad bin Amro Al-a'zadiAssajistanisunan Abi Dawud, tahqiq: Mohammed Muhyi al-ddyin Abdul Hamid, Almaktah Al-a'sriyah, Satda-Byrut.
- Hasan, Khalil Rahmat Ali, dawr Al-Kashafiyah fi tahqiqAhdaf at-tanmiyah al-mostadamah, bihaithmanshor fi al-mu'tamar al-kashfi al-'Arabi at-tasi' wal'ishrin, Sharm Al-shaikh, Masir, «Al-kashafiyahwa'ahdaf at-tanmiyah al-mostadamah».

- Al-khurman, Bakr Abdullah, 'Aliyattahqiq al-istidamah al-biyaiyah fi as-sanah an-nabawiyah, bahthmanshor fi al-mo'tamar ad-dolali «'Aliyathimayat al-biyaiyah» Tarabulus, Lebnon, 26-27/2017.
- Zakaria bin Ghulam Qadir Al-Bakistani, 'Usul al-Fiqha'alamanhaj'ahl al-hadith, dar al-Kharraz, , alttab'ahaloqla, 1423h-2002m.
- Al-shshawkani, Nayil Al-Awtar, tahqiq: Isam ad-dyyin Al-Sababti, dar al-hadith, Masir, , alttab'ahaloqla, 1413h-1993m.
- Ash-shaibani, Abu Abdullah bin Mohammed bin Hanbal bin Hilal bin Asad. MusnadAl'imam Ahmed bin Hanbal. Tahqiq: Shuaib Al'arna'wt, Adel Mursid, w'akhar'un, Ishr'af: da Abdullah bin Abdul Mohsin At-Turki. Byrut: mua'ssatalrrisalah, ta1. 1421h-2001m.
- At-Tabarani Abu Al-Qasim Suliman bin Ahmed At-Tabarani, Al-Mu'jam Al-'Awsat, tahqiq: Tariq bin Awadh Allah Mohammed, wa Abdul Mohsin bin Ibrahim Al-Husini, dar Al-Haramin, Al-Qahirah, 1415.
- Abdul Khaliq, Abdullah, Al'alamalmu'asirwa As-sira'at Ad-duwaliyah, silsilat 'Alam Alma'rifah 133, almajlis al-watanililthaqafahwalfununwal'adab, Al-Kuwait, 1989.
- Arj'un, Mohammed As-Sadiq, Mohammed Rasul Allah, Dimashq, bid' unraqm-taba' ahwala Tarikh.
- Ali, Mustaf'a Hasan, naqdmafahyim al-munazamat ad-duwaliyah, liltanmiyah-wanizam al-'iqtisadi ad-duwali al-jadid, majalatdirasat 'Arabyiah, al-'adad 6, dar at-Tali'ahliltiba'ah, Byrut, 1983.
- Al-'omari, AkramDhiya', as-seerah an-nabawiyah as-sahih amuhawalatli tatbiqqawa'id al-muhadithin fi nqdriwayat as-seerah an-nabawiyah, maktabatal' ol'umwalhikam, al-madinah al-monawarah, at-taba'ah as-sadisah, 1415-1994.
- Al-'Awadi, Sua'ad Abdullah, al-biyaiyahwaat-tanmiyahal-mostadamah, Al-Jam'iyah Al-Kuwaitiyahlihimayatal-biyaiyah, Al-Kuwait.
- Al-Fakhr Ar-razi, Abu Abdullah bin Omar bin Al-Hasan bin Al-Husain At-tamimi, At-tafsir Al-Kabir, darIhya'a Al-'Arabi, Byrut, attab'ahAlthalithah, 1420h.
- Al-Qurtubi, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Abi Bakr bin Faraj Al-'ansari Al-khazraji, Al-Jama' lihkam Al-Quran, , attab'ahath-thaniyah, 1384/1964, dar al-kutub al'ilmiyah, ta: Ahmed Ar-raduni, wa Ibrahim Atfish.
- Muslim, Muslim bin Al-hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushari An-nisab'uri, musnad as-sahih al-mukhtasr binaqlal'adl 'an al'adl 'ilarasul Allah. Tahqiq: Mohammed Fuad Abdul Baqi. Byrut: Dar 'Ihya' at-turath al'arabi.

- Abn Manzur, Mohammed bin Makram bin Ali, abuAlfadhl, Jamal alddiyin Al'ansari Al'ifriqi (ta: 711h), lisanal'arab, darsadir-Byrut, attab'ah Althalithah, 1414h.
- Abn Hisham, Jamalual-Ddyin bin Ayuob Al-himyari Al-ma'afiri: Al-seerah Al-nnabawyyiah, tahqiq: Mustaf'a Al-ssaqawa Ibrahim Al-ibyariwa Abdul hafiz Al-shshalabi, alttaba'halththaniyah, sharikatmaktabatwatiba'at Al-babiwa'awladudu bi Misr, 1375h-1955m.

حكم إقراض الأجنبي من
مال الشركة والاقتراض لها منه

**The Ruling on Lending a Foreigner
the Company's Money and
Borrowing Money for It from Him**

أ. د. عبد المجيد محمود سلام الصلاحيين
الجامعة الأردنية - كلية الشريعة - قسم الفقه وأصوله

Prof. Abd-Almajeed Mahmmoud Salaheen
Department of Islamic Jurisprudence and its Foundation,
Faculty of Sharia, University of Jordan

<https://doi.org/10.47798/awuj.2023.i67.07>

تاريخ تسلم البحث 2020/03/05 - وصدر خطاب القبول 2021/05/24



Abstract

Throughout the time, companies have always played a pivotal role in economic activity in societies in general. This is accomplished through the optimization they provide for institutions with multiple investment activities, which contribute to the economic progress of any society. In this context, there appears a partner's freedom to dispose of the company's money and the restrictions imposed on him by other partners.

This study singled out the partner for the company's money in lending and borrowing, and the extent of this permissibility without the permission of other partners, through the presentation of doctrines and their evidence, discussion and weighting, up to the conclusion that lending is permissible with the measures and controls mentioned in the study. Borrowing is permissible only when the nature of the company itself allows.

Keywords: disposition, company, lending, borrowing.

ملخص البحث

تضطلع الشركات قديماً وحديثاً بدور مهم ومحوري في النشاط الاقتصادي في المجتمعات عموماً، لما توفره من توظيف أمثل للمال في أنشطة استثمارية متعددة، تساهم في التقدم الاقتصادي لأي مجتمع. وفي هذا الإطار تبرز حرية تصرف الشريك في مال الشركة، وما يرد عليها من قيود من سائر الشركاء.

وقد أفردت هذه الدراسة بتصرف الشريك بمال الشركة إقراضاً واقتراضاً ومدى جواز ذلك دون إذن سائر الشركاء، وذلك بعرض المذاهب وأدلتها والمناقشة والترجيح، وصولاً إلى الخاتمة التي من أهم نتائجها، جواز الإقراض بضوابط ذُكرت في ثنايا الدراسة، وعدم جواز الاقتراض إلا فيما تجيزه طبيعة الشركة.

الكلمات المفتاحية: التصرف، الشركة، الإقراض، الاقتراض.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد.
ما فتئت الشركات قديماً وحديثاً تستقطب اهتمام الباحثين في شتى المجالات الاقتصادية والقانونية والشرعية، لما تضطلع به من دور بارز في إدامة النشاط الاقتصادي وتحقيق العوائد المجزية للشركاء، عبر التوظيف الأمثل لرؤوس الأموال في دفع عجلة الاقتصاد وتحريكها.

ويعد تصرف الشريك بمال الشركة إقراضاً واقتراضاً من بين المسائل الجديرة بالدراسة من الناحية الشرعية، لذا اتجه هذا البحث إلى دراسة هذه المسألة من الناحية الفقهية، لعله يكون مساهمة متواضعة في هذا المضمار.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة أهداف، منها:

- ١- بيان مفهوم القرض والاستدلال بإيجاز على مشروعيته.
- ٢- بيان حكم إقراض الشريك من مال الشركة دون إذن سائر الشركاء.
- ٣- بيان حكم اقتراض الشريك على مال الشركة دون إذن سائر الشركاء.

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن التساؤلات المحورية الآتية:

- ١- ما مدى حرية تصرف الشريك في مال الشركة؟ وما القيود الواردة عليها؟
- ٢- ما حكم إقراض الشريك من مال الشركة دون إذن سائر الشركاء؟
- ٣- ما حكم اقتراض الشريك على مال الشركة دون إذن سائر الشركاء؟

منهجية الدراسة

زاوجت هذه الدراسة بين المنهجين الآتين:

- ١- المنهج الاستقرائي وذلك بتتبع المادة العلمية في مظانها، في بطون الكتب الفقهية.
- ٢- المنهج التحليلي وذلك بتتبع عرض المذاهب وأدلتها والمناقشات الواردة على تلك الأدلة.

الدراسات السابقة

لم يُفرد تصرف الشريك بمال الشركة إقراضاً واقتراضاً - في حدود علم الباحث واطلاعه - ببحث مستقل يجمع شتاته، وإنما وردت الإشارة إلى هذه المسألة في الكتب التي أفردت لدراسة الشركات عموماً، ومنها:

- ١- الشركات في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، الدكتور عبد العزيز عزت الخياط، منشورات وزارة الأوقاف الأردنية.
- ٢- الشركات في الفقه الإسلامي (بحوث مقارنة)، علي الخفيف، معهد الدراسات العربية العالمية. بالإضافة إلى بعض الدراسات التي ذكرت جوانب تتعلق بهذه المسألة باختصار، ومنها:
- ١- تصرفات الأمين في العقود المالية، الدكتور عبد العزيز بن محمد العجيلان، الحكمة.
- ٢- أحكام تصرفات الشريك في شركة العقد في الفقه الإسلامي، موسى حامد أبو صعيك، دار المنظومة، ٢٠٠٩.
- ٣- تصرفات الشريك بالهبة والإقراض من مال الشركة وتطبيقه على نظام الشركات السعودي، الدكتور خالد عبد الرحمن المهنا.

ركّز الباحث في دراسته على ذكر القواعد الفقهية المتعلقة بعقود الأمانات كما ركّز على الهبة بشكل خاص، ولم يتطرق إلى حكم اقتراض الشريك على مال الشركة وما يستتبعه من إلزام سائر الشركاء بزيادة رأس المال كما أن كلامه عن إقراض الشريك كان مختصرًا.

خطة الدراسة

اشتملت هذه الدراسة على ثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفاهيم الدراسة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم التصرف.

المطلب الثاني: مفهوم القرض ومشروعيته.

المبحث الثاني: إقراض الشريك من مال الشركة.

المبحث الثالث: اقتراض الشريك على مال الشركة.

الخاتمة وفيها أهم النتائج.

المبحث الأول: مفاهيم الدراسة

لا بد قبل الحديث عن تصرفات الشريك في مال الشركة في مسائل القرض من بيان موجز لمفهوم التصرف ومفهوم القرض ومشروعيته وذلك من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: مفهوم التصرف.

المطلب الثاني: مفهوم القرض ومشروعيته.

المطلب الأول: مفهوم التصرف

إن المتصفح لمعاجم اللغة بحثاً عن الإطلاقات اللغوية لمادة (صَرَفَ)، يجدها تدور حول الإطلاقات الآتية:

أ- التصرف في اللغة

١- الرجوع: سواء أكان ذلك مادياً أو معنوياً^(١)، فيقال رجع القوم إلى ديارهم، أو رجعوا إلى أحوالهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٢)، والمراد: رجعوا إلى ما كانوا فيه من نفاق وتآمر على المسلمين^(٣).

١- الفيروز آبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد، القاموس المحيط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان)، ١/ ٧٢٠، الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان)، ٤/ ١٣٨٥، ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، (بيروت، لبنان)، ٣/ ٣٤٢.

٢- التوبة، ١٢٧.

٣- الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠)، ١٤/ ٥٨٢. ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (دار طيبة للنشر والتوزيع)، ٤/ ٢٤٠.

- ٢- التحويل^(١)، فيقال: صرف الماء إلى مكان كذا أي حوّله، وفيه قوله تعالى: ﴿فَطَنُوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا﴾^(٢)، أي متحولاً^(٣).
- ٣- الاحتيال^(٤)، يقال: فلان يتصرف بالأمر أي يحتال له، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾^(٥)، أي لا تقدرّون على حيلة تحتالون بها^(٦).
- ٤- الفعل أو العمل^(٧)، فيقال: تصرف في الأمر أي قام به وعمله.

ب- التصرف اصطلاحاً

لم يقمّ الفقهاء القدامى تعريفاً للتصرف وإنما كانوا يتحدثون عنه عند بيان بعض الأحكام، سواء في المعاملات أو في الأحوال الشخصية أو في القضاء، بيد أن العلماء المحدثين قدموا لنا مجموعة من التعريفات للتصرف، مستقاة من عبارات الفقهاء، والدراسات القانونية، والتعريفات المتداولة في الأدبيات الفقهية الحديثة للتصرف:

- ١- (كل ما يصدر عن الشخص بإرادته ويرتب الشارع عليه نتائج حقوقية)^(٨).
- ٢- (كل عمل ينشئ الالتزام وينتج أثراً شرعياً)^(٩).

- ١- الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس، (دار الهداية)، ٢٤ / ١١، الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، (دار ومكتبة الهلال) ٧ / ١٠٩.
- ٢- الكهف، ٥٣.
- ٣- النيسابوري: أبو الحسن علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (الدار الشامية)، ٦٦٥.
- ٤- الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة، ٢٤ / ١١، الفيروز آبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد، القاموس المحيط، ١ / ٨٢٧.
- ٥- الفرقان، ١٩.
- ٦- الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ١٩ / ٣٦١.
- ٧- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ٣ / ٣٤٢، الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد، تاج العروس، ١١ / ٢٤.
- ٨- الرزقا: مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، (دمشق، سوريا) ١ / ٣٧٩.
- ٩- محمصاني: صبحي، النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الإسلامية، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان) ١ / ٣٣.

٣- (هو ما يصدر عن الشخص المميز بإرادته قولاً وفعلاً ويرتب عليه الشارع نتيجة ما) ^(١).

ويتبين من النظر في التعريفات المتقدمة وغيرها مما هو في معناها ^(٢)، أن هذه التعريفات وإن اختلفت ألفاظاً، فإنها متقاربة من حيث المعنى، وتختلف عن بعضها في أمرين:

إضافة بعض القيود التي تشير إلى صحة التصرف، أو نفاذه، نحو: الإرادة والتمييز والقول والفعل.

الإشارة إلى آثار التصرف مثل: عبارة نتائج حقوقية أو كلمة التزام أو أحكاماً شرعية، وقد تختلف هذه التصرفات في ذكر هذه القيود أو بعضها وإغفال كلها أو بعضها.

المطلب الثاني: مفهوم القرض ومشروعيته

الفرع الأول: مفهوم القرض

أ- القرض في اللغة

تدور المادة اللغوية لكلمة (قَرَضَ)، حول القطع وتجمع على قروض، والقَرْض بالفتح، ويجوز فيه الكسر (قِرَضَ)، هو القطع، ومنه المقرض وهو آلة

١- فَرَّاج: أحمد، الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية، (مؤسسة الثقافة الجامعية) ص ١٤١.
٢- الهاشمي: سلطان بن إبراهيم، أحكام تصرفات الوكيل في عقود المعاوضات، (دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية)، ص ٣٣ وما بعدها، الدرعان: عبد الله بن عبد العزيز، التصرف الانفرادي، (مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية)، ص ٧٨، الزرقا: مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، ١ / ٣٧٩، البعلي: عبد الحميد محمود، ضوابط العقود في الفقه الإسلامي، ص ٢٤.

القطع، مثل: المقص ونحوه^(١)، ويُطلق القرض على الأمور المادية والمعنوية^(٢)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ﴾^(٣)، أي يفعل الحسنات التي سيجازيه بها الله فهو ليس قرض معاوضة؛ لأن الله غني عن ذلك كله^(٤).

ب- القرض في الاصطلاح

يُعرّف القرض في الاصطلاح بتعريفات متقاربة في المعنى، وإن اختلفت ألفاظها ومن هذه التعريفات:

- ١- (دفع مال مثلي لآخر ليرد مثله)^(٥).
- ٢- (تمليك الشيء على أن يرد بدله)^(٦).
- ٣- (دفع مال إرفاقاً لمن ينتفع به ويرد له)^(٧).

ويتضح من التعريفات السابقة عدم انطوائها على فروق جوهرية تذكر، وأن

- ١- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ٧١ / ٥، أبو الفضل: محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ)، ٢١٦ / ٧، الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد، تاج العروس، ١٩ / ١٧.
- ٢- أبو الفضل: محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ٢١٧ / ٧، الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد، تاج العروس، ١٩ / ١٧.
- ٣- البقرة، ٢٤٥.
- ٤- الكيا الهراسي: علي بن محمد بن علي، أحكام القرآن، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥)، ٢٢١ / ١، الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ٥ / ٢٨٢.
- ٥- ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز، الدر المختار وحاشية ابن عابدين، (بيروت، لبنان، ١٤١٢)، ١٦١ / ٥، شيخي زادة: عبد الرحمن بن محمد، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، (دار إحياء التراث العربي)، ٨٢ / ٢.
- ٦- الشرييني: شمس الدين، محمد بن أحمد، مغني المحتاج، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥)، ٢٩ / ٣، الأنصاري: زكريا بن محمد بن زكريا، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، (دار الكتاب الإسلامي)، ١٤٠ / ٢.
- ٧- البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح الدين، كشاف القناع عن متن الإقناع، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان)، ٣١٢ / ٣، البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح الدين، شرح منتهى الإرادات، (١٤١٤) ٩٩ / ٢.

الاختلاف بينها ينحصر في:

- ١- استبدال كلمات بأخرى مرادفة، مثل: استبدال (بدله بمثله).
- ٢- إضافة ألفاظ لا تعد قيوداً أو محترزات، بل إشارات إلى طبيعة القرض ووظيفته، مثل: إضافة (ارتفاقاً)، (يتنفع به).
- ٣- وقد سُمي القرض بهذا الاسم أخذاً من المعنى اللغوي (القطع)؛ لأن المقرض يقطع جزءاً من ماله؛ كي يدفعه إلى المقرض.^(١)

ج- الألفاظ ذات الصلة

ثمة ألفاظ ذات صلة بالقرض ومنها:

- ١- الدين: غير أن الدين أعم من القرض؛ لأنه يشمل القرض وضمن المبيع المؤجل.
- ٢- السلف: ويطلق على القرض بلغة أهل الحجاز.^(٢)
- ٣- القراض: وهو مصطلح يعبر به عن المضاربة عند المالكية والشافعية^(٣)؛ لأن رب المال يقطع جزءاً من ماله ليدفعه إلى المضارب^(٤).

الفرع الثاني: مشروعية القرض

القرض مشروع وقد دلت على مشروعيته جملة أدلة من أبرزها:

- ١- الشريبي: شمس الدين، محمد بن أحمد، مغني المحتاج، ٢٩ / ٣، الأنصاري: زكريا بن محمد بن زكريا، أسنى الطالب، ١٤٠ / ٢.
- ٢- الشريبي: شمس الدين، محمد بن أحمد، مغني المحتاج، ٢٩ / ٣، الأنصاري: زكريا بن محمد بن زكريا، أسنى الطالب، ١٤٠ / ٢.
- ٣- عليش: محمد بن أحمد، منح الجليل شرح مختصر خليل، (بيروت، لبنان، ١٤٠٩)، ٣١٩ / ٧، الخرشي: محمد بن عبدالله، شرح مختصر خليل، (بيروت، لبنان)، ٢٠٢ / ٦، الشريبي: شمس الدين، محمد بن أحمد، مغني المحتاج، ٢٩ / ٣، الأنصاري: زكريا بن محمد بن زكريا، أسنى الطالب، ١٤٠ / ٢.
- ٤- عليش: محمد بن أحمد، منح الجليل، ٣١٩ / ٧، شرح مختصر خليل، ٢٠٢ / ٦، الشريبي: شمس الدين، محمد بن أحمد، مغني المحتاج، ٢٩ / ٣، الأنصاري: زكريا بن محمد بن زكريا، أسنى الطالب، ١٤٠ / ٢.

- ١- قوله تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾^(١)، وهو نص عام يدخل في عمومه القرض؛ لأنه من الخير^(٢).
- ٢- فعله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك أنه استلف بكرة^(٣)، عَنْ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَسَلَفَ بَكْرًا، فَجَاءَتْهُ إِبِلٌ مِنَ الصَّدَقَةِ) - كما هو في صحيح مسلم - فقد استلف أي اقترض النبي صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن القرض جائزاً لما فعله صلى الله عليه وسلم^(٤).
- ٣- قوله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مسلم كربة نفس الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة)^(٥)، وإقراض المسلم يعد تنفيساً لكربته، فيدخل في عموم الحديث^(٦).
- ٤- الإجماع: حيث أجمع العلماء على مشروعية القرض وجوازه^(٧).
- ٥- ولأن في القرض إرفاقاً للمقترض وإحساناً له وإعانة على قضاء حوائجه^(٨).

- ١- الحج، ٧٧.
- ٢- الشرييني: شمس الدين، محمد بن أحمد، مغني المحتاج، ٣ / ٢٩، الأنصاري: زكريا بن محمد بن زكريا، أسنى المطالب، ٢ / ١٤٠.
- ٣- وهو الصغير من الإبل ما لم يبزل، معجم مقاييس اللغة، ١ / ٢٨٨، لسان العرب، ٤ / ٧٩.
- ٤- البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح الدين، شرح منتهى الإرادات، ٢ / ١٠٢.
- ٥- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الإجماع على تلاوة القرآن، حديث ٢٦٩٩، ٤ / ٢٠٧٤.
- ٦- البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح الدين، كشف القناع، ٣ / ٣١٢، الشرييني: شمس الدين، محمد بن أحمد، مغني المحتاج، ٣ / ٢٩.
- ٧- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان)، ١ / ٩٤.
- ٨- البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح الدين، كشف القناع، ٣ / ٣١٢، البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح الدين، شرح منتهى الإرادات ٢ / ٩٩.

المبحث الثاني: إقراض الشريك من مال الشركة

إذا رغب أحد الشركاء أن يقرض أجنبياً^(١) من مال الشركة، فهل له ذلك بموجب عقد الشركة أم لا بد من استئذان سائر الشركاء؟ هذا موضع خلاف بين الفقهاء ويرجع سبب خلافهم في ذلك إلى ما يأتي:

١- الاختلاف في وجه المصلحة، فهل مصلحة الشركة تكون بإقراض الغير من مال الشركة أم إن هذا الإقراض ينافي المصلحة؟ فمن رأى أن في الإقراض من مال الشركة مصلحة أجاز ذلك، ومن لم ير في ذلك مصلحة منع.

٢- طبيعة القرض بذاته: فالقرض فيه جانباً التبرع والمعاوضة، لأنه تبرع ابتداء ومعنى المعاوضة فيه وجوب الرد انتهاء، فمن غلب فيه جانب التبرع أجاز، ومن غلب فيه جانب المعاوضة منع.

وفيما يأتي مذاهب الفقهاء في المسألة:

أولاً: المذاهب وأدلتها

اتفق الفقهاء^(٢) على أن الشريك إذا تصرف بالإقراض من مال الشركة فله ذلك بإذن شريكه إذا كان الإذن صريحاً، وأما إن تصرف الشريك بالإقراض من مال الشركة دون إذن سائر الشركاء، فقد اختلف الفقهاء في ذلك على النحو الآتي:

- ١- الأجنبي في الشركة ليس بشريك.
- ٢- السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل، المسوط، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٤)، ١١ / ١٨٠، ابن الهمام: كمال الدين محمد، فتح القدير للكمال، ٦ / ١٨٥، الخرشبي: محمد بن عبد الله، شرح مختصر خليل، ٦ / ٤٣، ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله، الكافي في فقه أهل المدينة، (مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة السعودية)، ٢ / ٧٨٤، الهيثمي: أحمد بن محمد بن علي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج (المكتبة التجارية الكبرى، مصر)، ٥ / ٢٨٩، الرملي: شمس الدين محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج، ٥ / ٩، البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح الدين، كشاف القناع، ٣ / ٥٠٠، البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح الدين، شرح منتهى الإرادات، ٢ / ٢١١.

أ- ذهب الحنفية^(١)، والشافعية^(٢) في ظاهر المذهب وكذا الحنابلة^(٣) في أرجح الروايتين عن الإمام أحمد إلى عدم جواز تصرف الشريك بالإقراض من مال الشركة إلا بإذن صريح من الشركاء بأن يقول له: أذنت لك بالإقراض. وأما بالتفويض المطلق نحو: قول الشريك اعمل فيه برأيك، فإن الشريك لا يملك الإقراض بهذا التفويض^(٤).

وقد استدل أصحاب هذا المذهب على ما ذهبوا إليه بجمللة أدلة فيما يأتي أبرزها:

١- القياس على الهبة بجامع أن كل منهما لا تدخله المعاوضة^(٥)، بل هو أولى بأن القرض أعظم أجراً، وأجزل مثوبة. بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «الْصَّدَقَةُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةِ عَشْرٍ»^(٦)، وقد فضل القرض على الصدقة في الأجر؛ لأن المقرض لا يقترض إلا وهو محتاج، بخلاف السائل الذي قد يسأل الصدقة وهو غير محتاج لها^(٧).

- ١- الكاساني: علاء الدين أبو بكر، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ)، ٦ / ٧٢، ابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، (دار الكتاب الإسلامي)، ٥ / ١٩٣.
- ٢- الهيثمي: أحمد بن محمد بن علي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ٥ / ٢٨٩، النووي: أبو زكريا محيي الدين، منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه (بيروت، لبنان)، ١ / ١٣٢.
- ٣- ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله، المغني لابن قدامة، ٥ / ٢٨، الهيثمي: أحمد بن محمد بن علي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ٥ / ٢٨٩، الرملي: شمس الدين محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ٥ / ٩.
- ٤- الكاساني: علاء الدين أبو بكر، بدائع الصنائع، ٦ / ٧٢، ابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق، ٥ / ١٩٣.
- ٥- اتفق الفقهاء على عدم جواز تبرع الشريك من مال الشركة بالهبة، واستثنى المالكية ما إذا كان ذلك للاستلاف، (انظر: ابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق، ٥ / ١٩٢، الهيثمي: أحمد بن محمد بن علي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ٥ / ٢٨٨-٢٨٩، كشاف القناع، ٣ / ٥٠٠، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ٣ / ٣٤٨).
- ٦- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الصدقات باب القرض حديث (٢٤٣١)، ٢ / ٨١٢. قال الألباني: حديث ضعيف جداً. (انظر: ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الجزء ١ / ص ٢٧٠ / رقم ٥٣٥).
- ٧- السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، ١١ / ١٨٠.

- ٢- ولأن القرض تبرع، إذ لا عوض له في الحال، والشريك لا يملك التبرع من مال الشركة إلا بإذن شريكه^(١). فإذا فعل كان متعدياً فيكون ضامناً بتعديه^(٢).
- ٣- ولأن القرض إتلاف للمال؛ لأن المقترض قد لا يرد القرض، فيكون بذلك إضاعة للمال^(٣)، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله: (أن الله قد كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)^(٤).
- ٤- ولأن الشريك مسلط على مال شريكه بما فيه مصلحة، ولا مصلحة للشركة في إقراض مال الشركاء^(٥).
- ٥- ولأن الشركة إنما انعقدت على التجارة بالمال وهذا ليس منها^(٦).
- ٦- ولأن القرض منافٍ لمقصود الشركة وهو الاسترباح^(٧).
- ٧- كما استدلووا على عدم جواز إقراض الشريك من مال الشركة بالتفويض المطلق، نحو: قول الشريك اعمل برأيك، بأن هذا التفويض إنما يتناول أمور التجارة والإقراض ليس منها^(٨).

- ١- السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، ١١ / ١٨٠، الزييلي: عثمان بن علي بن محجن البارع، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، (المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، ١٣١٣)، ٣ / ٣١٥، الملا خسرو: محمد بن فرامرزن علي، درر الحكام شرح غرر الاحكام، (دار إحياء الكتب العربية)، ٢ / ٣٢٠.
- ٢- السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، ١١ / ١٨٠.
- ٣- ابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق ٥ / ١٩٣.
- ٤- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة، باب لا يسألون الناس إلحافاً، حديث (١٤٧٧)، ٢ / ١٢٤، أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل، حديث (١٧١٥)، ٣ / ١٣٤٠.
- ٥- الهيثمي: أحمد بن محمد بن علي، تحفة المحتاج، ٥ / ٢٨٩، الرملي: شمس الدين محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج، ٥ / ٩.
- ٦- الهوتوي: منصور بن يونس بن صلاح الدين، كشف القناع، ٣ / ٥٠٠.
- ٧- الهوتوي: منصور بن يونس بن صلاح الدين، شرح منتهى الإرادات، ٢ / ٢١١، السيوطي: مصطفى بن سعد بن عبده، مطالب أولي النهى، ٣ / ٥٠٦.
- ٨- الكاساني: علاء الدين أبو بكر، بدائع الصنائع، ٦ / ٧٢، ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله، المغني، ٥ / ١٨.

ب- وذهب المالكية^(١) إلى جواز إقراض الشريك من مال الشركة إذا كان في ذلك مصلحة للشركة نحو: استتلاف التجار من خلال الإقراض بما قد يغريهم بالاتجار والتعامل مع الشركة.

وقد استدل أصحاب هذا القول بأن في الإقراض من مال الشركة مصلحة تعود على سائر الشركاء بترغيب المقترض بالاتجار مع الشركة^(٢).

ج- وذهب أبو حنيفة في إحدى الروايتين عنه، وهي رواية الحسن بن زياد اللؤلؤي^(٣)، والإمام أحمد في إحدى الروايتين أيضاً، وهي الرواية التي اختارها ابن عقيل^(٤) إلى جواز إقراض الشريك أجنبياً عن الشركة من مالها، وأن هذا التصرف جائز وينفذ على سائر الشركاء.

وقد استدل أصحاب هذا القول بما يأتي:

١- القياس على الكفالة بجامع أن القرض والكفالة يرد فيهما المال، فالمقترض يرد المال إلى مقرضه، كما أن الكفيل يرجع بما أداه على المدين^(٥).

٢- الاستحسان للمصلحة لأن في الإقراض من مال الشركة منفعة تعود على الشركة لكثرة المتعاملين معها، من غير ضرر؛ لأن المقترض سيعيد ما اقترضه إلى لشركة^(٦).

١- الخرشبي: محمد بن عبد الله، شرح مختصر خليل، ٤٣ / ٦، الكافي في فقه أهل المدينة، ٧٨٤ / ٢، الخطاب: شمس الدين أبو عبد الله محمد، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، (بيروت، لبنان، ١٤١٢ هـ)، ١٢٧ / ٥، المواق: أبو عبد الله محمد بن يوسف، التاج والإكليل لمختصر خليل، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦)، ٧٩ / ٧، ٨٠.

٢- الخرشبي: محمد بن عبد الله، شرح مختصر خليل، ٤٣ / ٦.

٣- السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، ١١ / ١٨٠، الكاساني: علاء الدين أبو بكر، بدائع الصنائع، ٧٢ / ٦، ابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق، ١٩٢ / ٥.

٤- المرادوي: علاء الدين أبو الحسن، الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف، (دار إحياء التراث العربي)، ٤١٤ / ٥.

٥- السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، ١١ / ١٨٠.

٦- الكاساني: علاء الدين أبو بكر، بدائع الصنائع، ٧٢ / ٦، المرادوي: علاء الدين أبو الحسن، الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ٤١٤ / ٥.

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن أصحاب هذا القول لا يشترطون المصلحة لجواز الإقراض وإن كانوا يستدلون بالاستحسان من خلالها، فثمة فرق عندهم بين أن تكون المصلحة شرطاً لجواز الإقراض، وبين أن تكون دليلاً على جوازه، فالإقراض جائز عندهم مطلقاً لأن فيه في الغالب مصلحة للمقرض.

٣- القياس على العارية فإن القرض يشبه العارية من حيث وجوب الرد، فكما أن للشريك أن يعير من مال الشركة، فله أن يقرض منها^(١).

ثانياً: المناقشة والترجيح

وبعد هذا الاستعراض لأقوال المذاهب وأدلتها فإنه لا يسع الباحث إلا أن يسجل الملاحظات الآتية:

١- إن أدلة مانعي الإقراض من مال الشركة هي أدلة قوية وتتناسب مع طبيعة الشركة ومقاصدها الأساسية، تلك المقاصد القائمة على الاسترباح وتعظيم العوائد وزيادتها. كما أن تلك الأدلة تلاحظ المخاطر التي ينطوي عليها الإقراض من تعريض رأس مال الشركة لمخاطر الهلاك المتمثلة بإمكانية جحود القرض أو المماطلة في قضائه.

٢- إن بعض تلك الأدلة ينبنى على انتفاء المصلحة في الإقراض، بل على انطوائها على مفسدة تتمثل في تجميد بعض رأس مال الشركة وتعطيله عن القيام بالنشاطات الاستثمارية للشركة على الوجه الأكمل.

٣- ورغم ذلك كله فإن هذه الأدلة «أي أدلة المانعين» بما تقدمه من مبررات تنطوي - في جُلها - على دفع المفسد المتوقع من العمليات الإقراضية وتحصيل المصالح المتأتية عن استبقاء مال الشركة جاهزاً ومُعَدّاً لأي أنشطة استثمارية

١- ابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق، ٥/ ١٩٢.

وتجارية طارئة إلا أن هذه الأدلة لا تصح، إلا إن كان الإقراض من مال الشركة جائزاً مطلقاً، دون قيد ولا ضابط يمنع المفاصد المتأتية من الإقراض.

٤- إن استدلالات المانعين المستندة إلى القياس على سائر عقود التبرعات، مثل: الهبات والصدقات، لا تبدو متجهة ولا منتجة، وذلك لقيام الفارق بين الفرع المقيس والأصل المقيس عليه، فإن عموم عقود التبرعات قائمة على التبرع المطلق غير المستحق لرد القيمة أو المثل؛ بينما تقوم فكرة القرض على الانتفاع المؤقت ببعض المال ثم رد مثله دون زيادة أو نقصان، وبذلك يبدو الفرق بين القرض من جهة وأغلب عقود التبرعات من جهة أخرى.

٥- وإذا كان لا بد من قياس للقرض على عقود التبرعات فإن القرض أشبه بالعارية من أي عقد تبرع آخر، اللهم إلا أن العارية تكون في الأعيان بخلاف القرض الذي يكون في الأثمان غالباً.

٦- وعلى ذلك فإن المفاصد المراد استدفاعها والمصالح التي يراد استجلابها من خلال المنع المطلق للإقراض لا تبدو ماثلة في الإقراض المنضبط بالضوابط التي تضبط عملية الإقراض، الأمر الذي لا يكون فيه وجود للمفاصد المتوخى استدفاعها، ولا غياب للمصالح المتوخى استجلابها.

٧- إن الفتح الجزئي والمحدود لباب الإقراض ينطوي هو الآخر على مصالح يراد جلبها نحو الإحسان للتجار وربما إقالة عثراتهم، وما يستتبع ذلك من مصالح تجارية نحو: استرجار تعامل المقترضين مع الشركة المقرضة وتحصيل السمعة الطيبة في السوق، دون أن ينطوي ذلك على مفاصد الضرر وتعطيل رأس المال.

٨- كما أن الإجازة المطلقة للإقراض لا تتناسب وطبيعة الشركات ومقاصدها،

وتنطوي على كثير من المفاصد التي أشار إليها أنصار المنع المطلق للإقراض، ولعل القول بالجواز المطلق هو المستهدف بأغلب استدلالات القائلين بالمنع المطلق للإقراض.

٩- إن استدلالات القائلين بالمنع المطلق تغفل حقيقة أن المقرض هو أحد الشركاء وأن له حصة من رأس مال الشركة، وإنه - نتيجة لذلك - لا يقل حرصاً عن سائر الشركاء على أموال الشركة، وأن مظنة التفريط بتلك الأموال أو المحاباة فيها تبدي وبعبارة؛ لأن صاحب المال لا يفرط بماله ولا يحابي ولا يجامل فيه أحداً، كائناً ما كانت علاقته به غالباً.

١٠- ثم إن الكثير من أدلة القائلين بالمنع المطلق يمكن أن تناقش بما يضعف دلالتها على المدعى، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

أ- أما انطواء الإقراض على إضاعة المال، فيمكن أن يناقش بأن لازمه القول بعدم مشروعية القرض؛ لاحتمال عدم الرد، فضلاً عن أن القرض فيه تنمية للمال أحياناً؛ لما يمكن أن يتأتى عن فتح باب الإقراض من رغبة في التعامل مع الشركة المقرضة، وما يستتبع تلك التعاملات من أرباح تعود على الشركة.

ب- وأما الاستدلال بقيام عقد الشركة على المصلحة، وأنه لا مصلحة في الإقراض، فغير متجه؛ لأن في استجرار التعاملات التجارية مع الشركة المقرضة مصلحة غير خافية، فلا تتناقض مع فكرة قيام عقد الشركة على المصلحة.

ج- أما الاستدلال بمنافاة القرض مقصود الشركة، وهو الاسترباح، فغير متجه أيضاً؛ لأن الإقراض يؤدي إلى الاسترباح بما يستجره من معاملات تجارية واستثمارية مع الشركة المقرضة، وهذه الأنشطة التجارية والاستثمارية

تنطوي على أرباح وعوائد، تحققها الشركة المقرضة.

د- وأما الاستدلال بكون الإقراض من مال الشركة يعد تعدياً، فغير سليم؛ لأن هذه هي الدعوى، فالذين يجيزون الإقراض، لا يعدونه تعدياً.

هـ- وأما الاستدلال بقيام الشركة على التجارة، وأن الإقراض ليس من التجارة، فيمكن الجواب عنه، بأن الإقراض وإن لم يكن من التجارة، فإنه من لوازمها، بل قد يصب في الأنشطة التجارية، وذلك بتشجيع المقترضين على إعطاء الأولوية في أنشطتهم التجارية للشركة المقرضة.

١١- إن بعض أقيسة المجيزين بإطلاق لا تبدو سليمة؛ لأنها قياس فرع مختلف فيه، على أصل مختلف فيه، وإنما يصح القياس، إذا كان قياساً لفرع مختلف فيه على أصل متفق عليه، فهذا القياس هو الذي يلزم المخالف وليس القياس الأول، وذلك نحو: قياس المجيزين القرض على الكفالة والعارية.

١٢- وبناء على ما تقدم فإن الباحث يرجح جواز الإقراض من مال الشركة وفق الضوابط الآتية:

أ- أن يكون المال المقرض يسيراً، وفي حدود المتعارف عليه بين التجار.
ب- عدم وجود اتفاق صريح أو ضمني يحول دون ذلك بأن يتفق الشركاء على منع الإقراض، لأن وجود مثل هذا الاتفاق يعد بمثابة النهي الصريح من الشركاء عن الإقراض.

ج- انتفاء أي مفسدة تكتنف النشاط الإقراضي بما يلحق الضرر بالأنشطة الاستثمارية والتجارية للشركة.

د- وجود فائض من السيولة لدى الشركة غير مشغول بأنشطة استثمارية وتجارية

قائمة، ولا محجوز لأنشطة استثمارية وتجارية متوقعة قبل الأجل المحدد لإعادة القرض.

وقد أشارت هيئة المراجعة والمحاسبة للمؤسسات المالية الإسلامية في معاييرها الشرعية إلى بعض هذه الضوابط إذ ورد في تلك المعايير ما نصه (وليس للشريك التصرف بما لا تعود منفعته على الشركة، أو بما فيه ضرر مثل الهبة أو الإقراض إلا بإذن الشركاء، أو بالمبالغ اليسيرة وللمدد القصيرة حسب العرف)^(١).

المبحث الثالث: اقتراض الشريك على مال الشركة

إذا قام الشريك باقتراض مال للشركة من أجل التوسع في الأعمال التجارية، فهل له ذلك أم لا؟ وهل له ذلك في بعض أنواع الشركة دون بعض؟ وإن فعل فهل يكون مقترضاً لنفسه أم للشركة؟.

اختلف الفقهاء في ذلك بين مانع ومُجيز ومُفصل في أنواع الشركات ومانع في بعضها ومجيز في البعض الآخر؟ ويرجع سبب اختلاف الفقهاء في ذلك إلى ما يأتي:

١- تقدير وجه المصلحة: فهل في الاقتراض مصلحة للشركاء أم ليس فيه أي مصلحة لهم؟ فمن رأى فيه مصلحة للشركاء أجاز ومن لم ير مصلحة لهم فيه منَع.

٢- هل الاقتراض داخل في أعمال التجارة أم خارج عن نطاقها؟ فمن رآه داخلاً ضمن أعمال التجارة أجاز ومن رآه خارجاً عن أعمال التجارة منَع.

٣- طبيعة الشركة التي تم الاقتراض لمالها، فمن رأى أن لطبيعة الشركة اعتباراً

١- هيئة المراجعة والمحاسبة للمؤسسات المالية الإسلامية - المعايير الشرعية، معيار رقم ١٢، ١/٣/١/٣، ص ١٩٠.

في إجازة الاقتراض أجازته في بعض أنواع الشركات دون بعض، ومن لم ير ذلك لم يفرق في الاقتراض بين شركة وأخرى.

وفيما يأتي مذاهب الفقهاء في المسألة:

أولاً: المذاهب وأدلتها

أ- ذهب الحنفية^(١) إلى التفرقة بين شركة المفاوضة^(٢) وشركة العنان^(٣)، حيث أجازوا للشريك في شركة المفاوضة أن يقترض على مال الشركة دون حاجة إلى إذن الشركاء، بل بمقتضى التفويض المطلق الذي يمنحه إياه عقد الشركة، بينما لا يجوز للشريك في شركة العنان أن يقترض على مال الشركة بمقتضى التفويض المطلق.

وقد استدلت الحنفية على مذهبهم في إجازة الاقتراض للشريك في شركة المفاوضة دون العنان بما يأتي:

١- لأن كلا الشريكين في شركة المفاوضة كفيل عن صاحبه ووكيل عنه فصح اقتراضه على مال الشركة، بخلاف شركة العنان التي لا تتضمن إلا الوكالة في التجارة والاستدانة ليست منها^(٤).

٢- ولأن الشريكين في المفاوضة بمثابة شخص واحد، ومباشرة أحدهما، مثل:

١- عثمان بن علي بن محجن البارعي، تبين الحقائق، ٣/ ٣١٥، السرخسي: محمد بن أحمد بن ابي سهل، المبسوط، ١١/ ١٧٤، شيخي زادة: عبد الرحمن بن محمد، ملتقى الأبحر، ١/ ٥٤٨، البغدادي: أبو محمد غانم بن محمد، مجمع الضمانات، (دار الكتاب الإسلامي)، ١/ ٢٩٩، الكاساني: علاء الدين أبو بكر، بدائع الصنائع، ٦/ ٦٨، ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز، الدر المختار وحاشية ابن عابدين، ٤/ ٣١٥.

٢- شركة المفاوضة: هي أن يعقد الشريكان الشركة على أن يشتركا فيما يكسبان بالمال والبدن، وأن يضمن كل واحد منهما ما يجب على الآخر. انظر: الشيرازي، المهذب، ١/ ٣٤٦.

٣- شركة العنان: هي أن يشترك اثنان في مالهما على أن يتاجرا فيه، والربح بينهما، انظر: البناية شرح الهداية، ٦/ ٨٥٤.

٤- السرخسي: محمد بن أحمد بن ابي سهل، المبسوط، ١١/ ١٧٤.

مباشرة الآخر^(١).

٣- ولأنه في شركة المفاوضة يحق لكل شريك المطالبة بما وجب لصاحبه بمباشرة، بخلاف شركة العنان التي لا يحق للشريك فيها المطالبة بما وجب لصاحبه^(٢).

٤- إن شريك العنان مقيد بإذن الشريك؛ لأن استدانته على مال الشركة يؤدي إلى التزام الشريك الآخر، ما لم يلتزم بعقد الشركة^(٣).

ب- ذهب المالكية - في الظاهر^(٤) - وكذا الشافعية^(٥) والحنابلة^(٦)، إلى أنه لا يجوز للشريك أن يقترض على مال الشركة إلا بإذن الشركاء، فإن فعل كان القرض على حسابه، فيلزمه رده إلى المقرض من ماله الخاص فيكون هو المسؤول في مواجهة المقرض.

وقد استدل أصحاب هذا القول بما يأتي:

١- إن الشريك بالاقتراض قد يدخل على شريكه ما لا يرضاه فكانت الحاجة إلى إذنه^(٧).

٢- ولأن في الاقتراض زيادة في رأسمال الشركة، فاحتاج إلى إذن سائر

- ١- السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، ١١ / ١٧٤.
- ٢- السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، ١١ / ١٧٤.
- ٣- الكاساني: علاء الدين أبو بكر، بدائع الصنائع، ٨ / ٦٨، ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز، الدر المختار وحاشية، ٤ / ٣١٥.
- ٤- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله، الكافي في فقه أهل المدينة، ٢ / ٧٨٤، عيش: محمد بن أحمد، منح الجليل، ٦ / ٢٦٤.
- ٥- النووي: أبو زكريا محيي الدين، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ٤ / ٢٨٣، البجيرمي: سليمان بن محمد بن عمر، حاشية البجيرمي على شرح المنهج، (مطبعة الحلبي، ١٣٦٩هـ)، ٣ / ١٥٢.
- ٦- البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح الدين، كشف القناع، ٣ / ٥٠١-٥٠٢، ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله، المغني، ٥ / ١٦، ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله، الكافي في فقه الامام أحمد، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان)، ٢ / ١٤٨، الكلوذاني: محفوظ بن أحمد بن الحسن، الهداية على مذهب الامام احمد، (مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ)، ١ / ٢٨٣، المرادوي: علاء الدين أبو الحسن، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ٥ / ٤١٩.
- ٧- ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله، المغني، ٥ / ١٦.

الشركاء^(١).

ج- وذهب الحنفية في قول^(٢)، والحنابلة في رواية^(٣)، إلى أنه يجوز للشريك أن يقترض على مال الشركة بمطلق عقد الشركة دون حاجة إلى إذن سائر الشركاء.

وقد استدل أصحاب هذا القول بأن القرض هو تمليك مال بمال، أن ينوب أحد الشركاء عن صاحبه مثل الصرف^(٤)، وقد أجاب ابن قدامه عن هذا الاستدلال فقال: (وَيَفَارِقُ الصَّرْفَ؛ لِأَنَّهُ بَيْعٌ وَإِبْدَالٌ عَيْنٍ بِعَيْنٍ^(٥))..

ثانيا: المناقشة والترجيح

وبعد هذا استعراض المذاهب وأدلتها فإنه لا يسع الباحث إلا أن يسجل الملاحظات الآتية:

١- إن استثناء الحنفية شركة المفاوضة من شركات الأموال في قدرة الشريك على الاقتراض على مال الشركة ينبثق من وجهة نظر الحنفية في اعتبار أن كلا من الشريكين كفيل عن صاحبه بالأداء ووكيل عنه بالتصرف، وهذا يتناسب وطبيعة شركة المفاوضة القائمة على فكرة المسؤولية التضامنية بين الشركاء.

٢- إن الأدلة التي ساقها الحنفية لتبرير هذا الاستثناء تبدو متجهة وفي محلها.

- ١- ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله، الكافي في فقه الامام أحمد، ١٤٨ / ٢.
- ٢- الزيلعي: عثمان بن علي بن محجن البارعي، الزيلعي: عثمان بن علي بن محجن البارعي، تبين الحقائق، ٣ / ٣١٥، نجيم: زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق، ١٩٣ / ٥، لجنة مكونة من عدة علماء وفقهاء في الخلافة العثمانية، مجلة الاحكام العدلية، (نور محمد، كارخانه تجارت كتب)، ١ / ٢٦٦، الكاساني: علاء الدين أبو بكر، بدائع الصنائع، ٧٢ / ٦.
- ٣- ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله، المغني، ١٦ / ٥، المرادوي: علاء الدين أبو الحسن، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ٤١٩ / ٥.
- ٤- نجيم: زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق، ١٩٣ / ٥، الكاساني: علاء الدين أبو بكر، بدائع الصنائع، ٧٢ / ٦، ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله، المغني، ١٦ / ٥.
- ٥- ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله، المغني، ١٦ / ٥.

- ٣- إن القول بقدرة الشريك على الاقتراض استناداً إلى التفويض المطلق بعيداً؛ لأن هذا التفويض منصرف إلى الأعمال التجارية، والاقتراض ليس من تلك الأعمال وإن كان لصالحها.
- ٤- إن قياس الاقتراض على عقد المصارفة لا يبدو متجهاً؛ لأنه قياس مع الفارق، فعقد المصارفة معاوضة ابتداء وانتهاء، بخلاف القرض فإنه قائم على التبرع والارتفاق، كما أن عقد المصارفة لا يجوز فيه تأجيل أحد العوضين بخلاف القرض القائم على التأجيل أصلاً؛ إذ التأجيل في أحد العوضين هو الركن الأساس والمقوم لهذا العقد.
- ٥- إن الأدلة التي ساقها مانعو الاقتراض كانت أمس بصلب مسألة موضوع البحث من غيرها، فضلاً عن اتساقها وطبيعة الشركة.
- ٦- إن إذن الشركاء لا بد أن يكون معتبراً؛ لأن أي تصرف من أحد الشركاء ينعكس على سائرهم، فلا بد أن يكون لإذنتهم اعتبار مثل التصرفات التي تطل مصالحهم.
- ٧- إن تبرير الاقتراض بالحاجة الطارئة إلى شراء بضائع وبيع تبذو الفرصة مواتية لشرائها، لانخفاض أثمانها وإمكانية تحقيق أرباح مجزئة منها، لا يبدو متجهاً؛ لأنه يمكن للشريك أن يستأذن شريكه في الاقتراض دون تفويت فرصة الشراء خاصة في أيامنا هذه، ومع تطور وسائل الاتصال التي تجعل الشريك الغائب مثل الحاضر المشاهد.
- وبناء على ما تقدم فإن المرجح عند الباحث هو عدم جواز الاقتراض على مال الشركة إلا بإذن سائر الشركاء، فهو الأكثر انسجاماً مع طبيعة الشركة القائمة على الحقوق والالتزامات المتبادلة والمتكافئة، ولما للشركاء من مصالح معتبرة يخشى

فواتها بالاقتراض الذي قد يؤدي إلى تحميلهم التزامات لم يحسبوا حسابها، كما أن لهم رأياً في تقدير المصالح المتأتية في الاقتراض والمفاسد الناتجة عنه.

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن الشركات الحديثة لها مجالس إدارات تتولى إدارتها واتخاذ القرارات المناسبة التي تحافظ على مصلحة الشركة، وبالتالي مصالح الشركاء، إذ مصالح الشركاء من مصلحة الشركة، ويعد قبول أعضاء الهيئة العامة للدخول في هذه الشركة بما في ذلك شراء أسهمها توكيلاً ضمنياً لأعضاء مجلس الإدارة بسائر التصرفات التي تعود على الشركة والشركاء بالنفع. وفي هذه الحالة يكون إذن الشركاء من أعضاء الهيئة العامة متضمناً في قبول المشاركة والمساهمة في هذه الشركة.

الخاتمة

توصلت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج في ما يأتي أبرزها:

١- إن الأسباب المحورية لاختلاف الفقهاء في تصرف الشريك في مال الشركة إقراضاً واقتراضاً ترجع في جُلها إلى الاختلاف في وجه المصلحة، وإلى دخول الإقراض والاقتراض في الأعمال التجارية التي يملكها الشريك بمقتضى عقد الشركة، أو عدم دخولهما في تلك الأعمال.

٢- جواز قيام الشريك بالتصرفات المتعلقة بالقرض إذا كان بإذن من سائر الشركاء.

٣- امتلاك الشريك الإقراض من مال الشركة دون إذن الشركاء بضوابط هي:

أ- أن يكون المال المقرض يسيراً، وفي حدود المتعارف عليه بين التجار.

ب- عدم وجود اتفاق صريح أو ضمني يحول دون الإقراض.

- ج- انتفاء أي مفسدة تكتنف النشاط الإقراضي بما يلحق الضرر بالأنشطة الاستثمارية والتجارية للشركة.
- د- وجود فائض من السيولة لدى الشركة غير مشغول بأنشطة استثمارية وتجارية قائمة، ولا محجوز لأنشطة استثمارية وتجارية متوقعة.
- ٤- عدم امتلاك الشريك الاقتراض على مال الشركة دون إذن سائر الشركاء، إلا في الشركات التي تقتضي طبيعتها ذلك، مثل: شركة المفاوضة.
- ٥- تقوم مجالس الإدارات في الشركات الحديثة بالتصرفات المحققة لمصالح الشركة، وعليها أن تراعي مصالح الشركاء بكل نزاهة وأمانة.
- ٦- تعد مساهمة الشركاء في شركات المساهمة العامة توكيلاً لمجلس الإدارة في التصرفات النافعة للشركة، والمحققة لمصالحها وفق الضوابط الشرعية التي تحكم العمليات الإقراضية عموماً.

قائمة المراجع

- الأنصاري: زكريا بن محمد بن زكريا، أسنى الطالب في شرح روض الطالب، (دار الكتاب الإسلامي).
- البجيرمي: سليمان بن محمد بن عمر، حاشية البجيرمي على شرح المنهج، (مطبعة الحلبي، ١٣٦٩هـ).
- البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، صحيح بخاري، (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
- البعلبي: عبد الحميد محمود، ضوابط العقود في الفقه الإسلامي، (القاهرة).
- البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح الدين، شرح منتهى الإرادات، (١٤١٤).
- كشاف القناع عن متن الإقناع، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان).
- الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان).
- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان).
- الحصكفي: علاء الدين، الدر المختار، شرح تنوير الأبصار (بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ).
- الخطّاب: شمس الدين أبو عبد الله محمد، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، (بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ).
- الخرشبي: محمد بن عبدالله، شرح مختصر خليل، (بيروت، لبنان).
- الدرعان: عبد الله بن عبد العزيز، التصرف الانفرادي، (مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية).
- الرحيباني: مصطفى بن سعد بن عبده، مطالب أولي النهى.
- الرملي: شمس الدين محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ).

- الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس، (دار الهداية).
- الزرقا: مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، (دمشق، سوريا).
- الزيلعي: عثمان بن علي بن محجن البارعي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشُّلبي، (المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، ١٣١٣هـ).
- السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ).
- الشربيني: شمس الدين، محمد بن أحمد، مغني المحتاج، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ).
- شيخي زادة: عبد الرحمن بن محمد، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، (دار إحياء التراث العربي).
- الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).
- ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز، رد المحتار على الدر المختار، (بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ).
- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله، الكافي في فقه أهل المدينة، (مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة السعودية).
- عlish: محمد بن أحمد، منح الجليل شرح مختصر خليل، (بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ).
- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، (بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ).
- فراج: أحمد، الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية، (مؤسسة الثقافة الجامعية).
- الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، (دار ومكتبة الهلال).
- الفيروز آبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد، القاموس المحيط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان).
- ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله، المغني لابن قدامة، (مكتبة القاهرة).

- الكاساني: علاء الدين أبو بكر، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ).
- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، (دار طيبة للنشر والتوزيع).
- الكلوذاني: محفوظ بن أحمد بن الحسن، الهداية على مذهب الإمام أحمد، (مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ).
- الكيا الهراسي: علي بن محمد بن علي، أحكام القرآن، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ).
- لجنة مكونة من عدة علماء وفقهاء في الخلافة العثمانية، مجلة الأحكام العدلية، (نور محمد، كارخانه تجارت كتب).
- محمصاني: صبحي، النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الإسلامية، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان).
- المرداوي: علاء الدين أبو الحسن، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، (دار إحياء التراث العربي).
- مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان).
- الملا خسرو: محمد بن فرامرزن بن علي، درر الحكام شرح غرر الأحكام، (دار إحياء الكتب العربية).
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ).
- مواق: أبو عبدالله محمد بن يوسف، التاج والإكليل لمختصر خليل، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ).
- ابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، (دار الكتاب الإسلامي).
- النووي: أبو زكريا محيي الدين، منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه (بيروت، لبنان).
- النيسابوري: أبو الحسن علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (الدار الشامية).

- الهاشمي: سلطان بن إبراهيم، أحكام تصرفات الوكيل في عقود المعاوضات، (دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية).
- ابن الهمام: كمال الدين محمد، فتح القدير للكمال.
- الهيثمي: أحمد بن محمد بن علي، تحفة المحتاج في شرح المنهاج (المكتبة التجارية الكبرى، مصر).

References:

- Al-Ansari: Zakaria bin Muhammad bin Zakaria, Asna almataleb fe shareh Roud Al-Talib (Dar Al-Kitab Al-Islami).
- Al-Bajrami: Sulaiman bin Muhammad bin Omar, Hashyet Al-Bajarmi ala shareh almanhaj, (Al-Halabi Press, 1369 AH).
- Bukhari: Muhammad bin Ismail Abu Abdullah, Sahih Bukhari (Dar Touq Al-Najat, 1422 AH).
- Al-Bhouti: Mansour bin Younis bin Salahuddin, Shareh montaha aleradat, (World of Books, 1414).
- Al-Bhouti, kashaf alkenaa an maten aleknaa, (Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, Lebanon).
- Ibn Hazm: Abu Muhammad Ali bin Ahmed bin Saeed, Marateb alejmaa, transactions, and beliefs (Scientific Books House, Beirut, Lebanon).
- Al-Hattab: Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad, Mawaheb aljaleel fe shareh mokhtaser Khalil, (Beirut, Lebanon, 1412 AH).
- Khurshi: Muhammad bin Abdullah, shareh mokhtaser Khalil, Beirut, Lebanon).
- AL Ramli: Shams al-Din Muhammad bin Abi al-Abbas, Nehayat almohtaj ela shareh almenhaj, (Beirut, Lebanon, 1404).
- Al-Zayla'i: Othman bin Ali bin Mahjen Al-Barai, tabeen alhakaek shareh kanaz aldakaek (Al-Amiriya Al-Kabir Al-Ameerah - Bulaq, Cairo, 1313).
- Al-Suyuti: Mustafa bin Saad bin Abdo, Mataleb oli alnoha (Islamic Office, 1415 AH).
- Al-Sherbiny: Shams al-Din, Muhammad bin Ahmed, Mughni al-Muhtaj (House of Scientific Books, Beirut, Lebanon, 1415).
- Sheikhi Zada: Abd al-Rahman bin Muhammad, Majma alanhor fe shareh molta-ka alabhor, (House of Arab Heritage Revival).
- AL Tabari: Muhammad bin Jarir, Jamee Al-Bayan fe tae in the Interpretation of the Qur'an (Al-Risala Foundation, 1420).
- Sarkhasi: Muhammad bin Ahmed bin Abi Sahl, Al-Mabsut (Dar Al-Maarefa, Beirut, Lebanon, 1414).
- Ibn Abdin: Muhammad Amin bin Omar bin Abd al-Aziz, al-Durr al-Mukhtar w hashyat Ibn Abdin (Beirut, Lebanon, 1412).

- Ibn Abd al-Barr: Abu Omar Yusef bin Abdullah, Al-Kafi fe fekeh ahl almadena Medina (Riyadh Modern Library, Riyadh, Saudi Arabia).
- Alish: Muhammad bin Ahmed, menah al Jaleel shareh mokhtaser Khalil (Dar Al-Fikr, Beirut, Lebanon, 1409).
- Ibn Faris: Ahmed bin Faris bin Zakaria, Magaees alloghah (Beirut, Lebanon, 1399 AH).
- Abu Al-Fadl: Muhammad Bin Makram Bin Ali, Lisan Al-Arab (Dar Sader, Beirut, Lebanon, 1414 AH).
- Ibn Qudamah: Abu Muhammad Muwaffaq al-Din Abdullah, ALmogni I Ibn Qudamah, (Cairo Library).
- Al-Kasani: Aladdin Abu Bakr, Bada'i Al-Sanay'a fe tarteab alsharaye (Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, Lebanon, 1406).
- Kulutani: Mahfouz bin Ahmed bin Al-Hassan, Alhedaya fe mathhab alemam ahmad, (Grass Institution for Publishing and Distribution, 1425 AH).
- Al-Kaya Al-Harrasi: Ali bin Muhammad bin Ali, Ahkam AL Qur'an (Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, Lebanon, 1405).
- A committee composed of several scholars and jurists in the Ottoman Caliphate, Majalat alahkam aladleah, (Nur Muhammad, Karkhana, Book Trade).
- Mortada: Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq, Taj alaroose (Dar Al-Hidaya).
- Al-Mardawy: Aladdin Abu Al-Hassan, A lensaf fe maerefat alrajeh men alkhelaf, (House of Arab Heritage Revival).
- Muslim: Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hassan Al-Qushairi, Sahih Muslim (House of Arab Heritage Revival, Beirut, Lebanon).
- Mulla Khusraw: Muhammad bin Framers bin Ali, Dorr alhokam shareh ghorralahkam (House for the Revival of Arabic Books).
- Mawaq: Abu Abdullah Muhammad ibn Yusuf, al taj w alekleal I mokhtaser khaleel (House of Scientific Books, Beirut, Lebanon, 1416).
- Ibn Najim: Zainuddin bin Ibrahim, Albaher alraek shareh kanz aldakaek, (Dar Al-Kitab Al Islami).
- Al-Nawawi: Abu Zakaria Mohy Al-Din, Minhaj Al-Talebine w omdet almoftan fe Fiqh (Beirut, Lebanon).

- Ibn Al-Hamam: Kamal Al-Din Muhammad, Fath Al-Qadir, Al-Haytami: Ahmed bin Muhammad bin Ali, Tohfet almohtaj fe shreh almenhaj (Great Commercial Library, Egypt).
- Al-Hashemi: Sultan bin Ibrahim, Provisions for the Attorneys 'Actions in Contracts for Compensation, (Research House for Islamic Studies and Heritage Districts, Dubai, United Arab Emirates).
- Al-Nisaburi: Abu Al-Hassan Ali bin Ahmed, Al-Wajeez fe alketab alazeez, (Al-Dar Al-Shamiya).
- Muhsani: Subhi, The General Theory of Obligations and Contracts in Islamic Law, (Dar Al-Alam For Mline, Beirut, Lebanon).
- Ibn Katheer: Abu al-Fida 'Ismail Ibn Omar, Tafseer Al-Qur'an Alatheem, (Thebes House for Publishing and Distribution).
- Al-Farahidi: Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed, Al-Ain (Al-Hilal House and Library).
- Faraj: Ahmad, Monarchy and Contract Theory in Islamic Law, (University Culture Foundation).
- AL Zarqa: Mustafa Ahmed, the general fiqh entrance, Damascus, Syria).
- ALdoraan: Abdullah bin Abdul Aziz, unilateral disposition, (Repentance Library, Riyadh, Saudi Arabia).
- Al-Hasakfi: Aladdin, Al-Durr Al-Mukhtar, Sharh tanweer alabsar (Dar Al-Fikr, Beirut, Lebanon, 1412).
- Al-Gohary: Abu Nasr Ismail bin Hammad, Al-Sahah Taj alloghah (Dar Al-Alam For Mline, Beirut, Lebanon).

خصائص بعض الأصوات العربيّة لعينة
من الإندونيسيين المقيمين بالمنطقتين
الشماليّة والشرقيّة بالسعوديّة

**Characteristics of some Arabic Sounds
for some Indonesian Residents in the
Eastern and the Northern Areas of K.S.A.**

د. منى محمد علي بشر

أ. مشارك علم اللغة – كلية التربية و الآداب للبنات بعرعر
جامعة الحدود الشماليّة

Dr. Mona Mohammad Ali Bishr

Associate Professor of Linguistics, College of Education and Arts,
Female Students, Northern Border University, Arar

<https://doi.org/10.47798/awuj.2023.i67.08>

تاريخ تسلّم البحث 2021/11/03 - وصدر خطاب القبول 2022/02/09

مقدمة

يهدف البحث إلى معرفة وتوصيف النطق بين أصحاب اللغة الأم والناطقين بغيرها كلغة ثانية مثل إندونيسيا، فبعد دخول نسبة غير قليلة منهم الإسلام، تبقى اللغة العربية بأصواتها ومقاطعها محل دراسة للباحثين والدارسين، فاللغة «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»^(١)، وهي «وليدة المجتمع»^(٢)، واللسانيات «علم حديث نسبياً يعنى بدراسة اللغة... ولا يقتصر اهتمام العالم اللغوي على أصوات اللغة ومقاطعها والتراكيب الخاصة بها، بل تتعدى ذلك إلى الأصوات الآتية:

(٣) / ʕ / ʔ / z / r / l / d / d / t / t / ʃ / š / s / ʕ / ʕ / ʕ /

ولما كان لكل لغة نظام صوتي خاص بها، كما أن انتظام الأصوات في المقطع الواحد يختلف من لغة إلى أخرى، فقد لاحظت أثناء عملي في المملكة العربية السعودية، ومع كثرة تعاملي مع العمالة الوافدة وبخاصة الإندونيسية، وجدت تبايناً واضحاً في طريقة نطقهم للعربية، فكان لابد من الدراسة العلمية للتحقق من تلك الملاحظات، ولمعرفة أوجه التشابه والاختلاف في النطق بين أصحاب اللغة الأم والناطقين بغيرها بوصفها لغة ثانية.

-
- ١- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج ١، ط ١، ت: محمد النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص ٣١
 - ٢- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، ط ١، دار غريب، القاهرة، ص ٤٢
 - ٣- نضر الدين جوهر، تداخل اللغة الإندونيسية في اللغة العربية، مجلة جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية، سورابايا، إندونيسيا، ٢٠١٢م، ص ٢٢- ٣٢

تمهيد

تقع جمهورية إندونيسيا في جنوب شرق قارة آسيا، وتتكون من عدة آلاف من الجزر، وتبلغ نسبة المسلمين حوالي ٨٠٪ من إجمالي عدد السكان، ولغتهم الرسمية الإندونيسية، والتي تعتبر لهجة قياسية للغة المالايوية، واللغتان متشابهتان إلى حد كبير، فإندونيسيا لديها لغات محلية كثيرة جداً، نذكر منها الجاوية، والسندية وغيرهما من اللغات إلى جانب اللغة الإنجليزية والهولندية، وتشبه الأبجدية الإندونيسية في حروفها وعددها الأحرف الإنجليزية، وينطقها أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة في العالم وقد حدث بعد الاستقلال، بعض التغيرات في نظام اللغة الإندونيسية، كتغير نطق بعض التجمعات اللغوية

(ch to kh, dj to j, j to y, nj to ny, sj to sy, and tj to c)

- وفيما يلي الألفباء الإندونيسية، يليها طريقة النطق في السطر الذي يليها: ^(١)

Aa Bb Cc Dd Ee Ff Gg Hh Ii Jj Kk a be Ce de E Ef Ge Ha I

Je Ka Ll Mm Nn O Pp Qq Rr Ss Tt Uu Vv

El em en O Pe Ki Er Es te u Fe

Ww Xx Yy Zz

we Eks Ye Zet

وقد تأثرت اللغة الإندونيسية بالهولندية نطقاً وكتابة، ثم أصبحت اللغة الإندونيسية فيما بعد اللغة الرسمية للبلاد، وفيما يلي الصوائت والمزدوجات الصوتية والصوائت في اللغة الإندونيسية ^(٢)

١- نصر الدين جوهر، تداخل اللغة الإندونيسية في اللغة العربية، مجلة جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية، سورابايا، إندونيسيا، ٢٠١٢م، ص ٢٢-٣٢

٢- المرجع نفسه، ص ٢٣-٣٢

a e i o u ai au oi

[a] [ɛ/ə/e] [i] [o/ɔ] [u] [ai] [au] [oi]

وأما الصوامت فهي كالآتي:

b c d f g h j [b] [tʃ] [d] [p] [dʒ] [h] [dʒ] k kh l m n ny ng p

[k] [x] [l] [m] [n] [ɲ] [ŋ] [p]

q r s sy x y z

[k] [r] [s] [ʃ] [ks] [j] [z]

- أما طريقة النطق للحروف العربية في اللغة المالوية (الجاوية) فهي كالتالي:^(١)

- ا ب ت ث ج جاء ح خ د - ألف باء تاء ثاء جيم حاء خاء دال

Alif- Ba Ta Tha Jim Ca Ha kha Dal

[Ø] [s] [t] [b] [x/k] [h] [dʒ] [dʒ] [d]

- ذ ر ز س ش ص ض ط ظ

- ذال راء زاي سين شين صاد ضاد طاء ظاء

Zal- Ra Zai Sin Sad Syin Dad ta Za

- ع غ غ ف ف ق ك گ لام

- عين غين غاء فاء فاء قاف ك

١- المرجع السابق - ص ٢٣-٢٤

Ain- Fa Nga Ghain Kaf gaf Qaf Pa Lam م ن و ق هاء لاء ي

ث ميم نون واو فاء هاء لام ألف همزة ياء ثاء

ميم نون واو فاء هاء لام ألف همزة ياء ثاء

Mim Nun Wau Lam-alif Ha Va Hamzah Ya Nya

وهناك عدد من النقاط يجب التنويه عنها:

الاسم المحلي للغة الإندونيسية هو «باهاسا إندونيسيا» وكلمة «باهاسا» تعني:

لغة

تستخدم اللغة الإندونيسية الأبجدية اللاتينية في الكتابة.

هناك اهتمام كبير بتعليم اللغة العربية في إندونيسيا.

أما الأبجدية العربية، فعددتها: ثمانية وعشرون حرفاً، وهي كالاتي:

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و هـ

- وقد وضعها نصر بن عاصم ويحيى بن عمر في عصر عبد الملك بن

مروان^(١).

مصطلحات البحث:^(٢)

- الصوت الصامت: الحرف وجمعه: صوامت، ورمزه (ص) أو (C)

- الصوت الصائت: الحركة (فتحة-كسرة - ضمة)، وجمعه: صوائت ورمزه

(ص ح)

١- محمد هشام النعسان، الخط العربي وعالميته، ص ٦٥

٢- محمود السعران، علم اللغة-مقدمة للقارئ العربي، ص ٣٥٣-٣٨٠

- التحليل الفوناتيكي: مصطلح دال على التحليل الصوتي في علم الأصوات.
- المقطع القصير: صوت صامت يليه صائت (حركة)، ورمزه (ص ح) أو (C) (V)
- التحليل الأكوستيكي: التحليل السمعي.
- الفونيم: أصغر وحدة صوتية ليس لها معنى، لكنه يشكل مع غيره معنى ورمزه / /
- برات: برنامج لتحليل الصوت وخصائصه الفيزيائية
- المزدوجات الصوتية: مجموعة أصوات بشكل معين ولا وجود لها في العربيّة.
- الأصوات الاحتكاكية: الصوت الذي يحدث في أثناء نطقه تضييقاً لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً^(١)
- الهيرتز: وحدة قياس الترددات الخارجة من الفم أثناء نطقه لصوت ما (hertz)

إشكالية البحث:

وتكمن مشكلة البحث في معرفة سبب اختلاف النطق بين المجموعتين محل الدراسة.

١- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ط ٢٠٠٠م، ص ٢٧٩

الهدف من البحث:

١- دراسة الحاجة لتحديد طريقة نطق الإندونيسيات لكلمات عربية بالأصوات المختارة.

٢- دراسة الحاجة الملحة لتحديد أهم العوامل المؤثرة في نطق المجموعة الأولى بهذا الشكل الذي رصدناه، وذلك لتقييم العينة الكلامية المختارة من خلال وصف أكوستيكي، وذلك لمعرفة مدى قرب عملية النطق أو بعدها عن الفصحى.

أهمية البحث:

وتكمن في معرفة أوجه التشابه والاختلاف في عمليات النطق، والعوامل المؤثرة في نطق المجموعة الأولى من الإندونيسيات للكلمات العربية المختارة كلغة ثانية.

فرضيات البحث:

يفترض البحث مجموعة من الفرضيات وهي:

١- وجود علاقة بين نطق العينة المختارة من المجموعة الأولى (الإندونيسيات) للأصوات محل الدراسة وبين لغتهن الأم.

٢- وجود علاقة بين إقامة المجموعة الأولى في بيئة عربية -فضلاً عن كونهن مسلمات- وبين محاولة النطق الصحيح لتلك الأصوات في الكلمات المختارة.

حدود البحث:

أجري البحث في منطقتي الحدود الشماليّة بعرعر، وتمّ التواصل معهن عن

طريق البريد الشبكي والرسائل الصوتية، وذلك نظرا للظروف المتعلقة بجائحة كورونا، أما بالنسبة للحدود الزمانية، فقد اعتمد لتدريب الحالات مدة ثلاثة أشهر.

الدراسات السابقة:

١- التحليل الفيزيائي للكلام: أ. د. محمد الضالع -مجلة علم اللغة-العدد ١١ -جامعة الإسكندرية-٢٠٠٢م. وتطرق الباحث فيه للحديث عن كيفية تحليل الظواهر الفيزيقية للكلام.

٢- دراسة صوتية أكوستيكية لبعض حالات البحة: د. خالد رفعت-العدد ١٢-مجلة علم اللغة-جامعة الاسكندرية -٢٠٠٢م. وقد أظهرت الدراسة مدى تأثير بعض الأصوات التي تعاني من البحة وكيفية علاجها.

٣- الاتجاهات المعاصرة في علم اللغة التجريبي: مجلة علم اللغة - العدد ١٧ - جامعة الاسكندرية -٢٠٠٢م. وقد تحدثت الدراسة عن البرامج والاتجاهات المعاصرة في المعامل الصوتية وأحدث الإصدارات للبرامج الصوتية.

منهج البحث:

- وسأُتبع المنهجين التقابلي والوصفي التحليلي لتحليل النتائج التي توصلت إليها، وذلك من خلال حساب:

معامل التردد (F0) (،) (Quality) أو التردد الأساسي والنوعية على الترتيب.^(١)

١- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢ م. ص١٦٣

الأجهزة والبرامج المستخدمة:

- ١- جهاز تسجيل.
- ٢- الحاسوب المحمول. ٣- برنامج التحليل الصوتي والمعروف باسم: برات (Praat).

العينة الكلامية: وهي عبارة عن كلمات بسيطة و متداولة، و تتضمن الصوامت المختارة، و بالحركات القصيرة الثلاثة (الفتحة والكسرة و الضمة) في بداية الكلمة ووسطها ونهايتها، والمقطع المستخدم هو الصائت القصير، ورمزه (ص ح) ليكون محل الدراسة الأكوستيكية، وكتبت الكلمات العربيّة بالحروف اللاتينية للإندونيسيات لتسهيل النطق

حالات النطق: وهي كالتالي:

X ٣ حالات X (مجموعتان) ٩X٢ حالات نطق (كلمات) = ٣٧٨ حالة نطق ٧ صوامت

الكلمات المختارة:

١-السين / S /

- sattaaam - - suuumah - sihaaam -
- hosaaam - ?usuus - - &asiq
- kurrasu - kurrasi - kurrasa

٢- الصاد / S /

- sabry - subfhy - sifaaat
- qušaaašah - xusuusy - xissiiisan
- xasaaa?isa - xasaaa?isu - xasaaa?isi

٣- الشين /س/

- ʃariif - ʃuruuk - ʃirk
 - bafar - ?aʃuur - muʃiir
 - ʒafa - yaʃiif - ʒayfi

٤- الذال /ص/

- ʕanb - ʕulqiʕdah - ʕikir
 - ʕaʕaaab - muʕiib - yaʕuub
 - laʕiib - laʕiib - laʕiib

٥- الثاء /ث/

- ʔaaaba - ʔumma - ʔimaar
 - ?aʔiir - ʕuʔuur - miʔaaal
 - wariiiʔi - wariiiʔu - wariiiʔa

جدول رقم (١) والجدول التالي يوضح الكلمات المختارة

م	الصوت	الكلمة المختارة	الكلمة المختارة بالعربية	الحركة	بداية الكلمة	وسط الكلمة	نهاية الكلمة
١	السين /S/	sattaaam	سَطَام	الفتحة	√	√	
		fjosaaam	حَسَام			√	
		Kurrasa	كِرَاس			√	
		sihaaam	سِهَام	الكسرة	√	√	
		asiq&	عَسِق			√	
		Kurrasi	كِرَاس			√	
		Suumah	سُومَة	الضمّة	√	√	
		usuus?	أُسُس			√	
		Kurrasu	كِرَاس			√	
٢	الصاد /š/	šabry	صَبْرِي	الفتحة	√	√	
		Qušaaašah	قُصَااصَة			√	
		xašaaa?iša	خُصَااص			√	

		√	الكسرة	صَفَات	Šifaaat		
	√			خَصِيصًا	xiššiiišan		
√				خَصَائِص	xašaaa?iši		
		√	الضمة	صُبْحِي	šubħy		
	√			خُصُوصِي	xušuuuŕy		
√				خَصَائِص	xašaaa?išu		
		√	الفتحة	شَرِيف	ŕariif	/ ʃ / الشين	٣
	√			بَشْر	baŕar		
√				عَاش	3aaafa		
		√	الكسرة	شَرِك	ŕirk		
	√			مَشِير	muŕiir		
√				عَيْش	3ayfi		
		√	الضمة	شَرُوق	ŕuruuk		
	√			عَاشُور	3aŕuur		
√				يَعِيش	ya3iif		
		√	الفتحة	ذَنْب	ɔanb	/ ɔ / الذال	٤
	√			عَذَاب	3aɔaaab		
√				لَذِيذ	Laɔiifɔ		
		√	الكسرة	ذَكَر	ɔikir		
	√			مُذَيِّب	Muɔiif		
√				لَذِيذ	Laɔiifɔ		
		√	الضمة	ذَوَالْقَعْدَة	ɔulqi3dah		
	√			يَذُوب	Yaɔuuub		
				لَذِيذ	Laɔiifɔ		
		√	الفتحة	ثَاب	ɔaaaba	/ ɔ / الثاء	٥
	√			مِثَال	miɔaaal		
√				وَرِيث	wariif		
		√	الكسرة	ثِمَار	ɔimaaar		
	√			أَثِير	aɔiif?		
√				وَرِيث	wariif		
		√	الضمة	ثُمَّ	ɔumma		
	√			عَثُور	3uɔuur		
√				وَرِيث	wariif		

جدول رقم (١) يوضح الكلمات والأصوات المختارة بالحركات الثلاثة

الخطوات:

- تم التدريب على القراءة بطريقتين:
- ١- سماع التسجيلات بصوت واضح لأصحاب اللغة الأم.
- ٢- سماع العينة قبل التسجيل وبعده، ثم اختيار التسجيل الأكثر وضوحاً.
- ٣- تم إضافة كلمات لا علاقة لها بالتجربة، لأن الإنسان عند الشعور بأنه أشرف على الانتهاء فإنه يسرع أو يغير من صوته.
- التحليل والقياس:
- اعتمد التحليل على قياس قيم المكونات الذبذبية الأولى والثانية (F_1 ، F_2)
- برنامج التحليل الصوتي (برات)، أو وفقاً للمعادلة الرياضية التي ذكرها (فانت: ١٩٨٣م)، تم تحويل (الهيرتز) إلى (بارك)^(١):

$$\text{Bark} = 7 \times \log_2 \left(\frac{\text{hertz}}{650} \right) + 12$$

والهدف: مقارنة المعلومات الأكوستيكية بالانطباع السمعي أولاً، حيث إن مقياس (بارك) ناتج من التجارب السمعية، وهو متفق عليه عالمياً، وبرنامج (برات) للتحليل، Hz بالهيرتز (F_1)، الصوتي، كما تم قياس قيم المسافة بين المكونات الذبذبية الأولى والثانية، وذلك لمعرفة الفرق بين المجموعتين.

١- الاتجاهات المعاصرة في علم الأصوات التجريبي، خالد رفعت، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ١٧، ص ٢٣.

النتائج: تم تحليل النتائج بطريقتين:

أولاً: بالسمع: لوحظ تباين واضح عند نطق الأصوات الأربعة (الثاء والشين والصاد والذال) بين المجموعتين، أما السين، فلا توجد فروق سمعية بين المجموعتين، كما توجد فروق طفيفة بينهما عند نطق الذال، انظر الجداول: (٢ و٣ و٤) في نطق

ثانياً: بالتحليل الفوناتيكي باستخدام (برات) والترددات الموجودة في الجداول تمثل متوسط الحالات الثلاثة لكل من الأصوات المختارة للمجموعتين، والجدولان رقم (٢ و٣) يوضحان المتوسط بين المجموعتين.

رقم الحالة الصامت	١	٢	٣	المتوسط = X
/S/ السين	٣١٠٠	٢٧٠٠	٣٠٠٠	٢٩٦٧
/š/ الصاد	٢٠٠٠	٢٥٠٠	١٩٥٠	٢١٥٠
/ʃ/ الشين	٣٠٠٠	٢٠٤٠	٢٢٠٠	٢٤١٣
/ð/ الذال	٣٣٠٠	٤٠٥٠	٢٠٦٠	٣١٣٧
/θ/ الثاء	٢١٥٠	٢٠٠٠	٢١٥٠	٢١٠٠

جدول رقم (٢) يوضح حالات المجموعة الأولى (الإندونيسيات)

رقم الحالة: الصامت	١	٢	٣	المتوسط X
/S/ السين	٣٢٠٠	٣٠٠٠	٢٩٠٠	٣٠٣٣
/š/ الصاد	٢٠٣٠	٢٠٤٥	٢٠٠٠	٢٠٢٥
/ʃ/ الشين /	٣١٠٠	٢٩٥٠	٢٦٠٠	٢٨٨٣
/ʕ/ الذال	٣٣٢٠	٤٠٢٠	٢٧٥٠	٣٣٤٦
/θ/ الثاء	٢٠٠٠	٢٢٠٠	٢١٠٠	٢١٠٠

جدول رقم (٣) يوضح حالات المجموعة الثانية (العربيات)

المجموعة الصامت	الأولى	الثانية
/S/ السين	٣٠٣٣	٢٩٦٧
/š/ الصاد	٢٠٢٥	٢١٥٠
/ʃ/ الشين /	٢٨٨٣	٢٤١٣
/ʕ/ الذال	٣٣٤٦	٣١٣٧
/S/ السين	٢١٠٠	٢١٠٠

جدول رقم (٤) يوضح المتوسط بين المجموعتين (F١-F٢)

مناقشة النتائج:

صوت صامت لثوي احتكاكي مهموس

أولاً: صوت السين /S/

١- سماعياً: يقترب من نطق المجموعة الثانية، ومعروف أنه كلما زادت المسافة الفونولوجية بين الأصوات، كلما زاد التنوع كما أن الفروق بين المجموعتين كانت واضحة وتمثل فارقاً سمعياً مميّزاً، مع ملاحظة أن المجموعة الأولى نطقت السين لثوية بينما نطقتها المجموعة الثانية لثوية سنية. ولوحظ للأصوات المجاورة ما يلي:

أ- صوت الطاء الاحتكاكي المفخم في كلمة (سَطَّام) نطقت تاء، وهو مرقق (šattaam).

ب- صوت القاف في كلمة (غَسِق)، تحول من صوت القاف اللهوي إلى صوت الكاف الاحتكاكي (&asik)، والتفسير: التأثر باللغة الأم واضح، كما أن مخرج القاف يليه مباشرة مخرج صوت الكاف، أمّا نطق المجموعة العربيّة للسين، فكان مثل وصف كل من السعران وكمال بشر (الجدول رقم ٦)

ثانياً: صوت الصاد /š/ : صوت صامت لثوي احتكاكي مهموس مفخم^(١)

- سماعياً: نطقت الصاد /š/ العربيّة الذلّقية اللثوية الأسنانية مثل السين /S/، فالصاد من أصوات الصفيّر القوية المهموسة، وهو كالسين لكنه مفخم، ويتذبذب الوتران الصوتيان، مع ملاحظة أن المجموعة الأولى نطقت الصاد لثوية، بينما نطقتها المجموعة الثانية لثوية سنية، ولوحظ بالنسبة للأصوات المجاورة للصاد ما يلي:

١- المرجع السابق: ص ٣٠١-٣٠٢.

أ- كلمة (صَبْرِي) العربية مثل كلمة (šabary) الإندونيسية، أي أن الباء الساكنة تحولت إلى مقطع بعد تحريكها بالفتحة بدلا من صوت ساكن.

- هنا كمية الهواء كانت كبيرة لتحول الصائت القصير إلى طويل بعد الراء.

ب- كلمة (صِفَات) نطقت (صِفَت) أي بتحويل الألف إلى فتحة (صائت قصير).

ج- كلمة (حِصَان) العربية نطقت (حِصَن) كما لو كانت مكونة من مقطعين هما: hi+šan، أي: (قصير ومتوسط)، كما نطقت الحاء هاء تأثراً باللغة الأم كالإندونيسية، أي بتغيير الصامت لصامت آخر احتكاكي، وتفسير ذلك أن:

أ- الصاد: صوت صامت احتكاكي مهموس لثوي أسناني، ويتكون كالسين لكنه مفخم فيرتفع طرف اللسان تجاه سقف الحنك ويرجع قليلا للوراء، ومعروف أن الفرد يغير بطبيعته، وكلما زادت المسافة الفونولوجية بين الأصوات، كلما زاد التنوع، هذا بالإضافة إلى قلة عدد الصوائت العربية مقارنة بالإنجليزية مثلاً، كما لا ننسى طريقة نطق القبائل التي تسكن منطقة الحدود الشمالية، ومدى تأثرها بالدول المجاورة.

ب- من الواضح بالسمع أن اللسان لم يرجع للخلف ولم يتقعر وسطه ويرتفع طرفه وأقصاه وهذا سبب نطق الصاد كالسين.

ج- الكلمات الباقية نطقت كما هي في العربية.

ويرى حسنين^(١) في حديثه عن الربط بين اللغات أن الفتوحات الإسلامية أدت للاختلاط بين اللغات، كما أن الحروب الصليبية أعطت الفرصة للعرب ليتعرفوا على الحضارة الأوربية وثقافتهم ولغاتهم ومن ناحية أخرى وهو ما يؤكده

١- صلاح الدين حسنين، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٣٥٨

(ليوف) (٢) أن هناك علاقة متساوية بين كل من السلوك الإنساني والسلوك الاجتماعي. و«اللغة اجتماعية»^(١) ففي النطق تعتمد على اللغة المستخدمة وهذا دليل على ضرورة الالتزام بالشروط في العينة المختارة، أما نطق المجموعة العربيّة للشين، فكان مثل وصف كل من السعران وبشر (الجدول رقم ٦)

ثالثاً: صوت الشين /ʃ/ ^(٢)

الشين: صوت صامت لثوي حنكي احتكاكي مهموس. -سماعيّاً: نُطقت الشين العربي /ʃ/ بين اللثوية والحنكية (الغارية) مثل السين /s/ الإندونيسية اللثوية، والتفسير المرجح هنا هو: أن المنفذ الضيق لمرور الهواء يكون أوسع قليلاً مما في السين لذا يكون أوضح مما في كل من السين والصاد وهو من الأصوات الصفيرية القوية جداً، وواضح جداً بالسمع، لكنهن (الإندونيسيات) لم تبدلن الجهد الكافي لنطق الشين العربيّ مثل نطق أهلها لها، فكان الجهد المبذول هو نفس الجهد المبذول لنطق كل من السين والصاد، ومثال ذلك: نطق الكلمات الآتية:

أ- نُطقت (شريف) العربيّة بالسين (سريف) أو (sariif) كما في الإندونيسية.

ب- نُطقت كلمة (عاشور) العربيّة بالهمزة (أسور)، فقلبت كل من العين همزة والشين سينا و خلاصة القول: نُطق الشين سينا كما في الإندونيسية تأثراً باللغة الأم، ومع كل الكلمات المستخدمة، أما نطق المجموعة العربيّة للشين، فكان مثل وصف كل من السعران وبشر (الجدول رقم ٦)، والتفسير: أن صوت الشين: صوت صامت احتكاكي لثوي أسناني مهموس، ويتكون بالتقاء طرف اللسان بمؤخر اللثة ومُقدم الحنك الصلب، فيكون ممراً ضيقاً للهواء القادم من الرئتين وهو ممر أكبر نسبياً من ممر الصاد، ويكون مُقدم

١- المرجع نفسه: ص ٣٥٩-٣٦١

٢- كمال بشر، علم اللغة - القسم الثاني (الأصوات): العام، ط ٥، دار المعارف بمصر، ١٩٧٩م، ص ٣٠١.

اللسان تجاه مُقدم الحنك الأعلى ولا يهتز الوتران الصوتيان.

وتحول الشين - في جميع الكلمات - إلى سين متأثراً باللغة الأم، نظراً لعدم التعود عليها والاستسهال، وعدم الرغبة في بذل جهد أكبر لتخرج الشين العربية كما ينبغي، كما أن كل من السين والشين من الأصوات الصغرية، لكن الفروق بين المكونين (م ١ و م ٢) أو (F٢، F١) كانت واضحة وتمثل فارقا سمعياً مميّزاً، أما نُطق المجموعة العربية للشين، فكان مثل وصف كل من بشر^(١) والسعران^(٢) (الجدول رقم ٦)، والتفسير الأرجح: أن العمالة الوافدة تأثرت بنطق اللغة الأم والإنجليزية، فكان النطق على النحو الذي رصدناه.

رابعاً: صوت الذال /ð/

- صوت صامت مما بين الأسنان احتكاكي مجهور^(٣)
- لا توجد فروق سماعية تذكر، فالذال العربية بين الأسنان مثل /ð/ اللثوية الإندونيسية مع ملاحظة تغيرات صوتية طفيفة بالسمع، ومثال ذلك: نطقهن للكلمات الآتية:
- لا توجد فروق سماعية تذكر، فالذال العربية بين الأسنان مثل /ð/ اللثوية الإندونيسية مع ملاحظة تغيرات صوتية طفيفة بالسمع، ومثال ذلك: نطقهن للكلمات الآتية: أ- كلمة (ذكر) العربية نُطقت (gikir) بالإندونيسية، أي تم تحريك صوت الكاف الساكن من صوت ساكن لصوت متحرك والمقطع هنا قصير (ص ح)، - بينما نطقها البعض منهم مثل نطق كلمة "ذَكَر" العربية مثل كلمة (bakar) الإندونيسية. (بفتح الذال)، والتفسير: وجود الحرف (th) في اللغة الإندونيسية.

١- المرجع السابق، ص ٣٠٢

٢- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢ م، ص ١٤٤.

٣- علم اللغة - القسم الثاني (الأصوات): العام: بشر، كمال (د) - ط ٥ - ص ٣٤٩

ب- كلمة (مُذِيب) العربيّة نُطقت مثل كلمة (muɕib) الإندونيسية، فتحول حرف المد وهو الياء من صائت طويل إلى صائت قصير.

ج- كلمة (يَذُوب) العربيّة نُطقت مثل كلمة (yaɕub) الإندونيسية، فتحول حرف المد وهو الواو من صائت طويل إلى صائت قصير.

د- كلمة (ذو القعدة) العربيّة نُطقت كما هي (sulqi3dah)، فلم نلاحظ أي تغيير في النطق بالسمع عدا صوت العين والذي تمّ حذفه لتصبح الكلمة (ذوالقيدة) ((sulqidah)).

هـ- كلمة (مُذَاب) العربيّة نُطقت مثل كلمة (muɕab) الإندونيسية، فحذف الصائت الطويل (الألف) التي تلي الذال، وتحول إلى صائت قصير لتصبح الكلمة (مُذَب)،

أما نُطق المجموعة العربيّة للشين، فكان مثل وصف كل من السعران وبشر (جدول رقم ٦)

الخلاصة:

- توجد فروق كبيرة بين المجموعتين عند نطق الذال (F1-F2)
- وصف النطق في المجموعتين كان مشابهاً لوصف كل من السعران وبشر والعاني (جدول رقم ٦)

خامساً: صوت الشاء /Ø/

والشاء: صوت صامت مما بين الأسنان احتكاكي مهموس^(١)

أ- هنا نجد أنه بالسمع نُطقت المجموعة الأولى الشاء العربيّة /Ø/ بين الأسنان

١- كمال بشر، علم اللغة العام - القسم الثاني (الأصوات)، ط٥، ١٩٥٥، ص٢٩٨

مثل التاء / t / العربية، ومع كل الكلمات، كما تحول الصائت الطويل (الألف والواو والياء).

إلى صائت قصير ومع كل الكلمات، والتفسير: أن الثاء من الأصوات الضعيفة في شدتها، ولنطق الثاء يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا بحيث يكون هناك المنفذ الضيق للهواء ويرفع الحنك اللين فلا يمر الهواء عن طريق الأنف ولا يتذبذب الوتران الصوتيان ويكون معظم جسم اللسان مستويًا. لكن التأثير باللغة الأم أولاً، وبالإنجليزية ثانياً، يليه عدم الرغبة في بذل الجهد المطلوب مع عدم التعود على النطق الصحيح، بالإضافة إلى أن الفروق بين المكونين (م، ١م، ٢م) كانت واضحة وتمثل فارقاً سمعياً مميزاً. فحجم التجويف الفموي يؤثر بلا شك في النطق. أما نطق المجموعة العربية للثاء، فكان مثل وصف كل من السعران وكمال بشر (جدول رقم ٦).

مناقشة النتائج وتحليلها:

١- نُطق المجموعة الأولى أصوات: الثاء والشين والصاد بطريقة تختلف عن نطق أهلها لها، أما السين، فلا توجد فروق سماعية بين المجموعتين، بينما توجد فروق طفيفة بينهما عند نطق الذال.

٢- نُطق صوت الصاد / Š / كالسين / S / وهو من حروف الصفيير.

٣- نُطق صوت الشين / Š / كالسين / S / - وهو من حروف الصفيير.

٤- نطق صوت الثاء / / كالتاء العربية / t / .

٥- الفروق السمعية كانت واضحة بالنسبة للمجموعة الأولى في بعض الأصوات محل الدراسة كالشين والذال.

- ٦- ميل المجموعة الأولى لاستخدام المقطع القصير (CV) في المقاطع الطويلة.
٧- نُطق المجموعة الثانية للشين، فكان مثل وصف كل من السعران وكمال بشر (جدول رقم ٦).

الخلاصة:

١- اتفقت بعض النتائج للمجموعتين مع وصف بعض علمائنا القدامى مثل: ابن سينا والخليل وسيبويه وابن يعيش وابن الجزري، واختلفت مع بعضهم الآخر، كما اتفقت بعض النتائج مع وصف بعض علمائنا بعض علمائنا المحدثين مثل السعران وشاهين وبشر وعنبر، واختلفت مع بعضهم الآخر (الجدولان رقم ٦و٥).

٢- بالنسبة للمجموعة الأولى: التأثر باللغتين: اللغة الأم أولاً والإنجليزية ثانياً كان واضحاً، كما أن الإقامة في منطقة الحدود الشمالية يمثل عاملاً مهماً في النطق بهذا الشكل، فالاختلاط بالجنسيات العربيّة المختلفة الموجودة في هذه المنطقة -محل الدراسة- له تأثيره الواضح، حيث إنه يوجد عدد لا بأس به من عرب الشمال (العراق وسوريا والأردن). يعيشون منذ سنوات نتيجة ظروف الجوار والحدود والتجارة... إلخ، كل هذه الأسباب أدت إلى تواجد مزيج من الثقافات والحضارات واللهجات، وهو بلا شك أثر في النتائج، فاقترب البعض من وصف النطق لدى علمائنا القدامى واقترب بعضهم الآخر من وصف علمائنا المحدثين. فالمنطقة الشمالية تنحدر قبائلها من أصول عربيّة تتميز بالتأني في الكلام والميل نحو خفض الصوت^(١) والنتائج مع الفتحة كانت واضحة تليها الكسرة ثم الضمة، واللغة الأم تأتي في المقام الأول للتأثير على النطق، وتأتي اللغة الإنجليزية في المرتبة الثانية، والفرد قد يغير بطبيعته ليتكيف مع البيئة الجديدة قدر المستطاع، كما أن

١- حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٣ م، ص ١٥١

المسافة الفونولوجية كلما زادت بين الأصوات زاد الاختلاف في النطق^(١)، هذا بالإضافة إلى التشابه في طريقة نطق بعض الحروف لتواجدها في اللغتين العربية والإندونيسية، كما أن الرغبة في النطق بشكل صحيح لدى الحالات له أثره الواضح في النتائج، هذا بالإضافة إلى اللغات الكثيرة إلى جانب اللغة الرسمية للبلاد، كل ذلك كان أثر في النتائج.

٣- تغيير النبر (الفونيمات الثانوية) على بعض المقاطع يرجع سببه إلى تأثير اللغة الإنجليزية^(٢)، فاللغة العربية، لا تبدأ بساكن، وتضطر الإندونيسيات لإضافة صامت لتتمكن من النطق بالمجموعة الثانية.

٤- المكون الأول تأثر بالتغير الكمي للصوت نتيجة تدفق الهواء أثناء النطق، فتحول الصاد إلى سين.

٥- كمية الهواء في الصوت الشين أكبر من صوتي السين والصاد (جدول ٥٤ و٥) نقطة مهمة بالنسبة لصوت الذال في السماع، كما يمثل متوسط (F٢-F١)

٦- يمثل الفرق بين المكونين موضع تركيز الطاقة بالنسبة للأصوات المهموسة نفس الأهمية.

٧- يعد العامل الاجتماعي والتواصل من أهم العوامل لاكتساب المجموعة الأولى اللغة العربية، فاللغة وليدة المجتمع^(٣).

٨- يعد العامل النفسي من العوامل المؤثرة والمهمة في نطق المجموعة الأولى بهذه الطريقة، فإعطاء الأصوات دلالتها يرجع لحقائق نفسية، والمستمع حين يستمع إلى أصوات، فإنها تتحول إلى سلسلة من العمليات العقلية والنفسية قبل أن يشرع في الكلام^(٤).

١- المرجع نفسه، ص ٢٣٩.

٢- المرجع نفسه، ص ٢٣٩-٢٤٠.

٣- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، ط ١، دار غريب، القاهرة، ص ٤٢.

4- Michele P, Outi T, Sonia G and Valerie H: Vowel space area in later childhood and adolescence: Effect of age, sex and ease of communication, p12-13

٩- الفروق بين نطق حالات المجموعة الثانية من المنطقتين: الشمالية والشرقية قليلة جداً لا تذكر.

١٠- عامل السن له بعض التأثير لاكتساب النسق العربي للمورفولوجي.^(١)

- وفيما يلي جدول يوضح وصف بعض علمائنا القدامى للأصوات المختارة في البحث، الجدول رقم (٥).

العالم الصوت	ابن سينا (١)	الخليل (٢)	سيبويه (٣)	ابن يعيش (٤)	ابن الجزري (٥)
/S/ السين	لا إطباق فيه كالطاء وحبس غير قوي	شجرية وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى	بين طرف اللسان وفوق الثنايا	أسلية (ما بين الثنايا وطرف اللسان)	أسلية (نفس كلام ابن يعيش)
/š/ الصاد	سنية كالسين	أسلية	بين طرف اللسان وفوق الثنايا	أسلية (ما بين الثنايا وطرف اللسان)	أسلية (نفس كلام الخليل)
/ʃ/ الشين	حبس تام وقلع ثم إخراج الهواء دفعة وفيه إطباق	وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى	نفس كلام الخليل	نفس كلام الخليل	وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى (نفس كلام الخليل)
/ð/ الذال	حبس تام ثم إخراجه مرة واحدة يعيش	لثوي	طرف اللسان وأطراف الثنايا	طرف اللسان وأصول الثنايا	بين طرف اللسان وفوق الثنايا العليا
الثاء /θ/	سني لساني	لثوي	لثوي (نفس كلام الخليل)	لثوي (نفس كلام الخليل)	لثوي (نفس كلام الخليل)

جدول رقم (٥) يوضح وصف بعض علمائنا القدامى للأصوات المختارة

١- جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي، ج٢، ج٢، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د. ت. ص٢٩

* ذكر ابن الجزري أن الأصوات الأصلية (السين والصاد والشين) تسمى صفيرية أيضا (٦)^(١)

والجدول التالي يوضح وصف بعض علمائنا المحدثين للأصوات المختارة (جدول رقم ٦)

العالم الصامت	السعران (١)	شاهين (٣)	بشر (٣)	عنبر (٤)	حسنين (٥)	العاني (٦)
/ S / السين	سني لثوي	حنكي	لثوي	حلقي	طبقي	غاري
/ Š / الصاد	سني	لثوي	لثوي	لثوي حلقي	أسلي	أسناني
/ Š / الشين	سني	لثوي حنكي	نفس كلام د. شاهين	غاري	لم يذكرها	غاري
/ ʃ / الذال	مما بين الأسنان	بين أسناني	مما بين الأسنان	التوائي	لثوي أسناني	بين أسناني
/ Ø / الثاء	مما بين الأسنان	أسناني لثوي	مما بين الأسنان	التوائي	لثوي أسناني	بين أسناني

جدول رقم (٦) يوضح وصف بعض علمائنا المحدثين للأصوات المختارة

توصيات البحث:

١- المزيد من الدراسات التقابلية؛ بوصفها ركيزة مهمة جداً في المنجز اللساني العالمي.

٢- تشجيع طلاب الدراسات العليا للأبحاث من هذا النوع.

المصادر والمراجع

أولاً: العربيّة

- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر - صححه وراجعها الأستاذ / على محمد الضباع، ج ١، مكتبة القاهرة بالأزهر، مصر، د.ت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، ج ١، ت: محمد النجار، ط ١، القاهرة، دار الكتب المصرية، ٥٥١٩ م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج ١، ت: محمد النجار، ط ١، القاهرة، دار الكتب المصرية، ٥٥١٩ م.
- ابن سينا، رسالة في مخارج الحروف، ج ١، دو دوايت زمان، رسالة بالمقابلة وتصحيح وترجمة فارس د. برويز، ناتل، خافلري، ازديجهشت، ١٣٣٣ هـ.
- ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي، شرح المفصل، نشر وتحقيق الأستاذ / جيان ليزج، عالم الكتب، ج ١، مكتبة المنبي، القاهرة، ١٨٨٢ م.
- تغريد عنبر، الأصوات اللغوية، المنطقة العربيّة للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٨٠ م.
- جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي، ج ٢، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية - د.ت.
- حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٢ م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ت: عبد الله درويش، ج ١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧ م.
- سلمان العاني، التشكيل الصوتي، ترجمة دكتور / ياسر الملاح، ١٩٨٣ م.
- سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ت الأستاذ / عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج ٢، ط ٣، ١٩٨٨ م.
- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط ١، لبنان، ١٩٦٠ م.

- صلاح الدين حسنين، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٧م
- عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، دراسة وتعريب كتاب (برتيل مالبرج)، ط٢ القاهرة، مكتبة الشباب، ١٩٨٧م.
- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، ط١، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- كمال بشر، علم اللغة العام - القسم الثاني (الأصوات)، ط٥، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٩م.
- محمد هشام النعسان، الخط العربي وعالميته، د.ت، د. ط، ٢٠٠٢م.
- محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٢م.

ثانياً: المجالات والدوريات العلمية العربية والأجنبية:

- خالد رفعت، الاتجاهات المعاصرة في علم اللغة التجريبي، مجلة علم اللغة، العدد ١٧، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص ٢٣-٣٢، ١٩٧٧م.
- نصر الدين جوهر، تداخل اللغة الإندونيسية في اللغة العربية، مجلة جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية، إندونيسيا، العدد ٢: ١٢-٢٠١٢م.
- عبد الرحمن صالح، اللغة الإندونيسية، مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة من مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، العدد ٤: ١٤، ص ١٧٣-٢٠١٩م.
- جيمس ميلور، علم اللغة الاجتماعي، يوليزليميلوري، جامعة الملك سعود، الفصل ١٤، ص ٤٩٨-٤٩٩، ١٤٢١هـ.
- 5- Michele P, Outi T, Sonia G and Valerie H: Vowel space area in later childhood and adolescence: Effect of age, sex and ease of communication, p12-13.

REFERENCES:

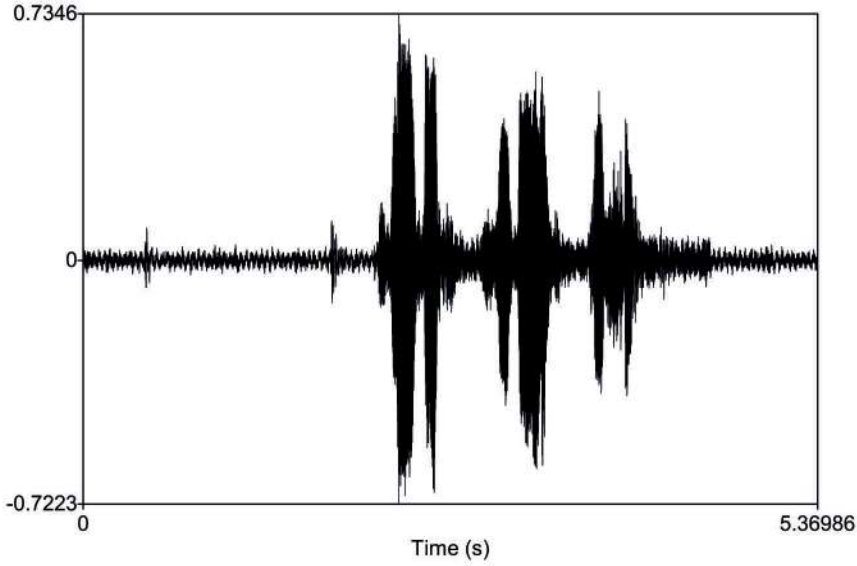
Arabic References

- Ibn Al-Jazari, PUBLISHING IN THE TEN READINGS, revised, edited, and proofread by Professor Ali Mohammed Al-Dabaa, Volume 1, Cairo Library of Al-Azhar, Egypt (N.D.).
- Ibn Jeni, Abu Al-Fath Othman, THE SECRET OF THE SYNTAX, Volume 1, Mohammed Al-Najjar (editor), Edition (1), Cairo, Egyptian Book House, 5519.
- Ibn Jeni, Abu Al-Fath Othman, AL-KHASIFAT, Part 1, Mohammed Al-Najjar (editor), Edition (1), Cairo, Egyptian Book House, 5519.
- Avicenna (Ibn Sina), RESEARCH STUDY ON THE MAKHRIJ AL-HOROOF, Vol. 1, Du Dwight Zaman, Contrastive Study, revised, proofread and translated by Faris, Dr. Parviz, Natel, Khavri, Izdebjshst, 1333.
- Ibn Yaish, Abu Al-Baqa Ya'ish ibn Ali, SHARH AL-MOFASAL, published and verified by Professor J. Jan Leipzig, World of Books, Part 1, Al-Mutanabbi Library, Cairo, 1882.
- Taghreed Anbar, LINGUISTIC VOICES, The Arab Region for Education, Science and Culture, 1980.
- Jalal Shams El-Din, PSYCHOLOGICAL LINGUISTICS, Volume 2, University Culture Foundation, Alexandria, (N. D.).
- Helmy Khalil, INTRODUCTION TO THE STUDY OF LINGUISTICS, University Knowledge House, Alexandria, 2012.
- Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi, AL-AIN, Abdullah Darwish (editor), Volume 1, Al-Ani Press, Baghdad, 1967.
- Salman Al-Ani, PHONETIC FORMATION, translated by Dr. Yasser Al-Mallah, 1983.
- Sibawayh, Abu Bishr Amr bin Othman bin Qanbar, THE BOOK, Professor Abdel Salam Haroun (editor), Al-Khanji Library, Cairo, Volume 2, Edition (3), 1988.
- Sobhi Al-Saleh, STUDIES IN PHILOLOGY, DAR EL ILM LILMALAYIN, Edition (1), Lebanon, 1960.
- Salah El-Din Hassanein, STUDIES IN DESCRIPTIVE, HISTORICAL AND COMPARATIVE LINGUISTICS, Edition (2), Cairo, 2007.
- Abdel-Sabour Shaheen, LINGUISTIC STUDIES, Study and Arabization of the

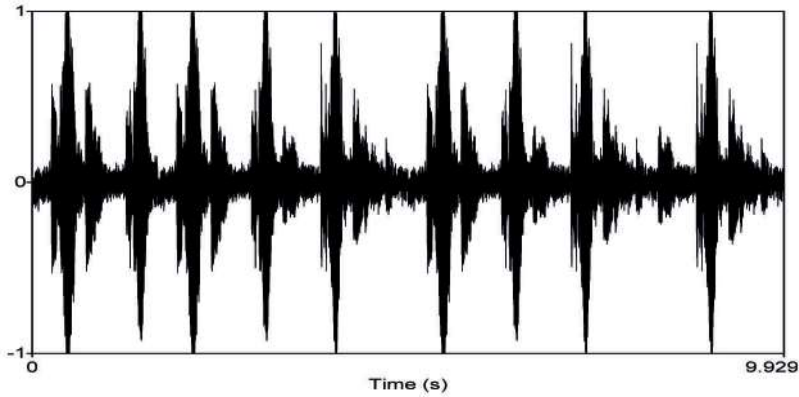
Book BERTIL MALMBERG, Edition (2), Cairo, Al-Shabaab Library, 1987.

- Kamal Bishr, PHONOLOGY, Gharib Printing House, Cairo, 2000.
- Kamal Bishr, SOCIOLINGUISTICS, Edition (1), Cairo, Dar Gharib, 2007.
- Kamal Bishr, GENERAL LINGUISTICS, Section Two (Voices), Edition (5), Dar Al Maaref of Egypt, Cairo, 1979.
- Mohammed Hisham Al-Naasan, ARABIC CALLIGRAPHY AND UNIVERSALITY, (N. D.), 2002.
- Mahmoud Al-Saran, LINGUISTICS (INTRODUCTION TO THE ARABIC Readership), Dar Al Maaref of Egypt, Cairo, 1962.
- Arab and Foreign Scientific Journals and Periodicals
- Khaled Refaat, CONTEMPORARY TRENDS IN EMPIRICAL LINGUISTICS, Journal of Linguistics, Issue 17, Faculty of Arts, University of Alexandria, PP. 23-32, 1977.
- Nasreddin Jawhar, THE INTERFERENCE OF THE INDONESIAN LANGUAGE IN THE ARABIC LANGUAGE, Journal of the State Islamic University of Sunan Ampel, Indonesia, Issue 2: 12-2012.
- Abdul Rahman Salih, INDONESIAN LANGUAGE, Journal of Islamic Studies issued by the Islamic Research Academy, Islamabad, Issue 4:14, P. 173, 2019.
- James Mellor, SOCIOLINGUISTICS, King Saud University, Chapter 14, PP. 498-499, 1421 H.
- Michael P, Outi T, Sonia G and Valerie H: VOWEL SPACE AREA IN LATER CHILDHOOD AND ADOLESCENCE: EFFECT OF AGE, SEX AND EASE OF COMMUNICATION, P.12-13.

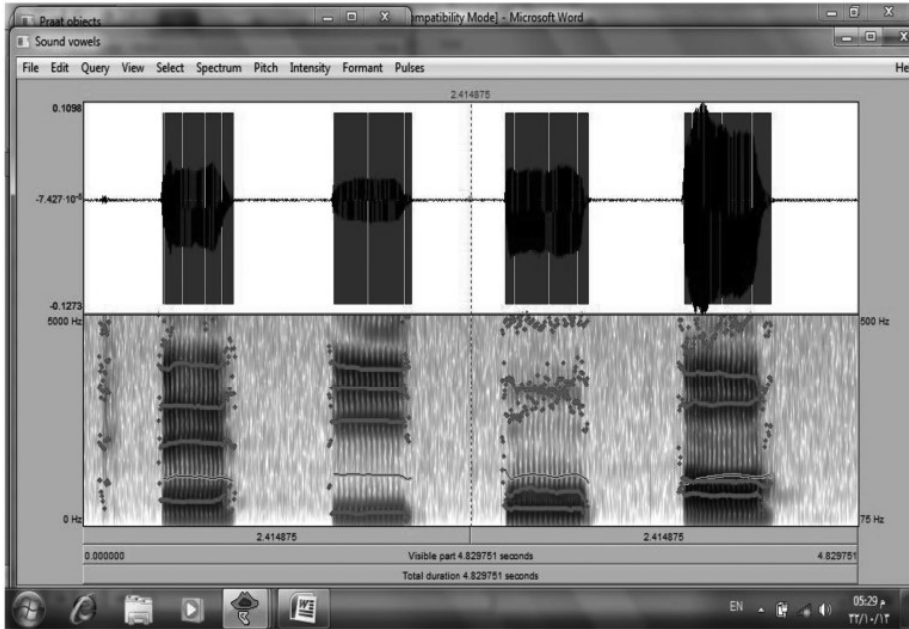
صور لأصوات بعض الحالات:



صوت السين /S/ في بداية الكلمة بصوت إحدى الإندونيسيات وبالحرركات
الثلاثة



صوت الشين /ش/ في بداية الكلمة بصوت إحدى الإندونيسيات وبالحرركات
الثلاثة



الصوائت: الفتحة والكسرة والضممة /a/، /i/، /u/

قائمة بالصور الموجودة في البحث

م	رقم الشكل	الشرح
١	الصورة رقم (١)	صوت السين /s/ في بداية الكلمة بصوت إحدى الإندونيسيات وبالحرركات الثلاثة
٢	الصورة رقم (٢)	صوت الشين /ʃ/ في بداية الكلمة بصوت إحدى الإندونيسيات وبالحرركات الثلاثة
٣	الصورة رقم (٣)	الفتحة و الكسرة و الضمة: (/a/، /i/، /u/) بالترتيب

قائمة بالجداول الموجودة في البحث

م	رقم الجدول	الشرح
١	الجدول رقم (١)	الأصوات والكلمات المختارة بالحرركات الثلاثة والكتابة الصوتية لها
٢	الجدول رقم (٢)	ترددات حالات المجموعة الأولى (الإندونيسيات)
٣	الجدول رقم (٣)	ترددات حالات المجموعة الثانية (العربيات)
٤	الجدول رقم (٤)	الفرق بين ترددات المجموعتين
٨	الجدول رقم (٥)	يوضح وصف بعض علمائنا القدامى للأصوات المختارة في البحث.
٩	الجدول رقم (٦)	يوضح وصف بعض علمائنا المحدثين للأصوات المختارة

قائمة بالرموز الموجودة في البحث

م	الرمز	الشرح
١	ص أو (c)	الصوت الصامت
٢	ح أو (v)	الحركة (فتحة - كسرة - ضمة)
٣	Cv	صامت - حركة أو (ص ح)
٤	/a/	الفتحة
٥	/i/	الكسرة
٦	/u/	الضمة

صوت السين	/s/	٧
صوت الصاد	/š/	٨
صوت الشين	/ʃ/	٩
صوت الذال	/ɟ/	١٠
صوت الثاء	/θ/	١١
صوت العين	/ʕ/	١٢
صوت الحاء	/ħ/	١٣
المكونات الذبذبية الأولى والثانية أو (م١ وم٢)	F ₂ , F ₁	١٤
هيرتز: وحدة قياس الذبذبات	Hz	١٥

دعوات تجديد في البلاغة العربية

Calls for Rejuvenation in the Arabic Rhetoric

د. هناء عمر خليل

جامعة الإسرء-عمّان-الأردن

د. رلى يوسف عصفور

الكلية العلمية الإسلامية - عمّان-الأردن

Dr. Hana Khalil

Isra University, Amman, Jordan

Dr. Rula Yousef

Islamic Scientific College, Amman, Jordan

<https://doi.org/10.47798/awuj.2023.i67.09>

تاريخ تسلّم البحث 2021/10/22 - وصدّر خطاب القبول 2022/02/17



Abstract

This study aims at tracking the calls for rejuvenation in Arabic rhetoric. It is an attempt to clarify the extent to which Arabic rhetoric can cope with modern critical approaches and linguistic studies. For this purpose, the study reviews the critics' opinions about the modern era and discusses the calls that they advocated employing inductive and analytical methods. The study was purposefully divided into sections. It begins with a preface presenting the efforts that the ancient rhetoricians made in Arabic rhetoric and highlighting its importance in literary studies. Then it discusses the calls for rejuvenation advocated by contemporary critics in three main sections: The first is the rejuvenation of the heritage, the second is objections to rhetoric, and the third is linking Arabic rhetoric to Western criticism and modern linguistic studies. Finally, the study concludes with the most important findings. Undoubtedly, this study adds new contributions to the rhetorical field by organizing the calls of critics and rhetoricians in specific frameworks and identifying their points of view regarding Arabic rhetoric in the past, passing through the modern era, and then the rejuvenation that occurred.

Keywords: rhetoric, rejuvenation, western criticism, ALkhoul, pragmatics

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع دعوات التجديد في البلاغة العربية، وتوضح الإشكالية التي يثيرها البحث في مدى قدرة البلاغة على مواكبة المناهج النقدية الحديثة والدراسات اللسانية، لذلك جاءت هذه الدراسة لتستقري آراء النقاد في العصر الحديث ومناقشة الدعوات التي نادوا بها، على وفق المنهج الاستقرائي والتحليلي، فاستلزم ذلك تقسيم الدراسة إلى تمهيد يشير إلى جهود البلاغيين القدماء في علم البلاغة وبيان أهميته في الدراسة الأدبية، ثم عرض دعوات التجديد للنقاد المعاصرين في ثلاثة مباحث رئيسة؛ الأول تجديد التراث، والثاني موقف من البلاغة، والثالث ربط البلاغة بالنقد الغربي وبالدراسات اللسانية واللغوية الحديثة، ثم الخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج والخلاصات. ولا شك في أنّ مثل هذه الدراسة تضيف للدرس البلاغي إسهامات جديدة من خلال تنظيم دعوات النقاد والبلاغيين في أطر خاصة، وتحديد النظرة إلى البلاغة العربية قديماً، مروراً بالعصر الحديث ومدى التجديد الذي أصابه.

الكلمات المفتاحية: البلاغة - التجديد - النقد الغربي - الخولي - التداولية

المقدمة

مشكلة البحث

تكمن المشكلة الأساسية التي يعرض لها البحث في مدى مواكبة البلاغة العربية لدعوات التجديد التي نادى بها النقاد والبلاغيون في العصر الحديث، وقدرتها على التشكل على وفق الدرس النقدي الحديث، الذي تعالت فيه صيحات التغيير في العالم العربي، ومدى تأثيره بالتيارات الألسنية في الفكر الغربي.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تتبع أفكار البلاغيين والنقاد القدامى في البلاغة العربية باعتبارها علما نشأ في حوض الدراسات القرآنية، ثم تطورت لتدخل في الدراسات الأدبية والنقدية.

ومن خلال التتبع التاريخي لمفهوم البلاغة وعناصرها الرئيسة، تسعى الدراسة كذلك إلى عرض أهم الآراء للنقاد في العصر الحديث، وإبراز موقفهم من البلاغة العربية، مع الحرص على إبراز مدى تقارب مواقفهم وابتعادها بحسب أفكارهم وتصوراتهم النقدية ومدى تشربهم بالفكر الغربي الألسني، من جهة، والحاجة الماسة للتغيير في أرضية الدراسة الأدبية واللغوية في العالم العربي من جهة أخرى.

فرضيات البحث

ينطلق البحث من الفرضيات التي يمكن إبرازها في الأسئلة الآتية:

- ١- ما أهم عناصر البلاغة العربية ومقوماتها عند النقاد القدامى؟
- ٢- كيف استقبل النقاد في العصر الحديث التراث البلاغي القديم؟

- ٣- ما مدى إسهام البلاغة الجديدة في الدرس الألسني، وحال المتكلمين بما يعرف بنظرية السياق؟
- ٤- ما أوجه التقارب بين البلاغة العربية القديمة وعلمي الأسلوبية والتداولية في الدرس البلاغي الحديث؟
- ٥- هل يمكن تطويع البلاغة التقليدية لمستجدات الدراسات اللسانية الحديثة من غير الإخلال بقيمتها التراثية وعناصرها الرئيسة؟

الدراسات السابقة

دراسة بعنوان «قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية» للدكتور «الشارف لطروش»، المنشورة في مجلة حوليات التراث، العدد ١٦، ٢٠١٦: تناولت آراء الباحثين العرب في علم البلاغة العربية، وتحدت وجهات نظرهم، فمنهم من دعا إلى تجديدها، ومنهم من دعا إلى تطويرها، ومنهم من دعا إلى تسييرها. وهذه الدراسة وإن كانت الأقرب لموضوع دراستنا إلا أنها لم تتعرض للتغير الذي أصاب البلاغة في العصر الحديث ولا سيما بمقاربتها بالدراسات النقدية الغربية.

رسالة دكتوراه بعنوان «التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث»، لـ«منير محمد خليل ندا»، المشرف د. علي العماري، مصر، ٢٠١١: تعرض الباحث في هذه الرسالة إلى بيان مميزات البلاغة العربية القديمة وأهميتها، وتتبع جهود البلاغيين أمثال السكاكي، وعبد القاهر الجرجاني، والقزويني، وغيرهم في خدمة البلاغة، وأفردت الدراسة الحديث عن بوادر التجديد عند الخولي وأحمد أمين، ثم عرض لاتجاهات التجديد ومظاهره في العصر الحديث، ولم يغفل الباحث عرض المعارك الأدبية بين المجددين وغيرهم في نظرهم للبلاغة العربية. وتفتقر هذه الدراسة على أهميتها وشمولها إلى ذكر المؤثرات الغربية التي طوّعت البلاغة العربية ولا سيما الدرس التداولي الحديث.

تمهيد

لم يكن الدرس البلاغي في عصوره كلها وفي مختلف أحواله بمنأى عن علوم أخرى وفنون متعددة، وإنما ظل لصيقاً ببعضها. ومن هنا بدأ مظهر التلاقح والتأثر؛ فالبلاغة تمد بكل ما تتميز به إلى تلك الفنون فتحصل بذلك لحممة أقوى ما تكون في جمالها وأدبها وثقافتها. والأصالة البلاغية تكمن بذلك التراث العظيم الذي وضعه علماء البلاغة في عصور سلفت من أقوال، وتعريف، ومصطلحات، وقواعد، وأسس؛ كلها تضافرت لتكون أساساً متيناً لذلك العلم الذي مهما حاول المحدثون التنكر إليه، وهم لا بد دائرون في فلكه آخذون جذور علومهم منه.

مؤسس علم البلاغة العربية هو الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، الذي وضع كتابه «البيان والتبيين»، إذ نثر فيه كثيراً من ملاحظاته، وملاحظات معاصريه، وتعمق وراء عصره، فحكى آراء العرب السابقين، والتمس آراء بعض الأجانب وسجلها^(١)، ولم يستغن بلاغيّ بعده اتسع في دراسته إلا وارتكز في نواة علمه على ما أتى به هذا العالم من أصول. وقد كثرت الدلالات البلاغية عنده تحت مُسمّى البيان، ومنها ما قاله عن تعريف البيان أنه «اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»^(٢)، فالغاية من البيان عنده إيصال المعنى إلى السامع بحيث تتحقق شروط الرسالة اللغوية في الفهم والإفهام، ويلاحظ أيضاً أنّ الجاحظ في تعريفه السابق يركز على

١- يُنظر: ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٦٥، ص٥٨.

٢- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ج١، دار الجيل، بيروت، ط٢، د.ت، ص٧٦.

الرسالة الشفوية التي يوصلها القائل إلى السامع .

وأول ما يصدق من وصف للبلاغة بأنها تلك الجمالية التي تكتنفها، فقد ظلت هذه الجمالية لصيقة بها مميزة لها، تلمس جوانبها عند عدد من البلاغيين القدماء . فالعسكري (ت ٣٩٥هـ) حينما قال: «يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيد السبك، غير مستكره فجّ، ولا متكلف وخم، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء؛ لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف»^(١)، وما هذا إلا تعبير عن جمال المحكيّ في تضافر الصوت واللفظة المفردة التي تؤدي معنى رائقاً بها تتحقق جمالية العبارة وذوقها الرفيع .

أما عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) فقد تميز عن بلاغيي عصره وما بعده في تلمس جماليات الأسلوب في صورتين أساسيتين: الصورة الأدبية الممثلة بالاستعارة والكنائية، والتركيب اللغوي الممثل بعلم المعاني، وقد استطاع من خلال نظرية النظم أن يقارب معطيات النقد الغربي بدءاً من الأسلوبية في طريقة النظر إلى النصوص الأدبية، وتعني نظرية النظم لديه «أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيه في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرّد أصواتاً وأصداء حروف لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر»^(٢). وهذه المزية في تراتب الألفاظ بحسب معانيها في النفس دون النظر إلى الدلالات الجزئية للكلمة أو أصوات الحروف قدّمت إرهاباً لتجاوز النظرة الجزئية لحدود الجملة في الدراسات البلاغية إلى نظر أعمّ يشمل النصّ الأدبي بأكمله، كما أن معطيات البلاغة التي درسها الجرجاني في قضية المعنى ومعنى المعنى، جعلته يتجاوز التأثير المنطقي القائم على التقسيمات والتفريعات التي

١- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢، د.ت، ص١٤.
٢- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، دمشق، ط١، ٢٠٠٧، ص١٠٢.

أرهقت البلاغة وكستها بجمود واضح.

ويعد السكاكي من أهمّ البلاغيين القدامى الذين وجهوا دراستهم للبلاغة على نحو علمي تسوده التقسيمات والتفريعات، حتى يمكن القول إنّ البلاغة في بابها المعاني والبيان نالت اهتماما واسعا لدى السكاكي من حيث إثراؤه خواصّ كل باب بفروع دقيقة يغلب عليها التععيد والجمود، ليخلص إلى القول بتعريف شامل للبلاغة، في أنها «بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّا له اختصاص بتوفية خواصّ التراكيب حقّها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها»^(١). ولذلك نجد أنه لا ينفك يورد أمثلة من القرآن ليعزز فكرة أبواب البلاغة التي ارتأها في منهجه العلمي، من غير أن يظهر أثر البلاغة في نفس المتلقي ومدى استجابته للكلام البليغ. وهذا ما جعل منهجه العلمي الصارم «طلاسم لا يقبل عليها الذوق، ولا ترتاح لها النفس، فهو بذلك أفسد الذوق الأدبي العام، وكأنّ العلم أمسى أدبا، وكأنّ من خصائص العلم أن لا يكون معقدا ومعسّرا»^(٢)، الأمر الذي يصبح الأدب شعره ونثره مجرد نماذج تخضع لمعايير جزئية دقيقة ومقاييس علمية يحكمها المنطق لا الذوق.

وها هو ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) أيضا يعرض هذه الفلسفة الفنية بمسمّى الذوق، إذ يقول: «واعلم - أيها الناظر في كتابي - أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم، وإذا سألت عما ينتفع به في فنه قيل لك هذا، فإن الدربة والإدمان أجدي عليك نفعا»^(٣).

وإذا كانت البلاغة تنحو منحى جماليا باعتمادها الذوق وسيلة لبلوغ الغاية،

١- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧، ص ٤١٥.

٢- مرتاض، عبد الملك، نظرية البلاغة، دار القدس العربي، الجزائر، ط ٢، ٢٠١٠، ص ٦٨.

٣- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٩، ص ٥.

فإن ارتباطها بالأدب وثيق جدا، «فالبلاغة من بين العلوم الأدبية هي روح الأدب والأدب مادتها، تعلم صنعه وتبصر بنقده»^(١)، فهذا الارتباط بين البلاغة والأدب من القضايا التي يقدمها الدارسون المحدثون في إطار واحد.

وفي العصر الحديث برزت تيارات نقدية غربية صبّت أفكارها في قالب البلاغة العربية في اللحظة التي كانت البلاغة تجد في بيئتها الحديثة اتجاهات عربية تدعو إلى الثورة عليها، وبعضها الآخر يسعى إلى الدفاع عنها مع محاولة تطويع لها لتتناسب وتلك التيارات الوافدة من الغرب.

ولا بدّ من الإشارة إلى قطبي البلاغة من مرسل وملتق في أول بدايتها، إذ كانت تعتمد على نظرية الاتصال الشفاهي، فكانت الكلمة توقع في قلب سامعها تأثيرا يفي بالغرض. وقد ظهرت الضرورة لهذا النمط من الاتصال الشفاهي في عصرنا الحالي الذي امتلأ بمغريات العصر وملذاته من صحافة وسينما. فظهرت الحاجة لعنصري الصوت والإشارة للتأثير في المتلقي، أكثر من الحاجة للاتصال الكتابي؛ «نظرا لهيمنة الإرسال التلفزيوني والإرسال الإذاعي على مجتمع نصفه تقريبا افترسته أمية القراءة والكتابة، ومعظم نصفه الآخر أعيتته أمية الثقافة والفكر»^(٢). وهذا ما يؤكد تأكيدا لازما أن البلاغة أداة تطويعية في الثقافة التي توجد فيها، وهي أداة مرنة لمن يجيد استخدامها، كما أنها آلة عقيمة لمن لا يتذوق جمالها، وإن دل هذا على شيء، فإنه يدل على أن مظهر التوافق بين القديم والحديث في نظرتهم للبلاغة ما هي إلا نظرة تعكس روح الأمة وثقافتها الراهنة وحضارتها المعاصرة.

ومن الجدير بالذكر أن الساحة الأدبية في عصرنا الحاضر امتلأت بمختلف الدعوات التي تعالت صيحاتها، ورفعت شعاراتها بشأن البلاغة العربية وموقعها

١- أبو علي، «محمد بركات»، حمدي، البلاغة عرض وتوجيه وتفسير، عمّان، ط ١، ١٩٨٣، ص ١٥٣.

٢- عبد المجيد، جميل، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٤٩-١٥٠.

في تلك الحضارة الراهنة التي تحياها. وقد تعددت مبادئ تلك النظرات الجديدة واختلقت غاياتها، فمنها من استقى من أصالة الموروث البلاغي واعتمادهأ أساسا لوصله بالحاضر، وتجديد ما يستدعي ذلك لتوائم روح العصر وثقافة الأمة، ومنها من أفاد بنظريات النقد الوافدة من الغرب لتبلور لنفسها إطارا فيه جدة وحادثة توازي ما في تراث القدامى من تميز.

وبناء على ما سبق، فقد جرى تقسيم تلك الدعوات إلى ثلاث فئات انتظمت مشاربها، وتشابهت وسائلها في نظرتها للقديم، واستقتها من الغرب الوافد، على وفق المنهج الاستقرائي والتحليلي في عرض الآراء ومناقشتها، مع العلم أن القارئ قد يجد بعض مظاهر التماثل والامتزاج في تلك الدعوات الثلاث، إلا أنها - في الحقيقة - اختلفت في طبيعة الموقف وخصوصية النظرة.

المبحث الأول: تجديد التراث

تتفق هذه الدعوات في المحافظة على التراث البلاغي الضخم، ومحاولة الإفادة منه في بعض الآراء والنظريات مع تجديد لبعضها الآخر، في محاولة لتطويعها لمستجدات التجربة الإنسانية، ومظاهر الثقافة المعاصرة. وأولى هذه الدعوات التجديدية ما يُنادى به أمين الخولي، حيث يرى أن للتجديد الأدبي غرضان: الأول قريب، وهو تسهيل دراسة المواد الأدبية، وتقليل ما يبذل فيها من جهد ووقت، مع تحقيق المطلوب من ورائها تحقيقا عمليا، بحيث يمكن كل دارس لها أن يظفر في وقت مناسب. بما يستطيع معه استعمال اللغة في حياته، والثاني بعيد، وهو أن تكون هذه الدراسات الأدبية مادة من مواد النهوض الاجتماعي تتصل بمشاعر الأمة، وترضي كرامتها الشخصية، وتسائر حاجتها الفنية المتجددة^(١).

ويستهل رأيه في مفهوم البلاغة عند القدماء، بأنها «مطابقة الكلام لمقتضى

١ - يُنظر: الخولي، أمين، فن القول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦ص ٦٣.

الحال»، ويرى أن هذا المفهوم لا يتوازي مع تلك الصورة الأدبية التي نجدها عند المحديثين الذين عدّوها من الفنون الجميلة؛ كالرسم والموسيقا، وينتهي إلى القول بأن فن البلاغة يقدم بصورة أنضر وجها، وهذا ما دعاه إلى أن يعرف البلاغة بأنها فن القول.

ثم نجده يصرّح بمحاولة تجديدية أخرى في دائرة البحث البلاغي عند القدامى في تقسيمهم البلاغة إلى مقدمة وثلاثة علوم، هي المعاني، والبيان، والبديع، فنراه ينتقد ما نتج عن هذا التقسيم من كثرة التفريعات والتجزئات التي فيها، وأنها تدور في فلك الجملة الواحدة أو ما يكملها. لذا فهو يطرح تقسيما آخر بأن تكون للبلاغة مقدمة فنية تُعرّف الدارس فيها بمعنى الفن وطبيعته، ونشأته وغايته وأقسامه، ومقدمة أخرى نفسية تُعرّف الدارس بالقوى الإنسانية ذات الأثر في حياته الأدبية من إيجاد، وترتيب، وتعبير. وعلى أساس ذلك يقسّم الدرس إلى بلاغة الألفاظ وبلاغة المعاني؛ ففي بلاغة الألفاظ «أصوات ذات جرس، ثم من حيث هي دوالّ على المعاني مُفهمة لها، ونبحث ذلك في المفرد والجملة والفقرة والقطعة، ونقسم المعاني بما يناسبها حتى ننتهي إلى دراسة فنون القول الأدبي المنظوم والمنثور منها، وما به قوام كل فن وحسنه متخطين الفنون القديمة من المقامة، والرسالة، والخطبة، إلى الفنون الحديثة من المقالة والقصة»^(١)، وهو بهذا المنحى التجديدي يحقق شمولية العمل الأدبي، ومجاوزته حدود الجملة ليدور في فلك النص كاملا.

وفي سبيل منه لتربية الذوق الفني، نجده يربط غاية البلاغة بالمظاهر الاجتماعية التي تعيشها الأمة، فهو يرى أن التطور العلمي، وتطور الآلة له أثر واضح في رقي الوجدان الإنساني الفردي والاجتماعي، مما يدع الإنسان أكثر إكبارا للفن،

١- الخولي، أمين، مناهج تجديدي في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، لبنان، ط١، ١٩٦١، ص٢٦٧.

إذ يغدو أدق حسا وأصدق تذوقا، وهذا ما يحقق المتعة بالفن القولى والآثار الأدبية^(١).

ونتيجة لهذا التطور العلمي يعرض أمين الخولى أزمة ازدواجية اللغة؛ بتجاوز الفصحى إلى جانب العامية، وفي محاولة منه لحل هذا الإشكال، يخلص إلى القول بضرورة الاهتداء في التفكير إلى هذين الأساسين: الرغبة في ترويح فصحي صالحة لعصرها، لا فصحي من قواميسها ومخلفاتها، ثم نزاول ذلك غير معادين للعامية، ولا ناسين ما فيها من مادة الفصحى وخصائصها^(٢). فكأنه بذلك يدعو إلى لغة ثالثة تأخذ من الفصحى مادتها، وتأخذ من العامية سهولة جريانها على الألسن.

ويستكمل أمين الخولى منهجه التجديدي، فيرى وجود صلة ذاتية دائمة بين الفلسفة والبلاغة، فكلاهما يبحث عن الجمال، وكيونته وإحساس الإنسان به^(٣). وهو في الوقت نفسه يرفض الفلسفة التي أسهمت في إبراز النزعة الجدلية الكلامية، وتسببت في إيراد تلك التقسيمات والتفريعات التي جارت فيها على الجانب الأدبي، وأفقدته روح الذوق، وصبته في قوالب جافة ظهر أثرها في علم المعاني الذي هو بحث في طرفي الجملة المسند والمسند إليه، ويصدق ذلك أيضا على علم البيان^(٤).

وإذا كانت البلاغة مرتبطة بالفلسفة في إبراز الجمال، فإن هذا يستدعي بالضرورة ارتباطها بالنفس، ويقول إن النظرة البلاغية للنفس كانت موجودة عند القدماء، فتحدثوا عنها في معرض الحديث عن التخيل والتشويق والغيرة، إلا أنه يرى خلاف ذلك، إذ يقول: «إنهم كانوا يقصدون من البحث النفسي الوقوف

١- يُنظر: الخولى، أمين، فن القول، ص ٢٠٧.

٢- يُنظر: المرجع السابق، ص ١٧١.

٣- يُنظر: الخولى، أمين، مناهج تجديد، ص ١٤٤.

٤- يُنظر: المرجع نفسه، ص ١٦٦.

على حقيقة النفس وقوامها دون عناية بالخصائص، ووصف المظاهر النفسية في الحياة الإنسانية، وهي الناحية التي اتجه إليها المحدثون حين صدفوا عن تعرف المهايأ والحقائق»^(١). فهو بذلك ينفي وجود رابط بين البلاغة والنفس، هذا الرابط الذي لمسهُ الأقدمون في الوقوف على حقيقة النفس وقوامها.

ونراه يعتد بأثر النفس في البلاغة، فيراها أصلاً من الأصول المدروسة، ويستمر في هذا الاعتداد ليقم تفسيره للإعجاز القرآني على أساس نفسي بحت. فيرى أن «القرآن قد راعى قواعد نفسية عن مظاهر الاعتقاد ومسارب الانفعال، ونواحي التأثير، وجوانب الاطمئنان وأثار من هذا ما أيد به حُجته، وأظهر دعوته وكان مثل ذلك من معرفة شؤون النفس الإنسانية لم يهتد إليه العلم بعد»^(٢).

ويورد مثالا على التكرار في تفسيره النفسي، وهو يسوق رأياً للسكاكي يوافقهُ على تفسيره للإعجاز القرآني - مع أنه كان مخالفاً له في توجهه المنطقي للبلاغة - وخلاصة هذا الرأي ترك تعليل الإعجاز، وتركيزه على الإحساس الفني، والذوق الأدبي؛ لأن الإعجاز كما يقول السكاكي «يدرك ولا يمكن وصفه»^(٣)، فمرجع تفسير الإعجاز القرآني لدى الخولي يعتمد على الإدراك النفسي والإحساس الفني.

هذا هو منهج أمين الخولي في البلاغة، وقد استطاع في منهجه أن يخلق مدرسة بلاغية جديدة قائمة على الذوق الذي يتطور بتطور الأمة علمياً وتقنياً، كما يبين مدى ارتباط البلاغة بعلمي الفلسفة والنفس، وارتباطها كذلك بالحياة الاجتماعية للأمة.

وقد أثار آراء أمين الخولي ردود الفعل عند بعض الدارسين، نذكر منهم

- ١- الخولي، أمين، مناهج تجديد، ص ١٨٥.
- ٢- المرجع السابق، ص ٢٠٣-٢٠٤.
- ٣- المرجع نفسه، ص ٢١٤.

على سبيل المثال شكري عياد الذي تحفظ على موقفه الوسط بين المحافظة على القديم والحماسة للجديد، فيتساءل: «كيف نصف موقفا يجمع بين إعزاز القديم وإدانتته، والحماسة للجديد والتوقف فيه؟»^(١)، ويأخذ عليه إلحاحه على فنية هذه البلاغة التي دعا إليها مع تأكيده في الوقت نفسه موضوعية الدراسة في كتابه (فن القول)، «فكيف اشتبه عليه الأمر في الدراسة البلاغية التي يريد لها موضوعية، فجعلها فنا كفن الشاعر أو الكاتب المبدع»^(٢).

ويناقش شكري عياد أمين الخولي في مسألة علمية البلاغة التي أقرّها الأخير وأكدّها، فيرى شكري عياد أن العلم ليس من شأنه دائما أن يجمد ويقلد، وإنما هو كالفن سواء بسواء، كلاهما يجمدان ويركدان إذا حجرا على القول، وكبلت المشاعر. ثم يحاول رد التناقض عند الخولي في قضية العملية في دراسة الأدب إلى عدة عوامل، هي «المناخ الأدبي العام في ذلك الزمان، مع شيء من حدة المزاج عرفناها في شيخنا الجليل، إضافة إلى انشغاله في كتابه فن القول بالأهداف العملية الحيوية من تدريس البلاغة»^(٣). وهذه العوامل بمجموعها صبغت مفهوم الأدب عند الخولي بصبغة عملية خاصة.

ونسوق نقد محمد عبد المطلب لكتاب (فن القول) الذي وجد فيه اكتمالا لنظرية التواصل الثلاثية: المتكلم، والمتلقي، والكلام، وهي محاولة كما يقول «تمثل تخطيطا ما زال رهن التغيير والتعديل، وهدف التجديد والتحسين، ... كما هي محاولة تمثل موقفا وسطا، فهي لم تغفل القديم تماما، ولم تكتف بالجديد وحده، وإنما كان التلاقي بين الطرفين هو أساس الدراسة عنده، فهو متحمس للقديم وأحبه وأدانه، وأقبل على الجديد وأخذ منه بقدر وحذر»^(٤).

- ١- عياد، شكري، اللغة والإبداع - مبادئ علم الأسلوب العربي، ناشيونال بريس، ط١، ١٩٨٨، ص٢٦.
- ٢- المرجع نفسه، ص٢٧.
- ٣- المرجع السابق، ص٢٧-٢٨.
- ٤- عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤، ص١١١.

وعلى الجانب الآخر، يتخذ أحمد الزيات موقفا معاكسا من ثقافة عصره، فيرى أن أسباب التنكر للبلاغة هي: السرعة، والصحافة، والتطفل^(١). فالسرعة أصابت الأذواق، فأصبحت بمنأى عن الدراسة العميقة والفهم الدقيق، فصار اهتماما بالأدب الخفيف الذي لا وزن له. وكذلك الصحافة التي أصبحت تخاطب الجمهور، فاضطرت إلى التبذل والتبسط في القول إلى درجة الإسفاف مراعاة للموضوعات التي تكتب فيها، ففشت نتيجة لذلك العامية، وطغت الركافة. أما التطفل فقد بدا في مجال الصحافة عند أناس يدعون المجد، ويتكلفون ما ليس في طباعهم من صناعة البيان، فيقعون في النقص، وهم يريدون الكمال.

ثم يبين رأيه في الذوق أنه أداة الجمال، وهو موهبة طبيعية تختلف في الناس وفي الأجناس، وتحتاج إلى المرونة بالدرس والعادة، وليس للذوق ما للعقل من سلطان واطمئنان وثبوت، فيقرر أنه «لا جدال في الذوق، لذلك لا نستطيع أن نطلقه في الأدب، حتى لا تكون الفوضى، ولا أن نقيده بالقواعد حتى لا يكون الجمود»^(٢).

ويرى أحمد الزيات أنه لا بد للذوق من استعداد العقل والعاطفة كليهما في تكوين حكمه هذا، فالعقل يظهر بمقتضى المنطق السليم، والعاطفة تظهر بمقتضى الشعور الحاصل، ومرجع كل حكم من أحكام الذوق إلى القاضي الأعلى وهو الطبيعة^(٣). ويذهب على أساس هذا المفهوم إلى القول بأن الوظيفة الأولى للبلاغة هي «الإقناع عن طريق التأثير، والإمتاع عن طريق التشويق، ولذلك كان اتجاهها إلى تحريك النفس أكثر، وعنايتها بتجويد الأسلوب أشد»^(٤)، فيتعاور العقل والعاطفة في إظهار وظيفة البلاغة، لا سيما إذا كان ذلك يصب في مصلحة جودة

١ - يُنظر: الزيات، أحمد حسن، دفاع عن البلاغة، القاهرة، ط، ١٩٦٧، ص ١٩.

٢ - المرجع السابق، ص ٣٠.

٣ - يُنظر: المرجع نفسه، ص ٥٧.

٤ - المرجع نفسه، ص ٣٩.

الصياغة وفنية الأسلوب .

ثم ينتهي أحمد الزيات إلى رأيه في الأسلوب، فهو الهندسة الروحية للملكة البلاغة، تلك البلاغة التي نعنيها هي التي لا تفصل بين العقل والذوق، ولا بين الفكرة والكلمة، ولا بين المضمون والشكل، «إذ الكلام كائن حيّ روحه المعنى، وجهه اللفظ، فإذا فصلت بينهما أصبح الروح نفساً لا يتمثل، والجسم جماداً لا يحسّ»^(١). فأحمد الزيات بمذهبه هذا يتميز بربطه الشكل بالمضمون وانضوائهما تحت الأسلوب المركب الذي يكون في عناصر مختلفة، يستمدّها الفنان من ذهنه، ومن نفسه، ومن ذوقه.

ويختتم أحمد الزيات دراسته للأسلوب، بالربط بينه وبين طبيعة الشخصية، فالأسلوب البليغ من لوازم القوة، لا ينفك عنها إلا في الندرة، والمراد بالقوة قوة الروح لا قوة العضل. وهذا الأسلوب إنما يقع في الأدب فيتأثر بمنحاه، فيرى أن «الأدب القويّ ما صدر عن قوة الروح، وصدق الشعور، وسموّ الإلهام، وألمعية الذهن، فدقّ معناه، وصدق لفظه واتسق أسلوبه. أما الأدب الضعيف فهو ما انقطع فيه وحي الذات عن آلة الفن، واحتجبت فيه صور الحياة عن مرآة الذهن»^(٢).

وبعد، فإن منهج أحمد الزيات، وإن بدا مخالفاً فيه لمنهج عصره الذي طغت عليه العامية، واستحوذت الصحافة على لغة الكتابة، إلا أنه يحاول تبين الأسلوب القويم الصحيح من خلال تأثره بالمنهج الغربي آنذاك، مع محاولة لتأصيل هذا التأثير في موروث البلاغة القديم، فيظهر انتفاعه بعبد القاهر الجرجاني في مسألة الشكل والمضمون، والانتقال من اللفظة المفردة إلى مستوى الكلام المؤلف الذي ينتظمه السياق، وهو ما عرف عند الجرجاني بنظرية النظم.

١- المرجع نفسه، ص ٧٤.

٢- المرجع السابق، ص ١٣٧.

وكان ممن أظهر في دعواتهم المذهب التوفيقي بين القديم والحديث محمد بركات أبو علي الذي جاءت آراؤه في البلاغة متوزعة في غير كتاب نستطيع بعد قراءتها تبين منهجه الذي بناه أولاً على قضية اختلاف المصطلح في العصر الحديث، فبعضهم يجعل البلاغة باسم الصورة الأدبية أو الفنية، وبعضهم يجعلها باسم التذوق أو الأسلوب، أو فن القول أو النقد. ولكنه يعرض للمشكلة التي تواجه البلاغة العربية في العصر الحاضر، فهي تنطوي على النص البلاغي، والمجتمع المعاصر.

ثم يعرض بعض القضايا التي تواجه البلاغة اليوم، منها قضية الشاهد البلاغي، والشروح والتفسيرات وملاءمتها لروح العصر وثقافة الأمة في ذلك الوقت. وهو يرى بضرورة تقريب المدلول البلاغي في إطار قيم الحياة الحاضرة وأساليبها^(١).

ويعود لينحي باللائمة على هؤلاء الذين يتهمون البلاغة بالقصور والجمود في أنهم أصحاب النظرة العجلى، إذ يعتمدون على السرعة وعدم التدقيق في النصوص، وقطع المتن عن حواشيه أو تقاريره أو شروحه^(٢). لذا فإنه يدعو إلى ربط البلاغة بالحياة، وذلك من خلال «فهم التركيب اللغوي والنحوي والصرفي للشاهد البلاغي، ثم معرفة المسائل الصوتية واللسانية، ثم فهم سياسة التوصيل والتأثير بين المتفنز والمتلقي، ثم فن الاختيار، وبذلك تكون البلاغة العربية في صورتها الصحيحة التي هي الحياة»^(٣).

ومحمد أبو علي في معرض حديثه عن البلاغة الحديثة لا يريد قطعها عن

١- يُنظر: أبو علي، "محمد بركات"، بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية، دار وائل للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٤، ص١٨.

٢- يُنظر: أبو علي، "محمد بركات"، كيف نقرأ تراثنا البلاغي، ط١، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، ط١، ١٩٩٩، ص٤٠.

٣- المرجع نفسه، ص٣٧.

البلاغة القديمة، ولا يتنكر لها، بل يجب الاجتهاد والدراسة والبحث فيما ترك لنا الأجداد من أصول وقضايا، ويخلص إلى القول: إن التجديد في البلاغة ينبغي أن يتفق مع التجديد في بلاغة أية أمة من الأمم، من حيث الأسلوب والأداء والصورة، ويجب أن يراعى في ذلك التجديد ما يمس العقيدة الإسلامية؛ وذلك لأن البلاغة العربية متصلة بكتاب سماويّ مقدس، ألا وهو القرآن الكريم، بالإضافة إلى صلاتها بفن القول العربي^(١). وبذا يكون منهج محمد أبو علي محافظاً أشد الحفاظ على مسيرة الأقدمين في تراثهم البلاغي؛ لأنها الأصل الذي يستقي منه الحداثيون لغتهم وفنهم البلاغي، مع التعليل المقنع لتلك الثغرات التي أسقطها أدعياء اليوم على البلاغة العربية، وما فيها من أوجه القصور والعجز.

ويردّ محمد عبد المطلب على من يحاول الهجوم على البلاغة القديمة، فمن بعض آرائه في هذا المجال ردّه على ما قيل عن البلاغة إنها تركت انطباعتها لتدخل دائرتها العلمية، يقول: «شرف للبلاغة أن تكون علماً من أن تكون بحوثاً مبعثرة لا تلتزم بخطة أو منهج يضبط حركتها، فلا نتصوّر أن تعاب دراسة ما بأنها أخذت ثوباً علمياً منظماً، بل الأوفق أن تكون العلمية صفة مدح لا ذم»^(٢).

ويرد أيضاً على من يعدّ البلاغة فناً، فيقضي بأنه لا تناقض بين الفنية والعلمية؛ لأن البلاغة فن الصنعة، ويرى أن الحركة البلاغية يجب أن تبدأ من منطقة محايدة بين العفوية والقصدية على أن تكون الغلبة النهائية للقصدية بغلافها العقلي. ويسوق تفسير (العلمية الفنية) التي طبعت البلاغة من خلال توحيدها مع النقد، «فالنقد عملية تلحق العمل الأدبي لتمييز فيه بين الجودة والرداءة، والبلاغة تقوم على خبرات مستمدة من معايشة النصوص لرصد أشكالها المتنوعة، فيما يتصل بالمزوج مع المواضع اللغوية في مباحث البيان؛ من مجاز، واستعارة،

١ - يُنظر: أبو علي، "محمد بركات"، بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية، ص ١٩.

٢ - عبد المطلب، محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١، ١٩٩٧، ص ٢.

وكناية»^(١).

ومن مواضع دفاعه عن البلاغة القديمة ما اتهمت فيها باقتصارها على حدود الجملة، ويعلل ذلك بظروف العصر، وسيطرة الملاحظ الجزئية في النظر إلى الواقع، ثم انعكاسها في البحث اللغوي عموماً. ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يتغاضى عن الإغراق في الجزئية والانفصالية في البحث البلاغي جملة، وذلك طبقاً لما قام عليه منهجه الأسلوبى كما سنرى لاحقاً.

ويختم حديثه بما قيل عن البلاغة من افتقارها لروح التصنيف العلمى السديد، واعتمادها على التقويم والمعيارية، ويعقب على ذلك بضرورة الحاجة إلى إعادة النظر فيما قرئ، أو بعث قراءة ثانية مُنصّفة تنظر إلى الظاهرة في ضوء عصرها، قراءة تمتلئ بقدر كبير من التجارب؛ حتى يمكنها أن تعيد إنتاج ما قرأته في لغة قادرة على مواكبة العصر وظواهره إبداعاً ونقداً^(٢). فالبلاغة لديه، على ما فيها من ملاحظ، يمكن تطويعها لروح العصر وثقافته الراهنة، فتغدو في ثوب جديد عصريّ يمتد من القديم، ويجاري متغيرات العصر.

من جانب آخر، يدعو أحمد الشايب إلى مواجهة القصور التي مُنيت به البلاغة العربية القديمة من كثرة أبوابها وتقسيماتها الممثلة بالمعاني والبيان والديبع، محيلاً بذلك إلى أنّ البلاغة العربية من حيث مفهومها الدال على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، يجب أن يُنظر إليها نظرة أشمل وأعمّ، لذا نراه يحصر موضوع البلاغة في ركنين أساسيين، هما: الأسلوب، والفنون الأدبية، فالأول يدرس القواعد التي تجعل من التعبير جميلاً ومؤثراً، ويدخل في إطاره الكلمة والصورة والجملة والعبارة والأسلوب، والثاني يدرس الفنون الأدبية كالحكاية والمقالة

١- المرجع السابق، ص ٥.

٢- يُنظر: المرجع نفسه، ص ٣٣.

والخاطرة^(١). وبهذا التقسيم الذي يقترحه الشايب تتجاوز البلاغة العربية القديمة عيبا ألصق بها وهو اهتمامها فقط بالناحية الشكلية للنص الأدبي، لتتجاوز ذلك إلى دراسة الموضوعات والفنون بصورة عامة.

وبناء على التقسيم السابق، يستبدل أحمد الشايب الأسلوب بالبلاغة العربية، ليقدم تعريفاً جديداً للأسلوب الذي هو في حقيقة الأمر بديلاً عملياً عن البلاغة التقليدية، فالأسلوب الأدبي لديه «طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها؛ للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه»^(٢)، ويتضح من الأسلوب لدى الشايب أنه يُعنى بطريقة اختيار الألفاظ لتحسن التعبير عن المعاني بقصد التأثير والإفهام، وهو عينه ما نجده من المقصد الأساسي للبلاغة التقليدية، وإن كان الشايب قد تجاوز ذلك إلى ربط الأسلوب بالفنون الأدبية الحديثة من قصة، ومقالة، وخاطرة، ناهيك عن الشعر بأغراضه التقليدية المعروفة. فتكون دراسة الشايب بذلك إعادة النظر إلى البلاغة التقليدية بصورة حديثة تتوخى الشمولية والنظرة إلى البلاغة من حيث هي طريقة وموضوع في آن واحد.

يمكن القول إن دعوات التجديد في البلاغة أبقَت الدرس البلاغي القديم حاضراً في الأذهان، بل أرسى المجددون له حجر الأساس في ربط البلاغة بروح العصر ومتغيراته، وظهرت صورة التراث لدى هؤلاء بصورة تبعث على الأمل بتحسين الحاضر المغيّب، لا سيما ما وجدناه عند الزيات، بما يمكن وصفه بالروح الأصيلة التي شكّلت قبس التجديد، مع تلمّس جوانب التأثير الغربي الذي مدّ أثره ليصبّ في الأدب العربي بعامة، والبلاغة بخاصة.

١ - يُنظر: الشايب، أحمد، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٨، ١٩٩١، ص ٣٧-٣٨.
٢ - المرجع نفسه، ص ٤٤.

المبحث الثاني: موقف من البلاغة

تتخذ الدعوات التجديدية في هذا الطابع موقفا سلبيا من البلاغة القديمة، وأكثر ما يدور حولها من أفكار هو الوظيفة التي تؤديها البلاغة واللغة التي توظف لخدمة المتلقي، وكانت ردود هذا الاتجاه متفاوتة في الآراء وأسلوب التناول، ولكنها تتفق - في الأغلب - على الحدّة في القول والجرأة في الرأي، وكلها تستمد واقعها ووجودها من ظروف العصر الذي تعيش فيه.

وأول هذه الدعوات الدعوة التي تبناها سلامة موسى، إذ يرى أن البلاغة العربية هي بلاغة الانفعال والعاطفة، لذلك فهو يلحّ على أن تكون البلاغة علما يراد به مخاطبة العقل، ومردّد ذلك عنده أننا أمة متطورة، والبلاغة العصرية يجب أن تكون عصرية، لا تقتصر على مخاطبة العواطف، بل تخاطب العقل، ويجب أن تكون غايتها الأولى الفهم، وما دام الأمر كذلك، فإن المنطق هو الأساس الأول لأية بلاغة يراد بها التعبير السديد^(١).

ويأتي سلامة موسى برأي حول ازدواجية اللغة، وهو رأي شبيه لما أورده أمين الخولي في هذه القضية، وإن شطّ فيه سلامة إلى حد أبعد من ذلك، فيرى أن «نأخذ من العامية للكتابة، أكثر ما نستطيع، ونأخذ من الفصحى للكلام أكثر ما نستطيع حتى نصل إلى توحيدهما»^(٢). ويسوّغ دعوته إلى العامية في القول؛ لأنها الأقرب في التعامل، أما لغة الكتابة فتصبح كأنها لغة الكهّان التي لا تتلى إلا في المعابد، وينقطع الاتصال الفسيولوجي بينها وبين المجتمع. ولذا يجب أن تكون الغاية عنده في توحيد لغتي الكلام والكتابة.

ومن أهم المخاطر التي يرصدها سلامة موسى، هو ربط البلاغة وأسلوب

١- يُنظر: موسى، سلامة، البلاغة العصرية واللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٢٠.

٢- المرجع نفسه، ص ٤٤.

الكتابة بالجانب التعليمي المدرسي، إذ يجعل البلاغة نمطا تعليميا عصريا يجب أن يتوافق مع مستويات الكتابة للطلبة في مراحل تعليمهم الأولى، واستخلص من هذا الرأي الأضرار والآفات التي تصيب الطلبة في دراستهم للبلاغة، ومنها استظهار الجمل المختارة ذات العبارات الرنانة والزخارف المبهرجة، مما أدى برأيه إلى ترك اللباب؛ أي التفكير السديد، ويورد ضررا آخر يتمثل في تعويد الطلبة على محاكاة أساليب المتقدمين، وكأنها غاية في الإنشاء، لذلك نجد يورد حلولاً تسدّ النقص في تلك البلاغة، ومنها اعتماد العقل بدلا من العاطفة في التفكير الصحيح، ومقاطعة الاقتباس في الإنشاء، وتعويد الشباب على التفكير والبحث، أما الأسلوب فيمثل الناحية الأخلاقية للكاتب، وأسلوب الكتابة هو بعض أسلوب الحياة^(١)، وقوله الأخير هذا يحمل معنى ضرورة تحري الصدق في التعبير عن آفاقنا الذهنية والنفسية بلغة تدور في فلك كوكبنا الذي نعيشه. فارتقاء اللغة برأيه يكمن في دقة معانيها، ووفرة كلماتها، لا بزخرفتها البديعة.

وتماشيا مع نظريته «علمية البلاغة»، يسمح سلامة موسى بتجاوز الأخطاء النحوية التي يقع فيها الطلبة ما دام الغرض الأساسي متحققا، وهو الفهم، كما يدعو إلى تسكين أواخر الكلمات؛ لأن هذا أدعى إلى تحريّ الدقة والاقتصاد في التعبير، وفهم المقصود دون اللجوء إلى الأعيب الصغار عن الاستعارات والمجازات^(٢). فإسباغه صفة العلمية فقط على هذه البلاغة الجديدة يكون قد جرّدها من كل القيم الجمالية التي تعتبر الأساس في بلاغة العرب، وكأن إعجابه الشديد بالغرب ومدى التطور الذي وصل إليه في مناحي حياتهم جعله يتناسى أن في البلاغة العربية هذه الخصوصية الجمالية التي قد لا نجد لها في أية لغة كتابية أخرى في العالم؛ لسبب بسيط وهو أن البلاغة العربية لم تنشأ إلا في حضان القرآن الكريم كتاب الله المعجز ببيانه وأسلوبه.

١- يُنظر: المرجع السابق، ص ٥٧.

٢- يُنظر: المرجع نفسه، ص ١٣٨.

وفي رأي مقارب لسلامة موسى حول استخدام اللغة، يدعو علي الوردي إلى التيسير في لغة الكتابة، وإلى تجريدها من الزخرفة والحذقة اللتين اتصف بهما الأدب العربي القديم، ومردّد ذلك عنده أننا نكتب للجمهور، لا للطبقة الخاصة، فـ «الحياة الجديدة تقضي علينا أن نغير في أسلوب لغتنا، كما غيرنا من أسلوب مساكننا وملابسنا وغيرها»^(١). ويبقى مفهوم التغيير لديه أمراً ملغزاً، فهو لم يوضح المقصود بالتغيير الذي يدعو إليه، إن كان خروجاً عن جمالية التعبير البلاغي أو قواعد النحو، أم كان تغييراً يطوِّع فيه قواعد الكتابة مع حاجات العصر دون الخروج على قواعدها وطابعها الجمالي التعبيري.

أما عبد العزيز البشري فيعرض بالطريقة التي قدمت فيها البلاغة باعتبارها علوماً مقررة ومعارف واضحة، فإذا كانت كذلك فمن السهل على كل من يجيد علمها أن يجيء بالبليغ من القول، لذلك فهو يثور على هذا الرأي، ويواجه متقدمي الطلاب الذين درسوا علوم البلاغة في أفحل كتبها، وأعلاها مكاناً، «فهم لا حظ لأكثرهم الكثير في فصاحة ولا في بيان، بل هؤلاء أشياخهم الذين استهلكوا الدهر في درس هذه الكتب وتحقيق قضاياها ومسائلها، حتى فروا أبوابها فرياً، وبروا فصولها برياً، هؤلاء كثير منهم لا غناء لهم في فصاحة لسان، ولا في نصاعة بيان»^(٢). فتورة البشري هنا وُجّهت بصورة خاصّة إلى علوم البلاغة وتقسيماتها من بيان، ومعانٍ، وبديع، أخذاً الحُجّة من مستوى الطلبة الذين لم ينتفعوا من دراسة تلك العلوم، ولم يخرجوا بفائدة في البيان والتعبير، ممّا أضفى على البلاغة طابع الصعوبة والجفاء الأسلوبي.

ثم يورد آراء الأقدمين ويعرض بأسلوب البلاغة القائم على العلم، فهي

١- الوردي، علي، أسطورة الأدب الرفيع، دار كوفان، لندن، ط٢، ١٩٩٤، ص٥٧.

٢- البشري، عبد العزيز، ثورة على علوم البلاغة، مجلة الهلال، مصر، العدد (٣)، يناير ١٩٣٦، ص٢٦٥-٢٧٥.

نتيجة لذلك جف ماؤها، واقتصر خطابها على العقل، وكانت من قبل تخاطب الإحساس والأذواق، ثم نجده يدعو إلى أن البلاغة فن تتحصل من أثر تهيو الفطرة أو ما اصطلاحوا على تسميته بالموهبة في هذه الأيام، وينفي في خاتمة مقاله ثورته على ضرورة إلغاء علوم البلاغة، ولكنه يدعو إلى تليينها وتمرينها؛ حتى تُصبح أشبه بالأسلوب النقدي القائم على التفتين والتذويق، بحيث تتطور مع تطور الأفهام والأذواق^(١). فالبشري يرى أن موهبة الشاعر والكاتب لا تنضج بدراسة علوم البلاغة، وإنما بطول ترديد النظر وتقليب الذهن في المأثور من روائع الآداب، واستمرار الدربة والتمرين، حتى تتحقق له هذه الموهبة، وتنشأ البلاغة في أجلى معانيها.

مما سبق، يمكن القول إن الآراء السابقة اتخذت موقفا من طريقة تدريس البلاغة العربية، فكانت تدور بمجملها في إطار الجانب التعليمي، وخطورة هذا الرأي تكمن في تجريد البلاغة من الجمالية التي وصفت بها، وتميزت ببيانها وأسلوبها، فالأحرى هو رفع مستوى المتعلم ليلا مس مكامن جمال التعبير البلاغي، ليرتقي بذلك أسلوبه في الكتابة والتعبير، ولا يتحقق ذلك إلا بالدربة ومحاكاة النماذج الرفيعة، ليكون هناك نتاج راقٍ في التعبير يضاهي مستوى اللغة الأدبية التي تنطوي على بلاغة القول وفصل الخطاب.

المبحث الثالث: بين البلاغة العربية والنقد الغربي

في خضم هذا المد الزاخر من التيارات النقدية الوافدة من الغرب، ظهرت فئة من دارسي البلاغة تحاول استمداد هذه النظريات الجديدة، وتطويرها لخدمة البلاغة العربية، بحيث تخرج في قالب جديد مغاير لما لمحنه في تراث القدامى، وفي الوقت نفسه يشكل امتدادا لتلك الأصالة وانبعثا منها. وأول ما يطالعنا

١- يُنظر: المرجع نفسه، ص ٢٧٥.

الدرس الألسني الذي نشأ في حضان اللغة الذي عكس بعض مظاهر التأثير في البلاغة العربية.

يقول خليل كفوري: «فالألسنية تتناول النص بحد ذاته بصرف النظر عن العوامل التاريخية والسيكولوجية. والألسنية تدرس النص على حقيقته، وتبحث عن تركيبه، وقيمه اللغوية التي تلازمه في كل الظروف»^(١)، فهو بذلك يرى الدراسة الألسنية دراسة مستقبلية، ولا بد للبلاغة الحديثة أن تركز عليها لتعطي حكما عادلا على النصوص.

ويخلص خليل كفوري إلى القول: إن للبلاغة العربية جانباً ذوقياً، فهي تركز على الذوق السليم كمعيار للأدب الجميل، ويدعو إلى عدم الدخول في تفاصيل معياريتها، «كتفاصيل الصورة البيانية، والصورة الفنية، والزخرف البديعي الذي يمرر نكهة الحلاوة، ويفقد النص لذته»^(٢)، وينكر بذلك الطابع التفتيتي للبلاغة العربية والتقسيمات الكثيرة التي أصابتها، ويدعو إلى اكتناه جمالياتها من خلال الذوق معيارها.

ويبين أحمد درويش مدى القصور الذي أصاب البلاغة القديمة، ومحاولة البلاغيين الجدد رأب الصدع بين القديم والحديث، من ذلك ما أشار إليه في دمج أبواب البيان في مصطلح الصورة الفنية^(٣)، موضحاً أن البلاغة تقوم أساساً على الإقناع، والإقناع لا يتم إلا بالحوار الذي يجسر الفجوة بين المبدع والنص والمتلقي، وهنا يشير إلى الترهل البلاغي الذي وصل إليه معاصرو السكاكي في دراسة الإقناع تحت مفهوم الاستدلال، واعتماده وسيلة لتحديد خواصه والتفنن في ذكر مصطلحاته دون أن يكون هناك محاولة جادة لتنشيط الاتصال بين

١- كفوري، خليل، نحو بلاغة جديدة، منشورات نداف، ١٩٩٤، ص ٣٠.

٢- المرجع نفسه، ص ٣٧.

٣- يُنظر: درويش، أحمد، النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٥.

المبدع والمتلقي، فليس من المعقول تحقيق الإقناع بوسائل بلاغية جامدة وأساليب بائدة^(١). من هنا يأتي من الضروري توجيه النظرة إلى النص الأدبي لا العبارة الشعرية بوسائل جديدة تعيد الاتصال بأقطاب المرسل الكلامية.

وكان لوفرة الدراسات اللسانية أثر في ظهور علم الأسلوب الذي بدأ يتضح شيئاً فشيئاً لدى علماء اللغة إلى أن تميز عنها، فأصبح نظاماً يكمن تحت النص الأدبي. ومع امتداد الدراسات الأسلوبية للنصوص الأدبية وتشعبها تردت الآراء والمقولات التي تنادي وتؤكد وراثه الأسلوبية الشرعية للبلاغة القديمة، وقيامها بديلاً عنها في الدراسات الأدبية. وتعددت الآراء بشأن علاقة البلاغة بالأسلوبية، فشكري عياد مثلاً يرى أن «القدماء تناولوا ظاهرة الأسلوب من مدخل التقاليد الفنية، وأنّ المحدثين تناولوها من مدخل التجربة النفسية، والتعبير عن الذاتية»^(٢)، غير أن منطلق دراسة علم الأسلوب كانت من اللغة نفسها التي صبت اهتمامها في صميم الدراسات الأدبية.

وينطلق محمد عبد المطلب من علم الأسلوبية ليبنى تصوره في تحليل مباحث البديع تصوراً يعتمد على الحداثة في الرؤية للنص الشعري الحدائثي من حيث الاعتماد على محاور التقابل والتماثل والاختلاف للكشف عن العلاقات الداخلية للنص الشعري، ثم يقيم تصوره أساساً على مبدأ تعاور عنصري الشكل والمحتوى لإنتاج الدلالة الشعرية، وعليه يقدم رأيه عن المباحث البلاغية القديمة لباب البديع التي كانت تدور داخل حدود الجملة الواحدة، وكان امتدادها خارج حدود الجملة نادراً، من هنا يظهر الفرق الواضح بين البلاغة والأسلوبية في أن الأخيرة تتجاوز هذه النظرة الجزئية للبنية اللغوية للبحث في العلاقات الكامنة

١- يُنظر: المرجع نفسه، ص ١١.

٢- عياد، شكري، مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد، فصول، مصر، المجلد (١)، العدد (١)، أكتوبر، ١٩٨٠، ص ٤٩-٥٨.

في النص الشعري بتعاور محوري الشكل والمضمون^(١).

من جانب آخر، يؤمن يوسف أبو العدوس بحقيقة تنامي العلوم وتطورها المستمر، ولا سيما في إطار العلوم الإنسانية، إلا أنه ليس من اليسير مطلقاً تقبل فكرة وراثه علم ما لعلم سابق «طالما أن هذه الوراثة تحمل في طياتها الدلالة على إفناء العلم السابق بوصفه علماً مستقلاً له تميزه الخاص»^(٢)، فالتطور الطبيعي للعلوم أمر يفرضه منطق الحياة، أما إحلال علم محل علم آخر فهو أمر ينطوي على خطورة عظيمة، ما لم تقم شواهد إحلال العلم الجديد على أدلة مقنعة ونافذة. وهذا الرأي الذي يطرحه يوسف أبو العدوس ينفي إمكانية إحلال الأسلوبية - بوصفها علماً ألسنياً حديثاً - محلّ البلاغة العربية، ولا تستطيع أن تقوم مقام البلاغة، على الرغم من أنها تتناول خصوصيات التعبير الأدبي التي توافرت للبلاغة العربية.

أما صلاح فضل فيورد جملة من المفارقات بين البلاغة العربية وعلم الأسلوب؛ لينفي بدوره تطور البلاغة وانبعائها من قبيل علم أسلوب اللغة، ومن هذه المفارقات أن علوم البلاغة «في جملتها معيارية لا وصفية، ومنطقية لا لغوية، وعشوائية في اختيارها للعناصر التي تعتد بها وتقف عندها من حصيلة اللغة وأشتات الأدب»^(٣)، علاوة على ذلك، الجزئيات التي انطلقت منها البلاغة العربية متأثرة بالمنطق الأرسطي لا يمكن أن تتناسب مع البنية الكلية لعلم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته، الأمر الذي يقتضي بطبيعة الحال اختلاف أهداف كل منهما في الرؤية والتناول.

-
- ١- يُنظر: عبد المطلب، محمد، بناء الأسلوب في شعر الحداثة- التكوين البديعي، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٩٥، ص١٠٩.
- ٢- أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ط٤، دار المسيرة، عمان، ط٤، ٢٠١٦، ص٦٠.
- ٣- فضل، صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٨٣.

وانطلاقاً من علم الأسلوب الذي راج لدى الدراسات اللغوية الحديثة، يشير أحمد درويش إلى مصطلح الأسلوبية من جهة الفرق بينها وبين الأسلوب، ومن ثم ينطلق ليحدد أوجه التقائها بالبلاغة القديمة، ساعياً من جهته إلى تأسيس علم جديد يجمع بين الأصالة والمعاصرة، فنراه يحدد أوجه الشبه بين الأسلوبية والبلاغة في اتخاذ كل منهما علم المعاني بؤرة لتحديد مستويات الكلام، وتبيان طبقات المتحدثين، غير أن الفرق الجوهرى بينهما أن الأسلوبية اتجهت إلى تحديد صفات الكاتب الفرد، دون النظر إلى طبقات المجتمع، إضافة إلى أنها تجاوزت المعيارية في دراسات الأدبية لتنتقل على أساس وصفى بحث^(١).

ويطرح سعد مصلوح مشكلة العلاقة بين علم البلاغة والأسلوبية الحديثة، فالبلاغة العربية في عصورها المتعاقبة ظلت وفية للغاية التي انتدبت لها، في حين إن الأسلوبية باتجاهاتها ذات الصلة الوثيقة باللسانيات الغربية غريبة وافدة علينا، «ومن هنا تأتي الصعوبة في صياغة العلاقة بين علم رسا ورسخ، وآخر لا يزال يتلمس طريقه إلى ثقافتنا غريباً حذراً»^(٢).

وعلى صعيد آخر، ينطلق سعد مصلوح من تعريف علم الأسلوب؛ ليوجه القصور الذي مُنيت به البلاغة العربية، فتكون بذلك الأسلوبية وريثاً شرعياً للبلاغة، فالأسلوب عنده يستند إلى مبادئ ثلاثة؛ أولها يركز على العلاقة بين المنشئ والنص، فيصبح تلمس مفاتيح الأسلوب مرتبطاً بشخصية المنشئ ومنعكساً في اختياراته حال ممارسته للإبداع الفنى، وثاني هذه المبادئ يهتم بالعلاقة بين النص والمتلقي، وهنا يتم تلمس مفاتيح الأسلوب في ردود الأفعال والاستجابات التي يبديها القارئ حيال المنبئات الأسلوبية الكامنة في النص،

١- درويش، أحمد، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٩.

٢- مصلوح، سعد، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية- آفاق جديدة، مجلس النشر العلمى، جامعة الكويت، ط ١، ٢٠٠٣، ص ٢٢.

ومن ثم يكون الأسلوب قوة ضاغطة على حساسية المتلقي، أما ثالث هذه المبادئ فيرى بضرورة عزل طرفي عملية الاتصال، وهما المنشئ والمتلقي، وهنا يتم التماس مفاتيح الأسلوب في وصف النص وصفا لغويا^(١). وبذلك يصبح مجال الدراسات الأسلوبية ضيقا جدا؛ إذ إنها تتوسل بالتعبير الجمالي لتحديد مستويات النصّ الإبداعي.

ويُفضي الحديث السابق عن علاقة الأسلوبية بالبلاغة العربية، إلى الحديث عن نظرية الاتصال الكتابي، وقد لا نجد لها رديفا في البحث البلاغي القديم الذي ركز على «التنوع التعبيري والتعدد التركيبي من خلال استقلالية صياغية، تفصل الأسلوب عن طرفي الاتصال: المبدع والمتلقي، فلا يُطلب من الأسلوب إلا ملاءمته لما يعنيه»^(٢). ويُعطي هذا القصور في البلاغة الحق للأسلوبية الحديثة أن تكون وريثة شرعية للبلاغة القديمة، ذلك أن الأخيرة تولى اهتماما خاصا بالمتلقي، كما أنها تُتهم بأسلوبها التقويمي، في حين تزواج الأسلوبية الحديثة بين المبدع والمتلقي في العملية الإنتاجية للكلام، وتنتهج طابعا وصفيا للظاهرة اللغوية، يخلو من التقويم في غالب الأحيان.

وفي هذا السياق يشير عبد الملك مرتاض في حديثه عن نظرية البلاغة الجديدة إلى أهمية تحديد الوظيفة الجديدة للبلاغة باعتبارها تقوم على التكافؤ بين عنصري الاستقبال والتلقي، وهو مفهوم جديد بدوره يتجاوز النظرة القديمة التي أشبعت الحديث عن المرسل فقط إلى إدراج عنصر التلقي في المنظومة البلاغية الجديدة، فمصطلح بلاغة التلقي يحيل إلى «شبكة من الإجراءات تسعى إلى تأسيس حقل لجمالية التلقي المحترف يحاith المستوى الفني الذي يستوي فيه النص الأدبي

١- يُنظر: مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٨٠ص٢٩.

٢- عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص١٢٠.

بكل الثقل الدلالي والجمالي الذي يمثل عليه»^(١). وبذلك يمكن دراسة النصوص الشعرية قديماً بحسب هذه البلاغة الجديدة التي تجمع بين عنصري الاستقبال والتلقي.

وعلى المنوال نفسه، يرسم محمد مشبال رؤية تصورية جديدة للبلاغة تعتمد على مفهوم القراءة الواعية، من خلال توظيف مفاهيم «الغرض»، و«الالتفات»، و«الصورة»، في نماذج شعرية مختارة من الأدب القديم، فوظيفة المتلقي أو الناقد هي «المواظبة من أجل تحليل القيمة الجمالية وتفسير الاستجابة إليها، وأن يتجاوز تعليله الإشارة إلى العبارة، وعلى هذا النحو تصبح القراءة تفسيراً للتأثير الذي يحصل فينا بعد تأمل المعاني الخفية»^(٢). وهذا الدور بحد ذاته لا ينهض به إلا قارئ واع مدرك لمكان الجمال في التعبير الأدبي ليستنطق مظهره استنطاقاً يقوم على التفسير لا إصدار الحكم المعياري.

ومع ظهور نظرية الاتصال الجديدة، وتعدد وسائل الإعلام، يتولّد مفهوم جديد للبلاغة، يُفيد من عناصر الاتصال، ومن تحقيق التفاعل الإيجابي بين المرسل والمستقبل، وهذا ما دعا كل من خفاجي وشرف إلى طرح قانون إعلامي «يذهب إلى أنّ البلاغة الجديدة ترتبط بكلّ جنس إعلامي، ذلك أنّ كلّ جنس أو وسيلة من وسائل الإعلام أثار كل منهما أملاً، وأثار سخطاً، وأصبح كل منهما وسيلة للتأثير ذات قوة وسيطرة على عقول الناس»^(٣)، وهنا يظهر الأثر التقني والتكنولوجي في رقد البلاغة العربية بمعطيات الحضارة الجديدة، وإكمال ما نقص في موادها الأساسية.

١- مرتاض، عبد الملك، نظرية البلاغة، ص ٢٢٣-٢٢٤.

٢- مشبال، محمد، مقولات بلاغية في تحليل الشعر، ط ١، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٣، ص ٤٩.

٣- خفاجي، محمد عبد المنعم، وشرف عبد العزيز، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٩٩٢، ص ٥٨.

فالبلاغة الجديدة تكتسب خاصية جديدة، «فهي تعبر عن حاجة العصر إلى لغة اتصالية جديدة، وهذه البلاغة الجديدة ليست منفصلة عن النظريات القديمة، كما أنها ليست عرضاً لتاريخ العلوم التطبيقية على المجال الإنساني، ولكنها استجابة شرطية لما أفادته اللغة الفنية من طاقات جديدة»^(١)، ولا سيما إذا علمنا أن (بلغ) تعني «وصل وانتهى، ... والإبلاغ: الإيصال»^(٢)، ومعنى ذلك أن البلاغة تتضمن في أصل معناها رسالة يتم تبليغها من قبل المرسل إلى المرسل إليه، أما الاتصال بالمفهوم الحديث، فهو «عملية نقل هادفة للمعلومات، من شخص إلى آخر، بغرض إيجاد نوع من التفاهم المتبادل بينهما»^(٣)، وهذا التعريف يُشبه المعنى المعجمي لدلالة البلاغة في أن كليهما يتضمن رسالة من المرسل إلى المتلقي، وإن كان يُضيف عليه فكرة التفاهم المتبادل بين طرفي الرسالة. وبذلك يتوخى الاتصال نقل اللغة من حيث هي دوالٌ وعلامات يتنقل أثرها إلى المتلقي في نسق اجتماعي معين، ولعلّ هذا كان من أحد الأسباب الرئيسة في ظهور ما يُسمى بالتداولية.

فالتداولية منهج حديث دخل الدراسات اللسانية المعاصرة، يقوم على «الاهتمام بكشف الدوافع النفسية للمتكلمين وردود أفعال المتلقين، ويبين الطابع الاجتماعي للكلام»^(٤)، فالتداولية لا تكتفي بدراسة المتكلم والمتلقي وأحوال كل منهما فحسب، بل تدرسه بوصفه «نتاج ثقافة عصر معين، ويشتمل على سمات مميزة للشخص المرسل، وسمات مميزة للشخص المتلقي، وهو يخضع لزمان إنتاجه وزمان تلقيه، كما يخضع لمكان إنتاجه وتلقيه أيضاً»^(٥). ومما سبق يُلمح التقارب بين

١- المرجع نفسه، ص ١٦.

٢- ابن منظور، جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، ٨م، ط ٣، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٩٩٤، ص ٤١٩.

٣- السكارنة، بلال خلف، مهارات الاتصال، دار المسيرة، عمان، ط ١، ٢٠١٥، ص ٢٤.

٤- الكوازي، محمد كريم، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٢٧٩.

٥- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

بين ما تحتويه التداولية من عناصر الاتصال الثلاث: المرسل، والمتلقي، والرسالة، والاتصال بمفهومه الحديث، علاوة على ذلك، فالتداولية تهتمّ بدراسة ثقافة مجتمع معيّن في عصر معيّن للخروج بسمات مميزة له في مجال الكلام والتلفظ.

وهذا التطور الذي أصاب بلاغة الخطاب في ظل التداولية يجعلها تتخذ منطقاً علمياً يدور في فلك الاتصال الذي أنجب البلاغة الجديدة، معنى ذلك أن مجموعة الخصائص التي تنظم الخطاب الأدبي لا تنتمي كلها إلى النظام اللغوي وحده فحسب، «فالقواعد العرفية، وشروط تأويل الدلالة، والإشارة السيميولوجية، والمفاهيم التي تُستخدم في معرفة العالم وفي العمل والوظائف النفسية قد اندمجت كلها بسلاسة في مهمة تحليل الخطاب الأدبي»^(١)، وبذلك تصبح مقومات تحليل الخطاب الأخرى إلى جانب اللغة عاملاً مهمّاً في إثراء عملية التواصل بين طرفي الاتصال، بالإضافة إلى تحقيق فعالية النصّ الأدبي وإمكانية فهمه وتداوله في إطار المجتمع الذي يتعامل به، من هنا يأتي مفهوم التداولية هذا «ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يُشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة «مقتضى الحال»، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية: لكل مقام مقال»^(٢)، وهذا ما يؤكد العلاقة التي تربط بنية النصّ الأدبي بعناصر الموقف التواصلية في إطار الظروف والأسباب التي أدت إلى ظهوره.

وانطلاقاً من هذا التصور الجديد للبلاغة في ظل التداولية، فإنها اهتمت بعرض وسائل الإقناع والاستدلال التي كانت معروفة في الدرس البلاغي التقليدي، برؤية جديدة تتخذ من الحجاج مُسمّى لها، فأصبحت البلاغة الجديدة تعرف بأنها «نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى

١ - فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، ١١.

٢ - المرجع نفسه، ص ٢١.

إثارة النفوس، وكسب العقول عبر عرض الحُجج^(١). وتهتم البلاغة الجديدة وفق هذا المنظور الحجاجي بترابعية الحجج على أسس معينة مدروسة، تسمح بإثراء النص الأدبي بمدلولات ونتائج جديدة.

الخاتمة

بعد تتبّع آراء النقاد ودعواتهم بشأن البلاغة العربية، أمكن الخروج بالملاحظات والنتائج الآتية:

أولاً: كانت للبلاغة العربية في العصور القديمة وظيفتان: فنية وعلمية، فأولى تحددت صفاتها من المدرسة الأدبية التي اعتمدت في منهجها على بعض الملاحظ والآراء التي تناثرت في كتب الأقدمين كالجاحظ، وابن الأثير والجرجاني. أما الثانية فقد غلب عليها التقسيمات العلمية والتفريعات الدقيقة، وغلبة المصطلحات البلاغية، وقد استقت خصائصها من المدرسة الكلامية التي حمل لواءها السكاكي والمتأخرون بعده.

ثانياً: جاء العصر الحديث، وتعالى الآراء التي كتبت عن البلاغة، وانقسمت إلى ثلاث فئات من الاتجاهات، بحسب نظرتها لتلك المدرستين التي بنيت عليهما البلاغة قديماً، فالإتجاه الأول كان يحمل لواء التجديد لبعض الأفكار القديمة، وتغييرها مواءمة منهم لثقافة العصر، ومستجدات الحضارة الإنسانية، وكان الخولي من أهم من مثل هذا الجانب، وكان من أبرز آرائه ربط البلاغة بالفلسفة الجمالية، ويعلم النفس، وقد بنى على هذا الأخير تفسيره للإعجاز القرآني.

أما الإتجاه الثاني، فقد شكل ثورة واعتراضاً لحال البلاغة المعاصرة التي يعيشها أبناء الأمة اليوم، وقد اختلفت الآراء في هذا الإتجاه بين ضرورة اعتبار

١- الحباشنة، صابر، التداولية والحجاج - مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨، ص١٥.

البلاغة علما له أسسه وقواعده كما وجدناه عند سلامة موسى، أو اعتبارها فنا يقام على الدربة والمران والذوق كما هو عند البشري.

ويبقى الاتجاه الثالث الذي توضحت معالمه من خلال الانتفاع من معطيات النقد الغربي، فابتدأت باللسانيات التي أشار إليها خليل كفوري، وانتهت لتجعل البلاغة متبلورة في علم الأسلوب الذي بنى أسسا وقواعد قوية، فأصبح وريثا شرعيا للبلاغة العربية، ومجددا لها على أوسع نطاق.

وتأتي التداولية بوصفها علما جديدا أفاد من معطيات اللغة والسياق لتشكل امتدادا للمفهوم التقليدي الذي عُرِفَ فيه البلاغة العربية، وهذا وإن دلّ على شيء فإنه يدل على قدرة البلاغة العربية على مواكبة النظريات والعلوم اللسانية الحديثة، ومرونتها في تطويع اللغة لتخدم الواقع الراهن الذي تُعد اللغة والخطاب أحد أهم مكوناته الفكرية والعلمية.

ثالثا: إن الناظر إلى حال البلاغة اليوم يفاجأ بتلك الطريقة التي تعرض فيها بلاغتنا القديمة، تلك التي يغلب عليها التقسيمات والتفريعات العقيمة لعناصر بلاغية يطالب بها طلابنا بدراستها واستيعابها، دون تلمس الجوانب الجمالية التي تضيفها تلك العناصر على العمل الأدبي. فحريّ بهؤلاء إعادة النظر في المنهجية التي تقدم فيها البلاغة، ليكون في الحسبان أنها علم جمالي هدفه استخلاص مكامن الجمال من النص الأدبي ككل، قبل أن تكون قوالب جافة تدرس النص في نطاق الجملة الواحدة أو البيت الواحد، وما استطاعت هذه الجزئيات برأينا أن تنجب بلاغيين لهم القدرة على التأليف، بل هي، كما نظن، استطاعت أن تخلق منظرين لقواعد البلاغة، تعتمد على الحفظ والاقْتباس لا على الفهم والإبداع.

التوصيات:

يوصي البحث بتتبع الدراسات اللغوية التي تناولت مبحث البلاغة في
الدرس النقدي الحديث، ولا سيما دراسات الحجاج البلاغي التي انبثقت عن
التداولية، ومدى تناولها لمباحث البلاغة التقليدية وطرق معالجتها.

كما يوصي بتناول دراسة نصية على وفق المنهج البلاغي، وتبصر أدوات
البلاغة القديمة في ظل المعالجة النقدية الحديثة، ومحاولة تطويع الأدوات البلاغية
لسياق الحال والمقام.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٩.
- البشري، عبد العزيز، ثورة على علوم البلاغة، مجلة الهلال، مصر، العدد (٣)، يناير ١٩٣٦.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ج ١، دار الجليل، بيروت، ط ٢، د.ت.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، دمشق، ط ١، ٢٠٠٧.
- الحباشنة، صابر، التداولية والحجاج - مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٨.
- خفاجي، محمد عبد المنعم، وشرف عبد العزيز، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٩٩٢.
- الخولي، أمين، فن القول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦.
- _____، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، لبنان، ط ١، ١٩٦١.
- درويش، أحمد، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.
- _____، النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.
- الزيات، أحمد حسن، دفاع عن البلاغة، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٧.
- السكرانة، بلال خلف، مهارات الاتصال، دار المسيرة، عمان، ط ١، ٢٠١٥.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧.

- الشايب، أحمد، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٩١.
- ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٦٥.
- عبد المطلب، محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
- _____، البلاغة والأسلوبية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.
- _____، بناء الأسلوب في شعر الحداثة- التكوين البديعي، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٩٥.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢، د.ت.
- أبو علي، «محمد بركات» حمدي، البلاغة عرض وتوجيه وتفسير، عمّان، ط١، ١٩٨٣.
- _____، بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية، دار وائل للنشر، عمّان، ط١، ٢٠٠٤.
- _____، كيف نقرأ تراثنا البلاغي، دار وائل للطباعة والنشر، عمّان، ط١، ١٩٩٩.
- أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمّان، ط٤، ٢٠١٦.
- عبد المجيد، جميل، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠.
- عياد، شكري، مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد، فصول، مصر، المجلد (١)، العدد (١)، أكتوبر، ١٩٨٠.
- _____، اللغة والإبداع - مبادئ علم الأسلوب العربي، ناشيونال بريس، ط١، ١٩٨٨.
- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨.

- _____، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، القاهرة، ١٩٩٨.
- كفوري، خليل، نحو بلاغة جديدة، منشورات نداف، ١٩٩٤.
- الكواز، محمد كريم، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.
- مرتاض، عبد الملك، نظرية البلاغة، دار القدس العربي، الجزائر، ط٢، ٢٠١٠.
- مشبال، محمد، مقولات بلاغية في تحليل الشعر، ط١، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٣.
- مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٨٠.
- _____، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية - آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ط١، ٢٠٠٣.
- ابن منظور، جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، ط٨، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤.
- موسى، سلامة، البلاغة العصرية واللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.
- الوردى، علي، أسطورة الأدب الرفيع، دار كوفان، لندن، ط٢، ١٩٩٤.

المراجع مترجمة:

- Ibn AL-Atheer, dia' AD-Deen, AL-mathal AS-sa'er fi aladab FI AL-kateb wa ash-sha'er, investigated by: Mohammad Muhiee AD-Deen 'Abd AL-Hamid, part 1, Mustafa AL-babi AL-halabi and sons bookshop and press company, Egypt, 1939.
- AL-Bishri, abd AL-Azeez, Thawra 'Ala Olom AL-Balagha, AL-Hilal magazine, Egypt, issue (3), January 1936.
- AL-Jahith, Abu 'Othman amr bin bahar, ALByan wa AT-Tabyeen, investigated by: Abd AS-Salam Haroon, part 1, dar aljeel, Beirut, 2ND edition. N.D.
- AL-Jorjani, abd AL-Kahir, dala'il AL-'Aja'iz, investigated by: Muhammad Ridwan adayah, and Fayez adayah, Damascus, 1ST edition, 2007.
- Al-Habashnah, Saber, Atadaowleh Wa Al-Hajaj - Madakhel Wa Nosoos, Safahat For Studies And Publishing, Damascus, 1st Edition, 2008.
- Khafaje, Muhammad abd AL-Mun'em, and Sharaf abd AL-Aziz, AL-Balagha AL-'Arabeah bayn AL-taq'leed wa AT-tajdeed, dar AL-jeel, Beirut, 1ST edition, 1992.
- AL-Khoole, Ameen, fan AL-q'awl, dar AL-kotob AL-masreah press, Cairo, 1996.
- _____, manahej tajdeed fe AL-naho wa AL-balagha wa at-tafseer wa AL-a'adab, dar AL-maarifa, Lebanon, 1ST edition, 1961.
- Darweesh, Ahmad, Derasah Al-Osloob Bayn Al-Mo'asarah Wa Al-Torath, Dar Ghareeb For Printing And Publishing And Distribution, Cario, 1998.
- _____, Al-Balaghe Fe Al-Torath Al-Arabi Wa Al-Orope, Dar Ghareeb For Printing And Publishing And Distribution, Cario, 1998.
- Az-zaiat, Ahmad Hasan, defa'a 'an AL-balagha, Cairo, 2ND edition, 1967.
- As-sakarnah, Belal Khalaf, maharat AL-etesal, dar AL-masarah, Amman, 1ST edition, 2015.
- Al-Sakaki, Abo Yaqoob Yusuf Ben Abe Baker Mohammad Ben Ali (626 Hijri), Moftah Al-Oloom, Tahqeeq, Naeem Zarzoor, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, Beirut, 2nd Edition, 1987.
- Ashaeib, Ahmad, AL-oslob derasah balagheah tahleleah LEOSool AL-a'saleeb AL-a'adabeah, AL-nahda egyptian library, Cairo, 8TH edition, 1991.
- Daif, Shawki, AL-balagha tatawor wa tarekh, dar AL-ma'arif, Cairo, 6TH edition, 1965.

- Abd AL-Motalib, Mohammad, AL-balagha AL-arabeah kera'ah okhrah, Lebanon library nashroon, Beirut, 1ST edition, 1997.
- _____, AL-balagha wa AL-oslobeah, Cairo: general egyptian book organization, Cairo, 1984.
- AL-A'askari, abo Helal AL-Hasan ben abd allah ben sahl, ketab AL-sena'atain, investigated by: Ali Mohammad AL-Bajawi and mohammad abo AL-fadl ibrahim, iesa AL-babi AL-halabi and his companion, 2ND edition, N.D.
- Abo Ali, «Mohammad Barakat» Hamdi, AL-balagha a'ard wa tawjeh wa tafseer, publishers and distributors, Amman, 1ST edition, 1983.
- _____, balaghtuna AL-yaum bayn AL-jamaleah wa AL-wathefeah, dar wa'el for publishing, Amman, 1ST edition, 2004.
- _____, kaef naq'ra' torathana AL-balaghi, dar wa'el for printing and publishing, Amman, 1ST edition, 1999.
- Abo AL-'Adoos, Yusuf, AL-oslobeah AL-ro'ya wa AL-tatbiq', dar AL-maserah, Amman, 4TH edition, 2016.
- Abd AL-majeed, Jameel, AL-balagha wa AL-etesal, dar AL-ghareeb, Cairo, 2000.
- Ayad, Shukri, mafhoom AL-osloob bayn AL-torath AL-naq'de wa muhawalat at-tajdeed, Fosool, Egypt, folder (1), issue (1), October, 1980.
- _____, AL-logha wa AL-ebda'a - mabade' 'elm AL-osloob AL-arabi, national press, 1ST edition, 1988.
- Fadel, Salah, balagha AL-khetab wa 'elm an-nas, alam AL-ma'arifa, AL-Kuwait, 1978.
- _____, elm AL-osloob mabadeoh wa ejra'atoh, Cairo, 1968.
- Kfori, Khaleel, naho balagha jadedah, nadaf publications, 1994.
- AL-Kawaz, Mohammad AL-Kareem, AL-balagha wa AL-naq'd AL-mostalah wa AL-nasha'ah wa AL-tajdeed, arab diffusion institution, Beirut, 1ST edition, 2006.
- Maslooh, sa'ed, AL-osloob derasah loghaweah ehsha'eah, dar AL-bohoth AL-elmeah, AL-Kuwait, 1ST edition, 1980.
- _____, Fe Al-Balaghah Al-Arabiah Wa Al-Osloobyat Al-Lesanyah - Affaq Jadeedah, Academic Publication Council, Kuwait University, 1st Edition, 2003.

- Eben Manthoor, Jamal AD-Deen AL-Ansari, lesan AL-arab, folder (8), dar AL-sader, Beirut, 3RD edition, 1994.
- Musa, Salamah, AL-balagha AL-asreah wa AL-logha AL-arabiah, hendawi institution for education and culture, Cairo, 2012.
- AL-Wardi, Ali, ostorah AL-adab AL-rafee', dar kofan, London, 2ND edition, 1994.

الذات المتكلمة في
شعر العباس بن الأحنف

The Speaking Self in
Al-Abbas Bin Al-Ahnaf's Poetry

د. لبنى علي المفتاحي
جامعة سوسة - تونس

Dr. Lobna Ali Meftahi
Susa University - Tunisia

<https://doi.org/10.47798/awuj.2023.i67.10>

تاريخ تسلّم البحث 2021/12/06 - وصدر خطاب القبول 2022/05/24



Abstract

Self-construction and its characteristics may need a special philosophy where the self takes its shape, color and all its characteristics with its products and needs that explain the close connection between the self and the other.

Al Abbas bin Al Ahnaf followed the virgin poets' approach (i.e. the poetic method) and paid attention in his ghazal poetry for the moral features even if his spinning is not devoid of some sensual qualities. As woman represented a sensitive point in his life, he restricted his poetry and his love to one for whom he lived tormented. Compatibility with the self that is described as an other formed a prominent feature in Al Abbas bin Al Ahnaf poetry. It was embodied and clearly manifested through the poet's self that emerged in his artistic production. So, the image has matched with that of the other (beloved).

Although the poet's relationship with the other is compatible, her actions such as desertion and deprivation sometimes make her in the opposite side.

The process of compatibility with the other through (the warm place) technique came from the love of inhabiting the place, in the union of two extremes (the ego / you), and between (the ego / place), and the (you / place) because of belonging to the place.

The poet's struggle with time was confined between his anxious fragmented self and his beloved, who is dealing with the pain of separation and slander. Time has become anxious for him, he lives in a deep sorrow and alienation, where the ego is exhausted with all of its means to satisfy what is pressing on it. It makes him move according to the movement of events, till he reaches an idea.

ملخص البحث

إن بناء الذات وما تنطوي عليه من خصائص قد يحتاج إلى فلسفة خاصة، لكي تأخذ الذات شكلها ولونها وجميع خصائصها بما يُملئ عليها من نتاجات واحتياجات تُفسر الارتباط الوثيق ما بين الذات والآخر.

حيث نهج العباس بن الأحنف منهج الشعراء العذريين، ألا وهو منهج الشعرية، فاهتم في غزله بالأوصاف المعنوية وإن لم يخل غزله من بعض الصفات الحسية، وقد مثلت المرأة نقطة حساسة في حياته، فقد قصر شعره وحبه على واحدة عاش معذباً من أجلها.

إذ شكّل التوافق مع الذات بوصفها آخراً ملمحاً بارزاً في شعر العباس بن الأحنف، وقد تجسدت وتجلت بوضوح من خلال ذات الشاعر التي برزت في نتاجه الفني وقد توافقت صورة الذات مع صورة الآخر (الحبيبة).

كما أنّ علاقة الشاعر بالآخر علاقة توافقية، ولكن أفعالها التي تصرفها معه من هجر وحرمان مما يجعلها في دائرة الضد في بعض الأحيان.

إن عملية التوافق مع الآخر من خلال تقنية (المكان الأليف)، جاءت من حب سكن المكان، في اتحاد طرفي ثنائية (الأنا / الأنت)، وبين (الأنا/ المكان)، و(الأنت / المكان) نتيجة الانتماء المكاني.

وكان صراع الشاعر مع الزمن محصوراً بين ذاته القلقة المتشظية وبين حبيبته التي نراها هنا تعالج ألم الفراق والوشاية، وقد أصبح الزمن قلقاً بالنسبة إليه، يعيش في دوامة الحزن والغربة، حيث الأنا استنفدت كل وسائلها لتلبية ما يلح عليها، فهي تجعله متحركاً بتحرك الأحداث، حتى ينتهي عند فكرة ما.

وحضرت ذات الشاعر في هذا البحث أحياناً عاطفية، إذ تظهر عاطفة العباس بن الأحنف في صدق العاطفة

The poet's self in this study was sometimes emotional, as Al-Abbas bin Al Ahnaf's emotion appears in the passion sincerity and the expression purity. Sometimes his hopeful self appears to long for the contact with the beloved who refrain until the poet appears with a broken soul, complaining about the abandonment anguish and longing heartburn.

Keywords: Al-Abbas bin Al-Ahnaf, emotional, broken, hopeful, self

ونقاء التعبير، وأحيانا أخرى تظهر ذاته الراجية التي ترجو وصال الحبيبة لتمتنع حتى يظهر الشاعر بذات منكسرة يشكو فيها لوعة الهجر وحرقة الاشتياق.

الكلمات المفتاحية: العباس بن الأحنف - الذات - العاطفية - المنكسرة - الراجية.

مقدمة

إنَّ التَّعامل مع شعر العباس بن الأحنف كان متنوعاً، وإن حصل الإجماع على جودة شعره وذيوعه في زمانه، وإعجاب النقاد والخلفاء والشعراء به فإنَّ زوايا النظر قد اختلفت حوله كلِّ حسب ذائقته الخاصَّة ورؤيته الذاتية للشعر. فالمتأمل في شعر ابن الأحنف يلحظ كتابة إنشائية وسمت شعره بطبعته بأسلوب خاص، اعتبره بعض النقاد والشعراء مرجعاً يعودون إليه عند الحاجة.

فابن قتيبة في كتابه النقدي «الشعر والشعراء»، يؤكد أهمية شعر العباس بن الأحنف؛ إذ يجعله صنواً لعمر وبن أبي ربيعة؛ إذ يقول: «... ويشبهه من المتقدمين عمرو بن أبي ربيعة»^(١). وفي تشبيهه العباس لعمر وبن أبي ربيعة في جودة الشعر ورقته اعتراف بالفضل الكبير لا يخفى على أحد.

وقد أشاد به المبرد في كتاب «الروضة» بقوله: «كان العباس من الظرفاء ولم يكن من الخلعاء، وكان غزلاً ولم يكن فاسقاً، وكان ظاهر النعمة ملوكي المذهب، شديد الترف، وذلك بين في شعره، وكان قصيده الغزل وشغله النسيب، وكان مقبولاً غزير الفكر واسع الكلام لم يكن هجاء ولا مدحا»^(٢).

وقد أيّد المبرد آخرون فيما ذهب إليه بشأنه إذ قال فيه «الجاحظ»: لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاماً وخاطراً، ما قدر أن يكثر شعر في مذهب واحد لا يتجاوزه، لأنه لا يهجو ولا يمدح، لا يتكسب ولا يتصرف، ونعلم شاعراً لزم فناً واحداً فأحسن فيه وأكثر»^(٣).

حيث عدت شعريته خير وسيلة لفهم الشعر وسبر أغواره وإدراك أسرارها،

١- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، المحقق: أحمد محمد شاكر، ج ٢، ص ٧٠٧

٢- أبو العباس المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت دط، ص ٦١

٣- الجاحظ: البيان والتبيين، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ط ٥، ١٩٨٥ ص ٢٤٣

حتى ظل هذا المصطلح دون بقية أدوات التعبير الأخرى مثار اهتمام النقاد والدارسين في مختلف العصور والثقافات واللغات؛ إذ عدها أحد الباحثين «كيانا يتعالى على التاريخ»،^(١) فهي جوهر الإبداع الشعري ووسيلته الفنيّة التي تعبر عن ماهيته وكنهه، وإحدى المكونات الأصلية لبناء القصيدة .

ولهذا يعد منهج الشعريّة من أخصب المناهج المطروحة للنقاش في مجال الدّراسات الأدبيّة والنقدية على حدّ السّواء، ذلك لأنّها شديدة التعلّق بنظرية الأدب وكذا النقد الأدبي. وبناء على هذا ارتأينا أن نبني بحثنا عليه، آملين في الوصول إلى نتائج قد تكون ملّمة بأغلب مظاهر الشعريّة في ديوان العباس .

وعلى هذا نطرح إشكالتنا والتي سوف ندرسها في بحثنا هذا ألا وهي:

كيف تبرز الذات المتكلّمة في شعر العباس بن الأحنف؟

وهل تعكس هذه الذات عن نفسية الشاعر في كلّ حالة من حالاتها؟

يعتبر مبحث الذات المتكلّمة من المباحث الدّقيقة إذ تبدو رهاناته شائكة متشعبة وأصول النظر فيه متفاوتة. فهو في التراث العربي القديم مغمور، لانكاد نجد عدا علوم الكلام، ما يذلل صعوباته؛ والكلمات في معاجم الاصطلاح تدور على نفسها، ولا نظفر منها بأكثر ممّا ورد عند «الجرجاني» في «شرح المواقف» من حدّ للذات بأنّها الشيء القائم بنفسه أو قوله في «التعريفات»: «إنّ الذاتيّ لكلّ شيء ما يخصّه وما يميّزه عن جميع ما عداه»^(٢).

ويمكن حدّ الذات بكونها تتمثّل في كفاءة المتلفّظ على أن يتنزّل في خطابه ذاتاً^(٣) تتشكّل وتنمو في غمار تجربة الحياة يجلوها الإنسان في بحثه الدؤوب عمّا

١- الولي محمد، الصورة الشعريّة في الخطاب البلاغي، ط١ / ١٩٩١، المركز الثقافي العربي، ص ٧

2- J.C. Poriente : langage et l'individuel, A.Colin, paris, 1973, p 168

3- Problemes de linguistique générale,t1, p 259

يجب من الكون والفعل باعتباره عاملاً مسؤولاً»^(١).

وتدلّ عليها في الكلام عناصر هي «الأدلة التي تمكّن من نقل اللغة إلى خطاب»^(٢).

كما تزعم الماركسية أنّ الذات وهم بورجوازي؛ وتروم البنيوية أن تجرّد اللغة من الذات»^(٣).

ولسنا نزعم أنّ الذات هي الأصل ولكننا نصرّح مع «أوريكيوني» وليس هذا يعني أنّنا نلتزم بمنهجها ونحصر عملنا في ما نقرّره بل ربّما توّسلنا بمن يخالفها النّظر «كلّما يسرت لنا أدوات التحليل إضاعة النّص الذي نحن بصدده؛ أنّ الفعل القول في مجمله ذاتي»^(٤).

وليس ثمة من خطاب في مأمّن من سلطة الذات وإن اختلفت القرائن الدّالة عليها»^(٥)، وإنّ تفاوتت، على قدر تحقّق الاختيار في الخطاب»^(٦) وليس جريان ضمير الأنا شرطاً لازماً للوجود لجلائها»^(٧).

لذلك فإنّ الدارس مدعوّ إلى أنّ يتدبّر الإجراءات اللسانية يخلف بها المتلفظ آثاره في ملفوظه»^(٨) ويحدد امتلاكه للغة»^(٩).

١- الشريف الجرجاني، التعريفات المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار

الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٠، ص ٤٥

٢- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، جامعة منوبة، المؤسسة العربية

للتوزيع، ٢٠٠١، ص ١٠٧٩

3- H.Meschonnic, politique du rythme, politique du sujet : ed rerdier lagrassse, 1995, p 252

4- C,Kerbat -orecchion : L'énonication : de la subjectivité dans le langage Armand colin, paris, 1980 p 69

٥- المرجع نفسه، ص ١٧٠

٦- المرجع نفسه، ص ١٥٢

٧- المرجع نفسه، ص ١٧٠

٨- المرجع نفسه، ص ٣٢

٩- المرجع نفسه، ص ٢٢٥

ويغدو فعل التلغظ في أبسط وحداته، فعلا يعلن الذات، وليس يعني هذا أن وعي الذات بذاتها هو الذي يحقق كينونتها.

وفي مجال التعبير الأدبي تأخذ هذه القضية - الذات المتكلمة - بعدا أساسيا، إذ إن من النقاد من أرجع فضيلة الأدب إلى «كونه معبرا عن الذات وأنه يمثّل مع التجربة كلاً متماسكا يكاد يكون فيه الأسلوب قد يكتسب قوته من طبيعة الشخصية التي استخدمته»^(١).

ومن البديهيات المقررة لدى الأسلوبين، أن الأساليب تختلف تبعا لاختلاف المنشئين، إذ نرى لكلّ منهم طابعا خاصا في تفكيره، وتعبيره، وتصويره ولذلك يصح القول إن الأسلوب هو الأديب، أو هو الرجل إلى نحو من العبارات^(٢).

كما ارتبط وجود الإنسان منذ الأزل بالذات لأنها وسيلة تمرير أفكار ورؤى ومواقف فهي ذات وموضوع في الوقت نفسه: ذات لأنها تقوم بفعل إبلاغي له مرجعية واقعية أو شبه واقعية، وموضوع لأنها تغدو في مجملها غاية أو هدفا، والتعبير عن هذه الذات التي لا تقتصر على ما يعتمد داخل النفس الإنسانية وإنما يتعداها إلى الخارج^(٣). وباعتبارها كذلك أحسن وسيلة للتعبير عن الذاتية وبالتحديد ذلك الكل النفسي الذي يضمن استمرارية الوجود الداخلي للإنسان حيث نجد «بنيفست» يعرف الذاتية بقوله: «هي قدرة المتكلم على أن يفرض نفسه كفاعل»^(٤).

لقد شكّل حضور الأنا المتكلمة في الشعر العربي ظاهرة أدبية شغلت اهتمام

١- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، قسم: البلاغة العربية. اللغة: العربية. الصفحات: ٣٩٣. حجم

الملف: ٨، ٥٣، ص ١٦٠

٢- أحمد الشايب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، المؤلف: د. أحمد الشايب الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة تاريخ النشر: ١٤١١هـ ص ١٢١

٣- علي أحمد أدونيس، الثابت والمتحول، ط٣، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢، ص ٨٢

4- Benveniste, Problemes de linguistique générale t1, Gallimard paris, 1966, p 259

النقاد. فبغض النظر عن توظيف الأنا في الشعر في هذا الزمن أو ذاك، تظل دلالات الأنا متشابهة لأنها تحاكي الآخر في أي صورة من الصور، مما جعل الرؤى النقدية تتشابك لمحاولة الخروج بقراءات أثرت في هذا المجال واستوعبت تحولاته.

ولأن موضوع الذات المتكلمة هو الموضوع الذي احتل الساحة الأدبية، فإننا أردنا الوقوف على أبواب هذا الموضوع في شعر «العباس بن الأحنف» لأن ديوانه لا يخلو مما يشير إلى الذات المتكلمة في كل حالاتها، ويمكن دراسة ذلك في النقاط الآتية:

١- التعبير عن الذات العاطفية

عذري المقاصد، حضري الفكر والخيال والبيان، لعلها القولة المناسبة التي يمكن أن نصف بها «العباس بن الأحنف شاعر الحب والغزل العذري فقد عرف العباس بن الأحنف بشعره الغزلي الفريد فقد تغزل بحب وشوق نابغ من الأعماق غزلا عفيفا يرى فيه المرأة روحا وقلبا وليس جسدا كما تغنى غيره من الشعراء. ولعل من أبرز ما يدل على ذلك أن الشاعر عباس بن الأحنف قد تغنى في شعره هجر الحبيبة التي ترك فيه لوع وحيرة ولا يبدلها بامرأة أخرى حتى تعود يقول في هذا السياق:

هجرتنا يا ملول *** والهجر مر ثقیل^(١)

وهنا يصف الشاعر هجر الحبيبة بالمر الثقل فحالته العاطفية وحبه المقيم لا يصبر على هجر المعشوق.

استغل الشاعر إلى جانب عاطفته اللغة ليدل على الذاتية - صاحب القول الشعري - وذلك بتوظيف المؤشرات النحوية الدالة (ضمائر منفصلة، متصلة ومستترة) وأما الطرف الثاني المتلقي للكلام فورد بمؤشرات ضمير اللاذاتية «الغائب» إذا أنا في موضوع افتتاح الشاعر بحبيبتة فنراه يسعى لإثبات حضوره أمام الأنت «الأنا هو الذي يقدم له وجودا ويمدحه في عالم الخطاب.

ويبقى المتكلم له دلالة ثابتة يحيل به على الشاعر العاشق «قلبي»

صاغ قلبي لك حبا من ذهب *** لم أشب يا سحر صدقي بالكذب^(٢)

أما المتلقي فيتمثل في الأنثى المعشوقة التي تتغير صورتها باستمرار وبين الأنا والأنت تتشكل قوة عاطفية وتفاعل داخلي يغير من مزاج الطرفين ويحقق بالتالي

١- ديوان العباس بن الأحنف - تحقيق: عائكة الخزرجي. (١ تقييمات). مؤلف: كاتب غير محدد.

قسم: الشعر والشعراء. اللغة: العربية، ص ٥٥

٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٤٧

الفاعلية الانفعالية.

ويقول العباس بن الأحنف غير مبال بالعيوب:

فمن عاب هوى «فوز» *** وعباس فقد خابا^(١)

تظهر ذات الشاعر في هذا القصيد غير مبال بالكلام الذي يدور حول حبه وحب معشوقته طالما يعيش الهوى مع فوز، فهو غير مبال بالغير.

حالة الشاعر العاطفية وحبه المقيم لفوز جعلت منه عاشقا صديقا لليل يناجي

هجر حبيبته

ألقيت بين جفون عيني فرقة *** فإلى متى أنا ساهر يا راقد؟

وإلى متى أبكي وتضحك لاهيا *** وأدني في الهوى وتباعد؟

وإلى متى أنا هاتف بك في دجى *** أبكي إليك وأشتكي وأناشد؟^(٢)

في هذه الأبيات تبرز الأنا المحبة للشاعر الذي يفدي الحبيب نفسه، فليس له عن حبه غنى، ورغم ما أصاب أنه من شقاء وتعب، فإنه لم يتوقف عن حبه فسعادته تتوقف على ذلك الحبيب، وهكذا فإن الأنا المحبة تضحى بنفسها من أجل حب ذلك الآخر حتى ولو جفا أو أذى لأن الحب الحقيقي يكون في التضحية والصبر.

يعبر الشاعر عن العواطف المتعففة والمتهبة في وقت واحد، فالشاعر الذي يقترن بحبيبته وجد في الشعر تعويضا يظنى به لهيب حبه ويرتفع فيه عن غرائزه.

وتمتاز عاطفة العباس بن الأحنف بأنها دائمة لا تخمد ولا يصيبها الملل ولا

يقف بوجهها أي ظرف كان.

اختصم العينان والقلب *** قالوا جميعا: ما لنا ذنب

١- ديوان العباس، ص ٨٥

٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٣٧

فقلت: نفسي ذهبت عنوة *** بينكما هذا وذا لعب

فقلت للعين: سمعت الذي *** يحكيه عن ناظرك القلب

فاستغربت عند مقالي لها *** وكن من خجلتها السكب^(١)

لقد أكسب الحوار الأبيات طرافة كما أسهم في بعث الإثارة والتشويق لدى المتلقي، إذ يقف أمام حزمة من الصراعات التي شكّلت فضاء النص وغطت مساحة تعبيرية واسعة، فقد تفاعلت مجموعة من الحواس، فالعين هي التي ترى المحبوبة؛ فتكون هي الأداة الأولى في سبب التعلق بها والعين بدورها تهتف بالقلب مقر العواطف، فيتمكن حبها من الأنا الشاعرة.

ومن جهة أخرى يقف الشاعر وكأنه طرف ثالث يدخل في هذا الحوار، كل ذلك ليشير إلى حالته النفسية المؤلمة وكأنه وصل إلى درجة الهذيان وفقد السيطرة على ذاته.

أمّا نهج العباس في تصوير جمال فوز فهو متوغل في التعمية، ولجأ فيه إلى تصويرها بما لا يطوله البشر من جمال، ويكتفي فيه بجعلها آية للناس، فهي القمر نورا، ولم يخلق لها مثيل بل لكانّها خلق آخر.

يا من يسائل عن فوز وصورتها *** إن كنت لم ترها فانظر إلى القمر^(٢)

يتغزل الشاعر في هذا البيت بالحبيبة فهو يخاطب العامة ليرز لهم جمال حبيبته فوز من جهة، ومن جهة أخرى يعبر عن ذاته العاطفية التي تشع حبا لحبيبة فاق جماله جمال البشر ليصل لروعة القمر.

إذ يقر العباس بن الأحنف لحبيبته أنه لا يبوح قلبه إلا لها، ولا يرى في غيرها ما يحرك كوامن الهوى، كيف وهي تجتاح فؤاده ولا مكان فيه لامرأة سواها.

١- ديوان العباس بن الأحنف، ص ١٠٢.

٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص ١١٤.

٢- التعبير عن الذات الراجية

إن لغة العباس بن الأحنف لا تحيلك إلى شيء خارجها؛ رقيقة سلسلة شفافة موحية بإيقاع ألفاظها، لا يتكلف قارئها عناء البحث عن معنى شارد أو صورة معقدة، بل ينساق معها دون أعمال جهد، ولا ريب في أن هذا أثر من آثار حالته الحضارية والفكرية. وقبس من نور حبه الذي نجده متغزلاً بحبيبته تارة ومرتجياً وصالها تارة أخرى.

يقرّ العباس بن الأحنف أن المحب لا يستطيع اجتناباً لحبيبته وإن أراد فهذه قاعدة لا يغيرها، ولهذا تراه في هجره فوزاً ولا أظنه فعل حقاً وهو لا يروم هجرها أبداً ولا يحاوله.

وقلت للنفس افتكي في الهوى *** فإنما الراحة في الفتك^(١)

حضر العباس بن الأحنف في معظم قصائده خاضعاً للحبيبة وما يأتي منها من هجر وألم وبكاء. فالشاعر على حد عبارة «حسن درويش»، خاضع للحبيبة، والخضوع هو الطاعة العمياء التي لا تقبل الجدل والميل إلى كل ما يحبه المحبوب وإيثار رضاه وتجنب سخطه^(٢).

وأبكي إذا ما أذنبت خوف صدها *** وأسألها مرضاتها ولها الذنب^(٣)

تبدو ذات الشاعر خاضعة راجية للحبيبة ويطلب رضاها ووصلها والفوز بحبها. ويخشى الشاعر غضب الحبيبة لذلك تراه معتمداً رقة في أسلوبه والتعبير عن عشقه، فهي تمثل رقة الحاضرة، وتهذيب الحضارة للطباع والأحاسيس، وذوق ثقافة المترفين في علاقاتهم بغيرهم من فئتهم.

١- ديوان العباس بن الأحنف، ص ١٢٢

٢- العربي حسن درويش، العباس بن الأحنف شاعر العشق والغرام، دراسة نقدية. Front Cover. العربي حسن درويش. مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١ ص ٨٩

٣- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٨٣

ظلوم يا ظالمتي إنما *** قلت لك الحق فلا تغضبي^(١)

فرغم ظلم الحبيبة للحبيب فهو يطلب منها ويترجأها أن لا تغضب ولا ريب في أن تلك الرقة وذلك التهذيب يمثلان في مقطعاته المختارة بطريقة عجيبة، فالنهي يصبح استعطافا كما يضحى كذلك الاستفهام وسيلة للرجاء مرة ويظهر ذلك في قوله:

ماذا عليها أن يلم ببابها *** ذو حاجة بسلامة معاهد؟^(٢)

تظهر ذات الشاعر راجية طالبة الوصال بكل الأساليب، حيث يوظف العباس بن الأحنف ذكر الموت في تليين قلب ظالمته، فيستعطفها لتمنحه وصالها قبل حلول الأجل بساحته

أظلوم حان إلى القبور ذهابي *** وبليت قبل الموت في أثوابي

جرعتني غصص المنية بالهوى *** أفما بعيشك ترحمين شبابي^(٣)

يترجى الشاعر الحبيبة أن تمنحه الحب والعشق قبل المنية.

قصائد العباس بن الأحنف مشعة بالأساليب واللغة والتعبير الجياشة المرهفة الحسية، الغزلية. هذا في ظاهرها، لكن المتمعن في باطنها يلحظ ذات الشاعر المتكلمة؛ ذات راجية خاضعة للحبيبة ترجو وصالها بكل الأساليب والطرق ليلين قلب حبيبته وتعطف عليه وترحم رجاءه ومن قوله ذلك:

ولو أنصفتني في المودة والهوى *** رضيت ويرضيني أقل من النصف

فيا رب ألف بين قلبي وقلبها *** لكيلا تعدي بي أمامي ولا خلفي^(٤)

نلحظ معادلة صراعية في البيتين يقف فيها الشاعر مقابل الطيف، فالطيف

١- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٧٤

٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢٥.

٣- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٨٦.

٤- ديوان العباس بن الأحنف، ص ١٤٨.

يسري آخر الليل فيبعث السَّهاد لدى الشاعر ويوقظ كوامنه، ويجعله في حالة ترقب وقلق، حين يتسلل الوسواس إلى نفسه. أمَّا المحبوبة فهي تغط في النوم، ومن هنا فالشاعر لا يملك حيلة إلا أن يجهر بالشكوى إليه سبحانه وتعالى أن يؤلف بينهما، إذ لم يجد سوى التوسلات والآهات فهي سلاح العاجز وعلامة الملتاع.

الموت يا فوز خير لي وأروح لي *** من أن أعيش حليف الهم والسهد»^(١)

الموت مكروه عادة من البشر، يغدو ضمن السياق النصي وسيلة مقبولة ومفضلة لدى الشاعر، لأنه ينقذه من الهم والأرق. وهذا الأسلوب ناتج عن المكابدة التي يعيشها الشاعر، فقد صار يرى الموت محببا، وذلك وفق حالته النفسية والانفعالية الناجمة عن غياب المحبوبة، في حين أن الحياة لم تعد لها قيمة في ظل هذا الغياب.

جاءت حالة العباس بن الأحنف في جلِّ قصائده ذاتا راجية خاضعة خاشعة لكسب حب الحبيبة؛ فقد بكى وترجى واستعطف، كل هذا من أجل إرضاء المعشوقة.

أبكي إذا سخطت حتى إذا رضيت *** بكيته عند الرضا من خشية الغضب

أتوب من سخطها خوفا إذا سخطت *** فإنَّ سخطت تمادت ثم لم تتب

فالحزن إنَّ سخطت والخوف إنَّ رضيت *** أن لا يتم الرضا فالقلب في تعب»^(٢)

يبكي الشاعر حتى ترضى حبيبته ويخاف أن يغضبها فتبتعد عنه.

ظهرت ذات الشاعر ذاتا معبرة متكلمة عن حالته الراجية لوصل الحبيب، فوصل به الرجاء حدَّ البكاء وتمني الموت، وهذا الخضوع والترجي الذي يظهر على الشاعر إنما هو دلالة على العشق والحب الذي يكنه الشاعر لمعشوقته، فهو يخضع لرضاها ويبكي لكسب حبها ويرجو وصالها؛ هذا هو الحب العذري الذي نلاحظه في شعر العباس بن الأحنف.

١- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢٠١.

٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢٣١.

٣- التعبير عن الذات المنكسرة

الغزل شكل من أشكال التعبير عن خلجات النفس الإنسانية وعن المشاعر الفياضة التي تنبعث منها حين يمتلكها سلطان المحبة وتتأجج فيها العواطف، فهو الغزل يصور أحوال النفس بما لا يستطيع أن يصورها غيره من الموضوعات، لأنه يكشف عن دواخل المحب وسرائر المحبوب، وينبع من عاطفة صادقة.

إنّ الألم من أكبر الأحاسيس التي تحاصر الأنا، والتي تحاول النفس جاهدة التخلص منها، وقد يكون البوح أحد الوسائل للتخلص من تلك الطاقة النفسية المكبوتة في الأنا العميق.

أزين نساء العالمين أجيبى *** دعاء مشوق بالعراق غريب

أيا فوز لو أبصرتني ما عرفتنى *** لطول نحولي بعدكم وشحوبي

أزوار بيت الله مروا بيثرب *** لحاجة مبتول الفؤاد كئيب^(١)

بدت حالة الشاعر في هذه الأبيات ذاتا متألمة، إذ التجأ إلى أسلوب النداء أي كان ليشفق ويرى حالته المنكسرة الضعيفة جرّاء هجر الحبيبة وفراقها.

فالأنا العاشقة أصابها الهم وتعبت من الحياة ويتتابها الحزن الدائم حتى أصاب جسمها الهزال، وذلك بسبب الآخر المعشوق.

فالشاعر تحترق أنه وهو دائم البكاء والنحيب، لأنه عاشق ولهان، ودموعه على الحبيبة هي دليل إخلاصه، غير أنّ هجر الحبيب أحدث حروبا وصراعات داخل الأنا زادت من الألم كلما تذكرت الحبيب وهجرانه.

أصبحت أذكر بالريحان رائحة *** منها فللنفس بالريحان إيناس^(٢)

فالشاعر يبتهج للريحان ويأنس به، ربما لأنّ الريحان يحمل إشارة الخير. والحقيقة أنّ الشاعر يسقط عالمه النفسي الخاص به على الطبيعة، ولا عجب في

١- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢٤١.

٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢١٤.

هذا؛ فهو عذري تنتابه موجات الألم والقهر والغربة بسبب حبه الذي لا يستطيع أن يبوح به، فكان بحاجة إلى الطمأنينة التي يأوي إليها، فوجد ضالته المنشودة في الريحان الذي يوحى ولو ظاهريا بالراحة.

حالة الشاعر المنكسرة جعلت منه هاجسا يعيشه في ذاته، حيث تجده ذاتا متكلمة وفي نفس الوقت تجده المتلقي ذاته، ف«الأنا» الشاعر شخصيتان؛ شخصية الذات المتكلمة، وشخصية المتلقي «عباس»، مما يدل على التشرذم والضياع اللذين يعيشهما الشاعر:

أصرف فؤادك يا عباس ملتفتا *** عنها وإلا فمت من حبها كمدا^(١)
إنّ اللّغة التي شكّلت صرح القصيد، تكشف لنا عن القلق القابع في لب الشاعر وكيانه. يخاطب الشاعر فؤاده تعبيرا عن لا إرادية الحب الذي لم يعد الشاعر قادرا على الانفكاك منه.

فإنّ القصيدة فيها تصور عواطف مجردة في العشق، وتعبّر عن حالات شعورية، متجانسة في ذات الشاعر، تمثل الحرمان والشوق، وتصور الآلام والذكريات الحزينة المحرومة وحالات الوجد واللوعة.

إنّ المتتبع لماهية العشق عند العباس بن الأحنف يدرك أنّ دلالاته ذات اتجاه روحاني متّصل في أساسه بالروح من حيث هي قيمة مطلقة، لا بالجسد من حيث هو شهوات ونزوات وغرائز. لذلك تجده في معظم قصائده ذاتا منكسرة تشكو الهجر وتبكي الشوق، ذاتا لا تكثر بحالتها البائسة بقدر ما تبحث عن كسب حب الحبيبة وعدم غضبها رغم ظلمها وهجرها الدائم.

وكنت إذا كتبت إليك أشكو *** ظلمت وقلت: ليس له جواب^(٢)

يلح العباس بن الأحنف بشكل خاص على امتناع فوز عن رد رسائله، فيحترق قلبه شوقا وعنادا، ويحاول بكل ما أوتي من بيان واحتيال لحبه، أن يثير

١- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢٥٦.

٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢٩٦.

فيها العطف والرفافة بحاله.

إذ تظهر الذات منكسرة تعاني الظلم مع الحرمان والشوق، إجلالا، فلا تكثر بذلك، بل تغضب، وترى هذا المعنى عند العباس بن الأحنف واضحا.

فبكاء العباس بكاء رقيق لا ينهي عينه من سفح الدموع، ولا يكثر لمراه أمام غيره، فليس للبكاء أثر في رجولة الرجل ولا هو سمة خاصة بالمرأة.

يامن لدمع على الخدين مهراق *** ومن لقلب دخيل الهم مشتاق^(١)
يقرّ الشاعر بتمزقه واضطراب وجدانه. ومن ثمة تتمزق الذات وتستغيث عن حالتها الحزينة.

استغل العباس بن الأحنف قصائده الغزلية ليخرج شحنته الوجدانية، ويظهر الوجد المبرح ليرسم معالم تجربته الذاتية:

أبكي ظلوم وأبكي ما فجعت به *** منها وأبكي على قلبي الذي ذهب^(٢)
تبكي الذات المتكلمة حالتها المتأزمة والمتوجعة، تبكي وتكرر البكاء على نفسها وعلى قلبها الذي ذهب من هجر وقسوة وظلم الحبيبة. ذات الشاعرة ذات منهزمة لا حيلة لها إلا البكاء علها تجد راحة في ذرف الدموع المحرقة.

ولقد قلت والهموم ركود *** ودموعي على الرداء تجود^(٣)

يخاطب الشاعر نفسه والهموم تسوده والدموع تنهمر، فالحزن والأسى أضحيا جزءا من الحالة الفكرية والحالة التي يعيشها الشاعر، ما دام في مجال المقابلة حبها المذوق وحبه الصريح.

رغم بعد الحبيبة وهجرها إلا أن حبها يشتد لدى العاشق حتى أهلك جسمه، وهذا دليل على وفاء العاشق لحبيبة واحدة حتى ولو كانت هي بخيلة يرفض الشاعر إبدالها بأخرى.

١- ديوان العباس بن الأحنف، ص ١٧٨

٢- ديوان العباس بن الأحنف، ص ٢٧٥

٣- ديوان العباس بن الأحنف، ١٧٨.

خاتمة

إنّ القراءة التي يمكن الخروج بها من استعراض الذات المتكلمة بأوضاعها المختلفة المعترزة والمحبة والمتألّمة والرّاجية في شعر العباس بن الأحنف هي أن «الأنا» تتأثر بأوضاع داخلية مصدرها الذات والتعلق بالماضي أو قلق من المستقبل أو بأوضاع خارجية تصطدم بها لأنّها توقعها وطموحها. وقد توقفنا في هذا البحث على أهم النقاط، ومن أهمها:

- الأنا مؤثرة أو متأثرة بذلك الآخر الذي قد يكون على توافق أو صراع.
- صياغة اللّغة وقوتها.
- ألفاظ عنيفة غير متكلفة، فكل من يقرأها يفهمها نظرا لكثرة عدوبة ورقة جمال موسيقاه وأشعاره.
- جذب المستمعين والقراء لأسلوبه السلس الشيق في رواية الأحداث والوقائع نظرا لما تكنزه من مشاعر وأحاسيس يخطف بها قلب القارئ أو المتلقي لشعره.
- تشكيل اللغة حسبما تقتضيه حاجته لتقديم رؤاه وأحاسيسه بالطريقة التي يراها أكثر تأثيرا من غيرها.
- اختار الألفاظ المستقرة في رصيده المعجمي.
- القدرة الفائقة على توزيع الكلمات وترتيب أجزاء الجملة لغايات فنيّة وجمالية، وبشكل يجعل المتلقي يرى العباس وهو يواجه الحياة من خلال اللغة.
- الانحراف في الأسلوب من أجل غايات صوتية وإيقاعية فإنّه يتصرف في تركيب الجمل من أجل نجاحها، فيقدم ويؤخر حتى تستقر القافية في الموضع المقرر لها.

قائمة المصادر والمراجع

المصدر:

- ديوان العباس بن الأحنف - تحقيق: عاتكة الخزرجي. (١ تقييمات). مؤلف: كاتب غير محدد. قسم: الشعر والشعراء. اللغة: العربية.

المراجع العربية

- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، المحقق: أحمد محمد شاعر، ج ٢.
- أبو العباس المبرد: الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت دط، دت.
- أحمد الشايب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، المؤلف: د. أحمد الشايب الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، تاريخ النشر: ١٤١١هـ.
- الشريف الجرجاني، التعريفات المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١٠.
- العربي حسن درويش، العباس بن الأحنف شاعر العشق والغرام، دراسة نقدية. Front Cover. العربي حسن درويش. مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١.
- علي أحمد أديس، الثابت والمتحول، ط ٣، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢.
- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، ٢٠٠١.
- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، قسم: البلاغة العربية. اللغة: العربية. الصفحات: ٣٩٣. حجم الملف: ٨٠٥٣.

المصادر الاجنبية

- Benveniste, Problemes de linguistique générale t1, Gallimard paris, 1966.
- C,Kerbat -orechion : L'énonication : de la subjectivité dans la langage Armand colin, paris, 1980.
- H.Meschonnic, politique du rythme, politique du sujet : ed rerdier lagrasse, 1995.
- J.C . Poriente : langage et l'individuel, A.Colin, paris, 1973.
- Problemes de linguistique générale, t1.

List of sources and references:**The Source:**

- Diwan Al-Abbas bin Al-Ahnaf - Investigation: Atika Al-Khazraji. (1 ratings). Author: Unidentified author. Section: Poetry and Poets. Arabic.

Arabic references:

- Ahmed Al-Shayeb, an analytical rhetorical study of the origins of literary styles, the author: Dr. Ahmed Al-Shayeb Publisher: Al-Nahdi Egyptian Library, Cairo Publication date: 1411 AH.
- Al-Sharif Al-Jerjani, Detective Definitions: Edited and corrected by a group of scholars under the supervision of the publisher, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1, 2010.
- Al-Arabi Hassan Darwish, Al-Abbas bin Al-Ahnaf, Poet of Love and Love, a critical study. Front Cover. Arab Hassan Darwish. The Egyptian Renaissance Library, 1991.
- Ali Ahmed Adonis, The Constant and the Mutable, 3rd Edition, Dar Al-Awda, Beirut, 1982.
- Muhammad Al-Shawsh, The Origins of Discourse Analysis in Arabic Grammar Theory, Manouba University, Arab Distribution Corporation, 2001.
- Muhammad Abdul Muttalib, Rhetoric and Stylistics, Section: Arabic Rhetoric. Arabic. Pages: 393. File size: 8.

Foreign sources:

- C, Kerbat -orecchion: The enonication: of subjectivity in the language Armand Colin, paris, 1980.
- H. Meschonnic, politics of rhythm, politics of the subject: ed rerdier lagrasse, 1995.
- J.C. Poriente: language and the individual, A. Colin, paris, 1973.
- General linguistic problems, t1.



**UNITED ARAB EMIRATES - DUBAI
AL WASL UNIVERSITY**

AL WASL UNIVERSITY JOURNAL
Specialized in Humanities and Social Sciences
A Peer-Reviewed Journal

GENERAL SUPERVISOR

Prof. Mohammed Ahmed Abdul Rahman
Chancellor of the University

EDITOR IN-CHIEF

Prof. Ahmed Rahmani

DEPUTY EDITOR IN-CHEIF

Prof. Taib Ouazzani

EDITORIAL SECRETARY

Dr. Al-Muzamil Al-Sharif Hamed

ISSUE NO. 67

Jumada-1, 1445H - December 2023CE

ISSN 2791-2930

This Journal is listed in the “**Ulrich’s International Periodicals Directory**”
under record No. 157016

e-mail: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae

EDITORIAL BOARD

Prof. Ahmed Al-Mansouri - UAE

Prof. Gouda Mabrouk - Egypt

Prof. Hassan Awad Al-Sarihi - KSA

Prof. Said Yaktine - Morocco

Prof. Emad Hamdy - UAE

Prof. Faiza El Qasem - France

Prof. Mustapha Lahlali - UK

Dr. Sherif Abdel-Aleem - UAE

Dr. Latifa Al-Hammadi - UAE

**Translation Committee: Dr. Muhammad Jamal Hussein Abdullatief,
Mr. Saleh Al Azzam, Dr. Dalia Shanwany,
Mrs. Majdoleen Alhammad**

SCIENTIFIC ADVISORY BOARD

Prof. Salah Belead

President - Supreme Council of the Arabic Language - Algeria

Prof. Kotb Rissouni

University of Sharjah – UAE

Prof. Benaissa Bettahar

University of Sharjah – UAE

Prof. Saleh M. Al-Fouzan

King Saud University – KSA

Prof. Jamila Hida

Université Mohammed I Ouajda - Morocco

Al Wasl University in Brief

Al Wasl University is one of the academic institutions registered by the Ministry of Education (MOE) in UAE. In accordance with ministerial order No. 107 of 2019, the College of Islamic and Arabic Studies has changed its name to Al Wasl University.

The university's development has encountered two basic stages:

The First Stage:

The primary nucleus of the university was established in 1986-1987 under the name "College of Islamic and Arabic Studies" by Mr. Juma Al Majid and supervised and taken care of by a truehearted group of the people of this country, who appraise the value of knowledge and high rank of education.

- ◆ The Government of Dubai took care of this blessed step which was incorporated by the decision of the Board of Trustees issued in 1407 AH corresponding to the academic year 1986-1987 AD.
- ◆ On 02/04/1414 AH, corresponding to 18/4/1993 AD, H.H Sheikh Nahyan bin Mubarak Al Nahyan, Minister of Higher Education and Scientific Research of the UAE issued the decision No. (53) of the year 1993 granting the license to the college as a Higher Education institution.

1. Bachelor Program:

- ◆ Order No. (77) of the year 1994 was issued as relating to the equivalence of the bachelor's degree in Islamic and Arabic studies issued by the college with the first university degree in Islamic studies.
- ◆ Later, order No. (55) of the year 1997 was issued concerning the equivalence of the bachelor's degree in Arabic language granted by the College of Islamic and Arabic Studies in Dubai with the first university degree in this specialization.
- ◆ On 24/5/2017, the Board of Trustees, decided to open the doors for enrollment in graduate studies for male students, specializing in Shari'a and Arabic for the academic year 2017-2018.
- ◆ The Bachelor of Library Sciences and Information program has been accredited in 2020.
- ◆ The college celebrated the first graduating batch on the 23rd Sha'ban 1412 AH, 26th December 1992 AD under the patronage of his Highness Sheikh Maktoum Bin Rashid Al Maktoum, Vice President and Prime Minister and Ruler of Dubai (may Allah have mercy on him).
- ◆ The College celebrated the graduation of the second batch of male students and its first female batch on 29/10/1413 AH, 21/4/1993 AD.
- ◆ Since its establishment in the academic year 1406/1407 AH, 1986/1987 AD till 2022/2023, the number of the graduates reached students a total of 13421: 10718 females and 2703 males.

2. Post Graduate Program:

- ◆ The post-graduate program was established in the academic year 1995/1996 AD to award the candidates the master's degree in Islamic Studies/Shari'a and Arabic Language and Literature. This was followed by implementing Doctoral Program in Fiqh/Jurisprudence, which launched in 2004/2005 AD.
- ◆ Starting from the year 2007/2008, The university began the doctoral program in Arabic language and literature in the two sub-majors: literature and criticism and and language and grammar.
- ◆ On February 24, 2017, the Mohammed Bin Rashid International Center for Endowment Consultation awarded the university Dubai Endowment Mark.

Re-accreditation of master's and doctoral programs; The university granted:

- ◆ Master's degree in Literary and Critical Studies.
- ◆ Master's degree in Linguistics studies.
- ◆ Master's degree in Fiqh and its Fundamentals.
- ◆ Doctor of Philosophy in Islamic Jurisprudence and its Foundations.
- ◆ Doctor of Philosophy in Arabic Literary and Critical Studies.
- ◆ Doctor of Philosophy in Arabic Linguistic Studies.
- ◆ The total number of male and female graduates in postgraduate studies up to the date of issue of the issue, (353) students; Among them, (240) graduates with a master's degree and (113) graduates with a doctorate.

The Second Stage:

The name of the (College of Islamic & Arabic Studies) has been changed according to the ministerial decision No. 107 for the year 2019 into (Al Wasl University) which also received several updates in:

Vision:

Al Wasl University aspires to be a leading regional and global institution offering outstanding programs, approaches, and scientific research.

Mission:

Al Wasl University seeks to provide non-profit programs of high quality in bachelor's and postgraduate studies to qualify specialized cadres for the local and regional labor market, strengthen research capabilities, develop creative thought, and develop community partnership in a university environment characterized by originality, modernity, and innovation

Board of Trustees:

The Board of Trustees supervises the general affairs of the university and directs it to achieve its objectives. The board, in addition to its Chairman (the founder of the university), includes a number of distinguished figures who combine knowledge, opinion, and experience, representing scientific, social, economic, and administrative sectors in the United Arab Emirates.

University Colleges:**The university includes the following colleges:**

- ◆ College of Islamic Studies.
- ◆ College of Arts.
- ◆ College of Management.

Study Program:

- ◆ The duration of the study to gain the bachelor's degree is (four years) for the holders of the secondary school certificate of Shari'a or general secondary school in its branches: scientific and literary or its equivalent.
- ◆ Study at the university is based on the semester system with credit hours.
- ◆ The student should commit to attend and follow-up the determined courses and researches.
- ◆ The study duration of the master's program is two years and the Ph.D. program is of three years, with a preparatory year included in both.

Scientific Research and Community Service:

The scientific research at the university is based on stable factors and fundamentals, including:

1. Conferences: The University holds a number of annual, internationally- refereed conferences such as:
 - ◆ The International Scientific Symposium in Al-Hadith Al-Sharif. It is held every 2 years. Its eleventh version was in 2023 AD.
 - ◆ The International Arabic Language Conference. It occurs every two years, the second conference was held in 2022 AD.
 - ◆ The International Islamic Studies Conference. It occurs every two years. the first conference was held in 2022 AD.
 - ◆ The International Conference for Post-Studies. It also runs every two years, the Third conference was held in 2023 AD.
 - ◆ The International Linguistics Conference is held every two years. The second conference is held in June 2023.
 - ◆ The International Conference on Narratives is held every two years, the first conference was held in 2022.
2. Refereed Journals: Al Wasl University publishes three refereed scientific journals, which are:
 - ◆ Al-Wasl University Journal, a bi-annual journal.
 - ◆ Thought and Knowledge Journal, issued by the Faculty of Arts once a year.
 - ◆ Al-Mawwil Journal, issued by the College of Islamic Studies, once a year.
3. The Scientific Book: The University issues the scientific books, and it has two branches:
 - ◆ The Scientific Book (as a study reference) published 33 books.
 - ◆ The Scientific Book (Books were not intended for study purposes).
4. The project of printing outstanding theses and dissertations: The University is keen to offer free printing and distribution services of unique academic publications.
5. Digital Library open access on the university's website.

Subscription Slip

We would like to subscribe in Al Wasl University Journal, for the period of

..... years, starting from

- Name in full:

- Address:

- Telephone:

- Email:

- Fees:

Subscription Fees

Source	Period		Fees		
	Year	Copies	Institutions	Individuals	Students
Inside UAE	One year	2	100 AED	80 AED	50 AED
	Two Years	4	200 AED	150 AED	100 AED
Outside UAE	One Year	2	50 \$	40 \$	30 \$
	Two years	4	100 \$	80 \$	60 \$

Method of Payment:

- Inside the UAE: Cash deposit at the Journals office at the University Campus, or bank transfer.

- Outside the UAE: Bank transfer to:

- Al Wasl University.

Dubai Islamic Bank – Dubai

IBAN No. : AE030240001520816487801

The deposit slip should be sent to this address:
Editor in chief of Al Wasl University Journal,
PO Box: 34414 Dubai – United Arab Emirates – Telephone: 0097144128717
Email: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae

Rules of Publishing

First:

The Journal of the Al Wasl University publishes original or translated scientific research in Arabic, English or French . The research presented to the journal must be original, genuine in its theme, objective in nature, comprehensive, of academic novelty and depth, and does not contradict Islamic values and principles. The research papers will be published after being evaluated by referees from outside the editorial board, according to the standard academic rules.

Second:

All research work presented for publication in the journal must comply with the following conditions:

1. The research work should not have been previously published by any other institution, and is not derived from any other research study or treatise through which the researcher has acquired an academic degree. The research must provide a written statement of that content upon submitting his paper to the journal.
2. All researches must following the journal publication rules.
3. The research work should not have been previously published by any other institution, and is not derived from any other research study or treatise through which the researcher has acquired an academic degree. The research must provide a written statement of that content upon submitting his paper to the journal.
4. The journal accepts unpublished sections of theses.
5. The researcher does not have the right to publish his research elsewhere or present it for publication unless he receives a written permission from the editor in chief of the journal.
6. Research which embodies Quran quotes or Prophetic sayings (Ahadith) is required to be properly marked and foot-noted.
7. The research must be word-processed using Word 2010, single- spaced, font size 16, with a minimum of 20 pages (about 5000 words) and a maximum of 30 pages (about 7500 words). In case the research paper exceeds 30 pages, an amount of 20 AED is to be charged for every extra page.
8. For international publication, a Soft copy of the research (Word 2010) should be submitted with research's name (both in English and Arabic) and his occupation/title, as per the provided form.
9. An Arabic abstract of 120 words as well as an English one (150) words, should be added. Abstracts should include research objectives, problem, methodology and final conclusion. Five key words, at least, should be included.

10. A list of works cited and Bibliography should be added, as translated into English for international publication.
11. Tables, figures and additional illustrations referred to should be numbered referenced as per their relevance in the body of the research. They are to be indexed properly and included in a separate annex section.
12. The following methodology should be implemented in the documentation process:
 - ◆ Works cited should be sequenced by order and indicated parenthetically in the text of the research. They are to be foot-noted, as per their occurrence on a page.
 - ◆ When a reference is cited for the first time, full citation details are to be added as such: Author's name, Book name, editor or translator's name (if any), publishing house, country, edition number (if any), and date (if any). For referencing papers taken from periodicals, Author's name, title, journal/periodical name, issuing body, country, volume number, date and pages in the journal/periodical.
 - ◆ When the reference is mentioned for the second time, an indication of the author/reference name is to be included. If same reference is quoted twice in a row, an Ibid mark is to be indicated.
 - ◆ Explanations and footnotes are to be preceded by an asterisk*.
 - ◆ List of works cited/bibliography should be included, following typical referencing rules.
13. Researcher is committed to doing all the modification suggested by the committee of reviewers and provide the journal with the revised version along with the modification/ Errata report.
14. The journal only accepts proofread papers. All papers must be proofread.

Third: Other Rules:

1. The texts should be provided in both source language and the new target language.
2. Two abstracts (1 Arabic, the other in English or French) should be added. The abstract should be of no more than 120 words with key words being indicated.
3. The translated material should be audited or published previously in a reputed magazine.
4. The translated material should be of at least 7 pages (A4) and up to 20, of no more than 6000 words.
5. The translated material should be a non-forced one, with no ellipsis or translation loss, unless for translation necessity.
6. Text should be cohesive and coherent.

7. Upon the first mention of the original author, full citation of the author should be indicated.
8. The translation should be preceded by a brief introduction that indicated topic importance, significance and results.

Fourth:

1. Published points of view do represent their owners. They do not, by any means, represent the journal.
2. Submitted papers are to be kept under the possession of the journal, either published or not.
3. Publication is subject to many factors, e.g. Versatility of topics and universities.
4. The journal has all right to make superficial modification on the research, without affecting its content.
5. The journal has the right to publish approved researches in periodicals and other journals.
6. After the publication, the research can have a PDF copy of the volume in which his research has been published.

Fifth: Publication Fees:

- ◆ As a contribution from Al Wasl University Journal to enriching the research movement in the United Arab Emirates in particular, and all Arab and Islamic countries in general, the magazine does not bear researchers any fees, except for what was previously mentioned previously.
- ◆ All correspondence should be sent to the following address:

**Editor in Chief, Journal of the Al Wasl University,
P.O. Box 34414 - Dubai, United Arab Emirates
Tel: 00-971-4-4128717 - Fax: 00-971-4-3964388
Email: research@alwasl.ac.ae - awuj@alwasl.ac.ae**

Contents

- **PREFACE**
Editor in Chief 19-20

- **Global Databases & Criteria for Evaluating Scientific Journals (2)**
General Supervisor 21-22

- **Articles** 23

- **Al I'tikaf at Home When Mosques are Closed or Absent
A Comparative Jurisprudential Study**
Dr. Abdelhamid Ben Ali 25-70

- **Acquiring linguistic Phonetics for Non-Arabic Speakers Functionally
(field study)**
Prof. Abdulkader Assad AlSady
Mohamed AbdElhalim Hamza Ramadan 71-100

- **Imam Abu Abdullah Muhammad bin Shuraih Al-Raa'ini (d. 476 AH)
and its impact on enriching the reading lesson in the Islamic West..**
Dr. Mourad Zahoui 101-144

- **Manifestations of Tasting Poetry at Abd al-Malik bin Marwan**
Dr. Fathelrahman Mohamed Ahmed Algaaly 145-188

- **A Stylestec Study: Poetic Condensation In the Poem (Iraq)
By Adnan Al-Sayegh**
Dr. Doosh Falah Aldosary 189-230

- **Sustainable Development in the Noble Prophet’s Sunnah
The Battle of Hunayn as a Model**
Dr. Hanaa Abu Baker Babateen 231-268

- **The Ruling on Lending a Foreigner the Company’s Money and
Borrowing Money for It from Him**
Prof. Abd-Almajeed Mahmmoud Salaheen 269-304

- **Characteristics of some Arabic Sounds for some Indonesian Residents
in the Eastern and the Northern Areas of K.S.A.**
Dr. Mona Mohammad Ali Bishr 305-340

- **Calls for Rejuvenation in the Arabic Rhetoric**
Dr. Hana Khalil
Dr. Rula Yousef 341-382

- **The Speaking Self in Al-Abbas Bin Al-Ahnaf’s Poetry**
Dr. Lobna Ali Meftahi 383-404

PREFACE

Editor in Chief: Prof. Ahmed Rahmani

Praise be to Allah, with whose praise good deeds are accomplished, and prayers and peace be upon the teacher of humanity (Prophet Muhammad).

This sixty-seventh issue of Al Wasl University Journal presents us with various scientific topics and academic research papers, peer-reviewed, based on global principles, and written by specialized researchers. The objective is to achieve global standards of quality to promote scientific research and achieve its cognitive, educational and creative goals. The journal has worked to diversify the fields of knowledge and their topics. Therefore, it has put among its criteria diversity in specializations and topics that are characterized by modernity, vitality and novelty. This required taking into account regional distribution so that academic capabilities would not be of a single nature, due to our belief in the value of regional diversity in innovation and cognitive and methodological diversity, as it is evident in all countries that contribute to research globally, regardless of cultural and linguistic borders.

Accordingly, this issue includes the following topics:

- 1- “Al I’tikaf at Home When Mosques are Closed or Absent: A Comparative Jurisprudential Study” aims, from a cognitive standpoint, to deepen awareness of the Islamic jurisprudential fields of a special nature, which are mostly intended by the elite in terms of the goal of raising religious feelings, and therefore the nature of the study is jurisprudential comparative.
- 2- As for “Acquiring linguistic Phonetics for Non-Arabic Speakers Functionally: A Field Study”, it aims to transcend national borders to have its say in the linguistic intertwining between languages and reveal the extent of the influence of some of them on others, a phenomenon that often results from cultural interaction between peoples.
- 3- There is no doubt that “Imam Abu Abdullah Muhammad bin Shuraih Al-Raa’ini (d. 476 AH) and his Impact on Enriching the Reading Lesson in the Islamic West” governs the historical scientific relationship between the East and the West in the bright scientific eras of the Arab Islamic civilization, where scientific interaction took place in an effective manner contributing to spreading culture.
- 4- “Manifestations of Tasting Poetry for Abd al-Malik bin Marwan” is an area to

raise a critical phenomenon that characterizes a historical aspect represented by cultural openness between creators and leaders in the golden ages of Arab-Islamic civilization.

- 5- Then “A Stylistic Study: Poetic Condensation in the Poem “Iraq” by Adnan Al-Sayegh” presents an image opposite to the previous historical image, highlighting a research phenomenon that distinguishes the modern era from a critical standpoint, where criticism focuses on poetry as a style.
- 6- “Sustainable Development in the Noble Prophet’s Sunnah: The Battle of Hunayn as a Model” discusses the concept of sustainability and its effective role in development, based on the historical model in the Prophet’s Sunnah.
- 7- “The Ruling on Lending a Foreigner the Company’s Money and Borrowing Money for it from him” addresses financial relations in light of modern changes and the new life conditions that require jurisprudential rulings, illuminating the path of financial dealing in cases of taking and giving as a form of borrowing between companies.
- 8- “Characteristics of some Arabic Sounds for some Indonesian Residents in the Eastern and the Northern Areas of KSA” adds to what is discussed in the second research paper, as it raises a similar phonetic linguistic problem, but here it allocates a specific language in its linguistic interaction with two regions of the Arabic language in the Saudi society.
- 9- “Calls for Rejuvenation in the Arabic Rhetoric” is one of the contemporary topics that seeks a way to uncover research efforts in the depths of Arabic rhetoric, which is the basic foundation of ancient and modern expression and communication of knowledge.
- 10- The last research paper in this issue, “The Speaking Self in Al-Abbas Bin Al-Ahnaf’s Poetry”, employs one of the foundations of contemporary critical research that examines the relationship between poetry and the poet, as a speaker expressing the poetic self.

Based on this diversity of topics and methods of methodological and critical approaches, the journal hopes to have presented in this issue to the honorable reader what meets the needs of researchers in humanities, linguistics, literary and critical studies.

Supervisor's Word:

Global Databases & Criteria for Evaluating Scientific Journals (2)

By the General Supervisor: Prof. Mohammed Ahmed Abdul Rahman

In Issue Sixty-Six, which is available for download from the university's website, we talked about global databases, explaining their types. Then we talked about the Scopus database, mentioning its standards, and studying researchers' positions towards it. In this issue, we talk about the second most famous and largest database, Web of Science.

The Institute for Scientific Information, or ISI for short, launched the indexed databases or search engine Web of Knowledge in 2005, and it was managed by Thomson Reuters. Then its management was transferred to Clarivate Analytics, and its name was changed to Web of Science. During these years, it has become one of the largest scientific search engines in the world, as it includes more than 161 million scientific records and 34,000 indexed peer-reviewed scientific journals, in addition to more than 1.7 billion cited references. It was keen to collect old data, dating back about 120 years of scientific documentation and scientific sources, which makes it a huge bank that researchers turn to when writing their books or research papers.

Through this search engine, researchers can access scientific literature in the easiest and simplest ways. They can also delve deeply into the areas of research because of the search engine's speed of archiving. This has led to Web of Science ranking highly among the largest and most famous databases such as Scopus.

The Web of Science search engine contains ten indexes collected from thousands of scientific journals, books, conferences, book series, etc. These indexes are: the Science Citation Index Expanded, which contains all peer-reviewed indexed journals with an impact factor in the various fields of applied sciences; the Social Sciences Citation Index, which contains peer-reviewed indexed journals with an impact factor in the fields of social sciences; the Arts & Humanities Citation Index, which contains scientific journals in the field of literature; and the Emerging Sources Citation Index, which is an index that is not limited to a specific field, but rather includes the three previous fields. This index was established in 2015 and is concerned with journals that are initially evaluated, during the journey of their registration. If a journal passes the registration stages, it automatically moves to one of the first three classifications. Then comes the Book Citation Index, to which thousands of books are added annually, especially those published since 2000. Moreover, the Conference Proceedings Citation Index contains 5200 conferences, whether partially or completely covered.

Perhaps the most important feature of Web of Science is that it sought to add some indexes for non-English speakers, and perhaps the most important of these additions are: the Chinese Science Citation Database, the SciELO Citation Index, the Korea Citation Index, the Russian Science Citation Index, and the Arabic Citation Index. It also issued Arabic versions of these indexes in cooperation with the Egyptian Knowledge Bank.

As for the classification conditions, as recorded on the website, they are carried out in stages. First, in the initial examination stage, the journal is required to obtain an international standard serial number (ISSN), the title of the journal must be distinct and suitable to its content, the publisher must have a geographical address, the journal must have a website and a clear peer reviewing mechanism, and communication must be done through the contact details included in the journal's issues. Second, in the editorial examination stage, it is required that the content of the journal be scientific, the titles and abstracts be in English, with clear translation if the journal is in another language, and that the sources be written in Roman letters, while adhering to the publication schedule mentioned on the journal's website. In addition, the information on the journal's website should be clear and easy to access, with an English version of the journal's website, rules of ethics for scientific research on the website, and a list of the names of the editorial board and their institutional affiliation. Third, in the editorial evaluation of quality, the compatibility of the authors in the field of the journal and their geographical diversity are evaluated. They must also be well-known, the content must reflect the presence of real peer review, the authors must cite previous literature in published research, and there should be a thank-you box for financial support (for specializations that require support). The fourth and final stage is concerned with the editorial evaluation of the impact factor, in which comparative citations, authors' citations, the citations of the editorial board members, and the importance of the content are analyzed.

A simple comparison between these criteria and the criteria of the Scopus database shows the similarity of the criteria between the two databases. However, the conditions for including journals in Scopus are easier and procedures are faster because they are done in one stage only, and not in four stages as in the Web of Science. This ease and speed have led to the infiltration of some predatory journals into the Scopus database, which has led the database to develop criteria for automated annual re-evaluation.

UNITED ARAB EMIRATES
AL WASL UNIVERSITY - DUBAI



Al Wasl University Journal

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal - Biannual

(The 1st Issue published in 1410 H - 1990 C)

Issue No. 67



Jumada I / December
1445 H / 2023 CE



research@alwasl.ac.ae



www.alwasl.ac.ae